فضائل شهر رمضان

لأبي الإرشاد علي بن محمد الأجهوري
شيخ المالكية في عصره
(٩٦٧ - ١٠٦٦ هـ)

تحقيق وتعليق

د/ أحمد عبد الرحيم السايح   الشيخ عبد المنعم فرج درويش

دار الفضيلة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾

سورة البقرة



مُقَـدِّمَـة التَّحقيـق

إنَّ الحمد للَّـه ، نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ باللَّـه من شرور أَنْفُسِنَا وسَيِّئَـاتِ أعمالنا ، من يَهْدِهِ اللَّـه فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَن يُضْلِل ، فَلَا هَادِى لهُ ، وأشهدُ أن لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّـه وحـده لا شريك له ، وأشهدُ أن محمدًا عبده ورسولُه .

أما بعـد :

فهذا كتاب من فرائد كتب التراث التى تكلّمت عن شـهر رمضان ، وفضائل الصِّيَام ، ولقد سار فيـه مُؤلفه على نهج جلىّ واضح يجلى لنـا دقَّة إحـاطته ، وغزارة علمه ، وسـعة حفظـه للحـديث ، وقد أحسن وأجـاد ؛ إذْ عرض يُكثر من الأحـاديث المتشابهة ، وتلك الـمُشْكلَة، وفصَّل كلًّا منها تفصيلًا دقيقاً مما يشير إلى تعمُّقه فى فقـه الحديث .

وإننا بمصاحبتـنا له فى هـذه الرِّحلة العلمية الممتعة ، لنقطعُ بأنه لا يقلّ عن الشوكانى صاحب « نيـل الأوطـار » ، ولا الزَّيْلَعى صاحب « نصب الرَّاية » ، بل إنه يُعتبر فى مصافِّ جيلهم من الأعلام الأفذاذ الورعين الرَّاشدين .

وقد أَلْفينا الكتاب أَشْلَاء متـناثرة ، وطـلاسم غامضـة ، ومتفرقات كثيرة هنـا وهنـاك ، وقد كان النـاسخ – رحمه اللَّـه – لا يهمز كما كانت قريش كذلك ، وكان أيضاً ضعيف المستوى

اللُّغوى ، ويبدو أنه كان فى أوّل عهده بالنَّسْخ ؛ إذ لم يكنْ مدرّباً تدريباً كافياً ، أو ممارساً ممارسة طويلة ، فوقع منه تحريفات كثيرة ، وتصْحيفات لا حصر لها ، وسقطات تدلّ على تواضعه الشديد وزُهْده فى العلم وفقهه، وقد حَملْنا على عاتقنا تصويب النَّصّ تماماً ، وتَبْرئته من كلّ هذه الأغلاط التى اكتنفته ، وزاد من صعوبة المهمة عدم وجود مخطوطة أخرى تساند هذه المخطوطة النادرة .

وهذا الكتاب الذى بين أيدينا حصلنا على مخطوطة برقم (٧٢٣) وتقع فى ١٧٠ ورقة . آداب عامة ٤٨١١ - رقم الفهرست ١١٢ ، وجدير بالذّكر أنّه بعد الانتهاء من تحقيق الكتاب ، ظهرت مخطوطة حديثة النسخ لم يُعرفْ لها أصل منقولة عنه فتركناها .

وقد قمنا بتخريج الآيات القرآنية ، والأحاديث النّبوية الشريفة ، ثم علّقنا على الأخبار والآثار وعَرّفنا بالأعلام التى وردت فى أثناء متن هذا الكتاب ، ونرجو أن نكون بهذا الجهد الشّاق قد أسدينا للمتخصصين والباحثين فى علم الحديث سِفْراً جديداً يضيف إليهم لبنة جديدة من لبنات البناء الشامخ المنيف ، من فقه أحاديث الصيام ، واللّه سبحانه وتعالى من وراء القصد وهو ولى التوفيق .





ترجَمةُ المُصَنِّف (*)

اسْمُهُ وَمَوْطِنُهُ :

هو الإمام العلَّامة الفقيه ، على بن زين العابدين بن محمد بن أبى محمد زين الدين عبد الرحمن بن على ، أبو الإرشاد نور الدِّين الأُجْهُورى .

ولِدَ – رحمه اللَّه – فى أجْهُور الورد – وهى قرية بريف مصر – سنة (٩٦٧ هـ) ، وإليها يُنْسَبُ – رحمه اللَّه – .

مَنْزِلَتُهُ العِلْمِيَّةُ :

احْتَلَّ العَلَّامَةُ علىّ الأُجهورى مكانةً كبيرة بين علماء عصره ، فيصفه العلَّامة المحبى فى خلاصة الأثر بقوله : « هو شيخ المالكية فى عصره بالقاهرة ، وإمام الأئمة ، وعَلَمُ الإرشاد ، وعَلَّامَةُ العَصْرِ ، وبَرَكَة الزَّمَان .

كان مُحَدِّثاً فقيهاً رحالَة كبير الشأن ، وقد جمع اللَّهُ له بين العِلْم

(*) مصادر ترجمته :

« خلاصة الأثر » للمحبى (١٥٧/٣ – ١٥٩) ، و« الخطط التوفيقية » لعلى باشا مبارك (ج ٣٤/٨) ، و« فهرس الفهارس » لعبد الحى الكتانى (ج ١٧١/٢) ، و« فهرس المكتبة الخديوية » (ج ٣٥٥/١ ، ٤٧٧ ، ٢٠٧/٢ ، ج ٢٠١/٦ ، ٢٠٢) ، و« كشف الظنون » لحاجى خليفة (١٦٩/٢ ، ١٦٢٨) ، و« الأعلام » للزركلى (ج ١٣/٥ ، ١٤) ، و« معجم المؤلفين » لعمر رضا كحالة (ج ٥١٠/٢) ، و« هدية العارفين » (٧٥٨/١) .

والعَمَل ، وطار صِيتُهُ فى الخَافقين ، وعَمَّ نَفْعُهُ ، وعظمت بَرَكَتُهُ »[1] .

شُـيُوخُهُ :

لقد رزق اللَّه الأُجهورى الاجتهاد فى طلب العِلْم منذ صِغَرِه ، فما لبث أن ظهرت براعته ونباغته فى مختلف العلوم الشرعيّة من فقه ، ولُغَةٍ ، ومنطق ، وفى الأصلين : الكتاب والسُّنة ، وقد كان ذلك من خلال العُلَماء الأفذاذ الذين تلقى عنهم ، فمن هؤلاء العلّامة محمد الرّملى ، وهو أعلى مشايخه قدراً وعلماً ، ومنهم : البدر حسن الكرخى ، والعلَّامة الحافظ نور الدين على بن أبى بكر القرافى الشافعى ، والفقيه محمد ابن سلامة البنوفرى إمام المالكية فى عصره ، والعلَّامة بدر الدين بن يحيى القرافى المالكى قاضى المالكية فى عصره ، وقد سرد العلَّامة الشهاب العجمى فى « مشيخته » نحو ثلاثين شيخاً مِمَّن أخذ عنهم .

اجتهَادُهُ فى نَشْر العِلْم :

لقد كان للموهبة العِلْمية التى تَمَتَّعَ بها الأُجهورى أثر كبير فى نشر العلم فى عصره ، فقد درَّس - رحمه اللَّه - وأفتى ، وصنف العديد من المصنفات النافعة ، وأملى الكثير من الحديث والتفسير والفقه ، وتتلمذ على يديه عُلماء كثيرون من أهل عصره ، من هؤلاء : نور الدين الشبراملسى ، وشهاب الدين العجمى وغيرهم مِمَّن لا يُحْصَوْنَ لكثرتهم .

مُؤَلَّفَاتُهُ :

كان الأُجهورى - رحمه اللَّه - مُكْثراً من التصانيف النافعة التى أثرت المكتبة الإسلامية فى عصره ، جاء أغلبها فى علوم الفقه الإسلامى والحديث النبوى ، والعقائد ، فمن هذه التآليف :

---

(١) « خلاصة الأثر » للمحبى (ج ١٥٧/١) .

(ا) فى الفقــه :

١ - مواهب الجليل فى شرح مختصر خليل ، وقد ذكر فى «خلاصة الأثر» : أن له ثلاثة شروح على مختصر خليل فى الفقه المالكى .

٢ - شرح كبير فى اثنى عشر مجلداً ، ووسيط فى خمسة مجلدات ، وصغير فى مجلدين .

٣ - شرح رسالة أبى زيد القيروانى - فى الفقه المالكى فى عدة مجلدات .

٤ - حاشية شرح التتائى للرسالة .

٥ - غاية البيان فى إباحة الدخان .

٦ - أحكام المغارسة .

٧ - الأجوبة المحررة لأسئلة البررة .

٨ - مجموعة فتاويه (جمعها أحد تلاميذه) .

٩ - منسك صغير فى الحج .

(ب) فى السير والحديث والفضائل :

١٠ - شرح مختصر ابن أبى جمرة لصحيح البخارى .

١١ - فضائل شهر رمضان (وهو الكتاب الذى نحن بصدده) .

١٢ - مقدمة فى يوم عاشوراء .

١٣ - النور الوهّاج فى الكلام على الإسراء والمعراج .

١٤ - حاشية على الشمائل .

١٥ - شرح الدرر السنية فى نظم السيرة النبوية (للعراقى) فى مجلدين .









الآية ما نصه : و « يا » حرف وُضِعَ لنداء البعيد ، وقد ينادى به القريب تنزيلاً ، له منزلة البعيد ، إما لعظمته كقول الدَّاعى : ياربّ ، ويا الله ، وهو أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيد ، أو لغفلته وسوء فهمه ، أو للاعتناء بالمدعو له ، وزيادة الحث عليه [١] . انتهى . والضمير فى عظمته ، وغفلته للمنادَى ، قاله **شيخ زادة** [٢] .

قال ابن الحاجب [٣] فى « الكافية » : « يا : أعمّ حُروف النِّداء : أى ينادى بها القريب والبعيد على السواء ، ودعوى المجاز فى أحدهما خلاف الأصل ، فهى لطلب الإقبال مطلقاً ، والمصنّف لما اختار أن كلمة (يا) موضوعة لنداء البعيد ، وقد شاع استعمالها فى نداء القريب ، كقول الدَّاعى : ياربّ ، وكقوله تعالى : ﴿ **يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي** ... ﴾ [٤] ، بيّن أنها حقيقة فى نداء البعيد ، وتُسْتعمل مجازاً فى نداء القريب تشبيهاً له بالبعيد تنزيلاً له [٥] لعلوّ شأنه ، وبُعد مرتبته على مرتبة الدَّاعى مَنْزلة بُعْد المسافة ، كما فى قول الدَّاعى : ياربّ ، وقد تكون للعظمة ، ورفعة المنزلة فى جانب المتكلِّم ، كما فى نداء الله تعالى الأرض ، والسَّماء بقوله : ﴿ **يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي** ... ﴾ إظهاراً لعظمته وكبريائه ، وتنزيلاً لبُعْد مرتبة

---

(١) تفسير البيضاوى (١/١٦) ، طبعة العثمانية .

(٢) **شيخ زادة** : هو محيى الدين ، محمد بن مصطفى القوجوى ، مصلح دينى ، ومفسر من فقهاء الحنفية ، كان مدرساً فى إستانبول ، له : « حاشية على أنوار التنزيل » للبيضاوى ، و « شرح الوقاية فى الفقه » . توفى سنة (٩٥١ هـ) . انظر : « كشف الظنون » (١/١٨٨) ، و « الأعلام » (٧/٩٩) .

(٣) هو : أبو عمرو ، جمال الدين ، عثمان بن عمر بن أبى بكر بن يونس ، ابن الحاجب ، فقيه مالكى ، من كبار العلماء بالعربية ، كردى الأصل ، ولد فى إسنا من صعيد مصر ، ونشأ بالقاهرة ، سكن دمشق ، كان أبوه حاجباً فعرف به ، له : « الكافية فى النحو » ، و « الشافية فى الصرف » . توفى بالإسكندرية سنة (٦٤٦ هـ) .

انظر : « وفيات الأعيان » (١/٣١٤) ، و « خطط مبارك » (٨/٦٢) ، و « الأعلام » (٤/٢١١) .

(٤) سورة هود ، الآية (٤٤) .

(٥) لا توجد هذه اللفظة فى (ع) .

المنادَى على مرتبة المتكلِّم ، منزلة بُعد المسافة ، وقد[1] يُنادى بها الغَافل السّيئ الفَهْم ، وإن كان قريباً تنزيلًا لدناءَة حاله بسبب غفلته ، وسوء فهمه منزلة بُعد المسَافة .

وقد ينادَى بها القريب ، وإن كان جيّد الفَهْم ، متفطناً لما يُلقى إليه ، غير مضيع لشيء منه ، تنزيلًا له منزلة البعيد الغافل عنه تنبيهاً على أنَّ المدْعو له أمر مُهمّ ، بلغَ من عظم قدره وعلوِّ شأنه إلى حيث يستبعد من المخاطب أن يقوم بما هو حقّه من العقبى[2] فيه ، وإن بذل نفسه ، واستفرغ وسعه ، وجهده فى ذلك ، فصار المخاطب بسبب ذلك كأنه غافل عنه ، غير ملاحظ له . انتهى المراد منه .

حَقيقَةُ الإِيمَانِ والإِسْلَام :

واعلم : أن حقيقة الإيمان مخالفة لحقيقة الإسلام ؛ إذ حقيقة الإيمان التَّصديق بما علم مجيء الرسول ﷺ به ضرورة .

وقال الأشعرىّ[3] : هو حديث النّفس التابع للمعرفة ، ومراده بحديث النّفس : إذعانها : أى تسليمها ، وقبولها لما علم مجيء الرسول ﷺ به ضرورة ؛ إذ قد يعرف الشَّخص الشيء ويجزم به ، ولا يكون عنده تسليم وقبول له ، كمن أقام بُرهاناً من الشَّكل الأول لنصرانى مثلًا على بطلان إلهية عيسى (عليه السلام) ، وأنه عبد الله ، فإنه يجزم بذلك ؛ لأن العلم بالنتيجة ضرورى ، ولا يقبله ، فإنْ قلت ذكر فى « شرح المطالع » : أن التَّصديق عند أهل الميزان إذعان وقبول ، وليس هو فعلًا للنّفس ، وهذا يقتضى أن التَّصديق المعتبر فى الإيمان هو التَّصديق عند أهل الميزان ، وليس كذلك .

---

(١) لا توجد هذه اللفظة فى (ع) .　　(٢) فى (ع) : السعى .

(٣) هو : أبو الحسن الأشعرى ، على بن إسماعيل بن إسحاق ، مؤسس المذهب الأشعرى أو الأشاعرة ، كان من الأئمة المتكلمين المجتهدين ، ولد فى البصرة ، وتلقى مذهب المعتزلة ، وتقدّم فيهم ، ثم رجع وجاهر بخلافهم ، له مصنفات كثيرة منها : « الإبانة عن أصول الديانة » ، و« اللمع » ، توفى ببغداد سنة (٣٢٤ هـ) . انظر : « طبقات الشافعية » (٢/٢٤٥) ، و« المقريزى » (٢/٣٥٩) ، و« البداية والنهاية » (١١/١٨٧) .

قلت : المراد [بالإيمان والقبول فى كلام أهل الميزان [1] : إدراك أن النسبة واقعة ، أو ليست بواقعة وهو غير] [2] بالإذعان والقبول المعتبر فى تعريف الإيمان ، إذ هو ما ذكر مع التسليم والقبول .

قال الكمال : « الإذعان إن فُسِّر بإدراك أنَّ النسبة واقعة أو ليست بواقعة ، أى كما فَسّره أهل الميزان ، فإنه يحصل من المعاند الكافر ، وأما إذا فُسِّر بذلك وبقبوله وتسليمه لم يحصل ذلك منه » .

قلت : والحاصل أن التَّصديق : هو الاعتقاد الجازم ، وهذا بعض أفراد التصديق المنطقى الذى هو الإدراك المذكور ، وقد ذكر أن التصديق عند أهل المنطق [3] القابل للتصور ليشمل الجازم ، ويشمل الظَّن ، وهو من أقسام ما لا جزم فيه ، والأوَّل تارة يحصل معه تسليم وقبول له ، وتارة لا ، وجرى خلاف فى اعتبار التسليم والقبول فى الإيمان .

فقال بعضهم : لا يعتبر ، وأنه يكفى فى الإيمان التَّصديق بالمعنى المذكور ، وإن لم يحصل تسليم وقبول ، ورُدّ بأنه وقع القَطْع بكفر كثير مع علمهم بذلك كما فى قوله تعالى : ﴿ **يَأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّـهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ** ﴾ [4] وما بعدها [5] .

وقيل : لا بُد من ذلك : أى التسليم والقبول فى الإيمان ، وهو الرَّاجح ، وهذا مراد **الشيخ الأشعرى** بقوله : إن الإيمان هو حديث النّفس التَّابع للمعرفة ، وحقيقة الإسلام النُّطق بالشَّهادتين ، أو ما يقوم مقامهما .

حُكمُ النُّطْق بالشَّهَادَتَيْنِ :

وهل النُّطق بما ذكر شطر من حقيقة الإيمان ؟

---

(١) **أهل الميزان** : هم المسلمون ، وذلك لأن النبى ﷺ له موقف عند الميزان ، فسموا بذلك .

(٢) هذه الفقرة غير موجودة فى (ع) .   (٣) وهم قوم من الفلاسفة .

(٤) سورة آل عمران ، الآية (٧٠) .

(٥) وهو قوله تعالى : ﴿ **يَأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ [سورة آل عمران ، الآية ٧١] .

واختاره **ابن العربى** [١] ، **والنسفى** [٢] ، ومن وافقهما ،أو شَرط لصحَّة الإيمان للقادر [٣] على النُّطق به ، وهو ما عليه **عياض** [٤] ، **والنَّووى** [٥] ، ومن وافقهما ، أو شَرط لإجراء الأحكام الشَّرعية فى الدنيا ، وهو ما عليه **الأشعرى والماتريدى** [٦] ، وأكثر محققى أتباعهما ، وعزاه فى « شرح العقائد » لجمهور المحققين .

وقال ابن مرزوق [٧] : إنه قول **ابن القاسم** [٨] ، وعليه

---

(١) هو : أبو بكر ، محمد بن عبد الله بن محمد المعافرى الإشبيلى المالكى ، من حفَّاظ الحديث ، ولد بإشبيلية ، ورحل إلى المشرق ، وبرع فى الأدب ، وبلغ رتبة الاجتهاد فى علوم الدين ، له : « العواصم من القواصم » . توفى سنة (٥٤٣ هـ) .

(٢) هو : أبو البركات ، حافظ الدين ، عبد الله بن أحمد بن محمود النسفى ، فقيه ، حنفى ، مفسر ، من أهل إيذج من كور أصبهان ، نُسب إلى نسف من بلاد السند ، له : « مدارك التنزيل » ، و« كنز الدقائق » . توفى بإيذج سنة (٧٠١ هـ) . انظر : « الدرر الكامنة »(٢٤٧/٢) ، و« وفيات الأعيان » (٣٩١/١) ، و« مفتاح السعادة » (١٩/٢) .

(٣) فى (ع) : من القادر .

(٤) هو : أبو الفضل ، عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبى السبتى ، عالم المغرب ، وإمام أهل الحديث فى وقته ، ولى قضاء سبتة ، ثم غرناطة ، له مصنفات كثيرة منها : « الشفا بتعريف حقوق المصطفى » ، و« شرح مسلم » . توفى بمراكش سنة (٥٤٤ هـ) . انظر : « وفيات الأعيان » (٣٩٢/١) ، و« مفتاح السعادة » (١٩/٢) ، و« قضاة الأندلس » (١٠١) .

(٥) هو : أبو زكريا ، محيى الدين ، يحيى بن شرف الدين بن مرى بن حسن الحزامى الحوزانى الشافعى ؛ علَّامة الفقه والحديث ، مولده ووفاته فى نوا (من قرى حوران بسوريا) ، له مصنفات كثيرة ، منها : « تهذيب الأسماء واللغات » ، و« شرح مسلم » . توفى سنة (٦٧٦ هـ) .
انظر : « طبقات الشافعية » (١٦٥/٥) ، و« النجوم الزاهرة » (٢٧٨/٧) ، و« مفتاح السعادة » (٣٩٨/١) .

(٦) هو : أبو منصور ، محمد بن محمد بن محمود أبو الماتريدى ، من أئمة علماء الكلام ، نسبته إلى ماتريد محلة بسمرقند ، له : « التوحيد » ، و« أوهام المعتزلة » . توفى بسمرقند سنة (٣٣٣ هـ) .
انظر : « الفوائد البهية » (١٩٥) ، و« مفتاح السعادة » (٢١/٢) .

(٧) هو : أبو عبد الله ، محمد بن أحمد بن محمد ، ابن مرزوق العجيسى التلمسانى المعروف بالحفيد ، عالم بالفقه والأصول والحديث والأدب ، ولد بتلمسان ، له : « نور اليقين » ، و« المتجر الربيح » ، وتوفى سنة (٨٤٢ هـ) . انظر : « الضوء اللامع » (٥٠/٧) ، و« نيل الابتهاج » (٢٩٣) .

(٨) هو : عبد الرحمن بن القاسم العتقى ، أبو على صاحب مالك الشهير ، أخذ عنه أهل المغرب المذهب . توفى بمصر سنة (١٩١ هـ) .

اللخمى[1] ، **وابن رشد**[2] ، وهو المعروف من مذهب المتكلمين .

وقال الدلجى[3] فى « شرح الشفا » بعد ما ذكر الخلاف المتقدّم ما نصه : « وهذا الخلاف إنما هو فى القادر غير المُصِرّ على الإبائة[4] من النطق ، أما مَن أصَرّ على ترك النطق بهما مع المطالبة فكافر إجماعاً ، وقوله : أما من أصَرّ ... إلخ » : أى واستمر على ذلك حتى مات .

وقال فى « شرح ملخص المقاصد » لما ذكر الخلاف فى اعتبار النّطق وعدمه فى الإيمان ما نصه : « ثم الخلاف فيما إذا كان قادراً وترك التكلّم لا على وجه الإبائة ؛ إذ العاجز كالأخرس مؤمن اتفاقاً ، والمُصِرُّ على عدم الإقرار مع المطالبة به كافر وفاقاً ؛ لكون ذلك من أمارات عدم التَّصديق ؛ ولهذا أطبقوا على كفر **أبى طالب**[5] وإن كابرت **الروافض**[6] ... إلخ » . انتهى .

---

(١) هو : زكريا بن محمد بن الحكم اللخمى أبو يحيى ، كان من أهل العلم ، سمع مالك وغيره ، وكان يستفتى القيروان مع أسد ، وكان فى عداد المدنيين .

(٢) هو : أبو الوليد ، محمد بن أحمد بن رشد الأندلسى ، الفيلسوف الشهير ، عنى بكلام أرسطو وترجمه إلى العربية ، توفى سنة (٥٩٥ هـ) .

انظر : « الأعلام » (٣١٨/٥) ، و« التكملة » (٢٦٩/١) ، و« شذرات الذهب » (٣٢٠/٤) .

(٣) هو : أبو عبد الله ، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الدلجى العثمانى ، الشافعى ، محدث مؤرخ عروضى ، ولد بدلجة سنة (٨٦٠ هـ) تقريباً ، وسافر إلى بلاد الروم ، واجتمع بسلطانها ، وعاد إلى القاهرة ، له : « شرح الشفا » ، و« شرح المنفرجة » ، واختصر « المنهاج والمقاصد » . توفى سنة (٩٤٧ هـ) . انظر : « شذرات الذهب » (٢٧٠/٨) ، و« الكواكب السائرة » (٦/٢) .

(٤) فى (ع) : الإباء .

(٥) هو : عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم من قريش ، والد الإمام على (رضى الله عنه) ، وعمّ رسول الله ﷺ ، كان من أبطال بنى هاشم ورؤسائهم ، من الخطباء . توفى قبل الهجرة بثلاث سنوات . انظر : « طبقات ابن سعد » (٧٥/١) ، و« ابن الأثير » (٣٤/٢) .

(٦) **الروافض** : هم فرقة قد ألَّهوا الإمام على (رضى الله عنه) فقاتلهم الإمام على بالسيف ، وحرّق ديارهم ، وقد كفَّرهم أكثر علماءِ الفِرَق والنِّحَل ، بل عدهم البعض خارجين عن الإسلام تماماً .

وقوله : « والمُصِرّ على عدم الإقرار ... إلخ » : أى إن استمر على ذلك حتى مات .

وقوله : « مع المطالبة بها » لا مفهوم لذلك ، لكن إنما ذكره ؛ لأنه إنما يظهر الإصرار بها غالباً فى هذه الحالة .

وعلى هذا فكل من هذا وما قبله يُفيد أنَّ مَنْ مات على الإصرار المذكور ، فإنه يكون كافراً ، وأن من يطلب منه النُّطق بعد الإصرار فينطق أو ينطق بها من غير طلب ، ولا عُذْر اقتضى نطقه بها ، فإن نطق بها كذلك كان مؤمناً .

وهذا هو الظَّاهر ، بل المتعيّن كما يُفيده كلام « شرح ملخص المقاصد » فإنه قال : « واختلف فيمن لم ينطق بها جهلًا بالوجوب : أى حتى مات ، فيصحّ إيمانه على الثالث دون الأوَّلَيْن ، وهُمَا أنَّ النطق شَطْر من الإيمان ، وشرط لصحته ، وأما من صدق وصرّح بالنقيض ، أو امتنع من النطق أنفة أو حمية : أى مات فلا خلاف فى كفره » . انتهى .

حُكْمُ مَنْ لم يُقِرّ بالتَّوحيد :

وقوله : « واختلف فيمن لم ينطق بهما ... إلخ » : مقتضاه أنَّ مَنْ لم ينطق بهما غفلة لا يكون حكمه كذلك فيكون مؤمناً قطعاً ، وهذا على القول بأن الإيمان شرط لإجراء أحكام الدنيا ، وأما على القول بأنه شَطْر أو شرط لصحة الإيمان ، فهل يكون حكمه كذلك أم لا ؟ والأوَّل هو المستفاد من كلامه لمن تأمله .

والحاصل : أن المستفاد ممَّا تقدّم أنَّ مَنْ لم ينطق بالشَّهَادتين ، ولا بما يقوم مقامهما إما أن يكون مصرًّا على عدم النُّطق بما ذكر أنفة أو حمية ، ثم تتغيّر حالته بحيث يكون التغيير فى وقت لو نَطَق بهما فيه لنفعه ، فإنه يموت مؤمناً ، وإن لم ينطق بهما ، وإلَّا مات كافراً ، وإما أن يكون مصرًّا على عدم النُّطق بهما لخوفه من أمر لا يكفر المؤمن بالنّطق معه بما يوجب الكفر ، ومات على ذلك ، فإنه يموت مؤمناً كمن أصَرّ على النطق بهما ، ومات على ذلك إلَّا أنْ تتغيّر حالته إلى الإصرار على عدم النّطق بهما أنفة أو حمية ، ومات على

ذلك ، فإنه يموت كافراً ، وأما إن لم يكن مصرًّا على النطق بهما ، ولا على عدمه ، ومات على ذلك فإنه يموت مؤمناً .

وَيَبْقى النَّظَر فى شيئين ، وقد حصل السؤال عنهما :

الأوَّل : إذا أصر المصدّق على عدم النُّطق بهما ، ثم رجعَ عن ذلك قبل أن يطلب بهما بحيث صار لو طلب بهما لنطق بهما اختياراً منه ، ومات على ذلك قبل النطق بهما .

الثانى : إذا أصر المصدّق بهما على عدم النُّطق بهما ، وطلبتا منه ، فلم ينطق بهما أنفة أو حمية لا لعذر ، ثم رجعَ عن إصراره المذكور بحيث صار لو طلب بهما لنطق بهما ، ومات قبل نُطقه ، وقد حصل الجواب عن كل منهما : بأنه لا تجرى [1] عليه أحكام الإسلام ، ولا يكون من الكفار المخلّدين فى النَّار هكذا يظهر ، وهذا ما لم يكن ترك النّطق بهما فى هاتين الحالتين لعذر يبيح له ذلك ، وإلَّا فهو مؤمن فى الظَّاهر أيضاً كذا ينبغى ، وبعبارة أُخرى أظهر فى الدَّلَالة من الأولى ؛ وهى أن يقال : أمَّا [2] من آمن بقلبه ولم ينطق بلسانه ، فإنْ أصَرّ على عدم النطق بهما حتى مات أنفة أو حمية ، فإنه يموت كافراً ، وأما إن رجعَ قبل موته عن الإصرار فإن نطق بهما ، فإن كان نطقه فى وقت لو نطق بهما فيه الكافر الأصلى لصار مؤمناً ، فإنه يكون مؤمناً بالنطق المذكور ، وإن كان فى وقت لو نطق بهما فيه الكافر الأصلى لا يكون مؤمناً ، فهل يكون مؤمناً ؟ وهو الظاهر ؛ لأنه مات على الإذعان والقبول بما [3] علم مجىء الرسول ﷺ به ضرورة أم لا ، وأما إن لم ينطق بهما فى هذه الحالة ، فإن كان عدم نُطْقه بهما لعذر يبيح له عدم النطق بهما ، فإنه يكون مؤمناً ، وإلَّا فهل يكون مؤمناً لرجوعه عن الإصرار أوْ لا ؟ لحصول الإصرار منه قبل ذلك ، فليس كمن لم يحصل منه إصرار أصلًا ، والظَّاهر أنه يكون مؤمناً فيما بينه ، وبين الله [تعالى] [4] لا فى ظاهر الشَّرع .

---

(١) فى (خ) : لا يجرى .

(٢) فى (ع) : أن .

(٣) فى (ع) : لما .

(٤) لا توجد فى (ع) .

ثم إنه لا فرق فى هاتين الصورتين بين أن يكون طُلبَ منه النطق بهما فى حالة إصراره أم لا ، وهذا كله على القول بأن النطق شَرط لإجراء أحكام الدين [1] لا على أنه شَطْر من الإيمان ، ولا على أنه شرط لصحته كما أشرنا له سابقاً .

ما يَتوقَّفُ عَلَيْهِ صِحَّةُ إِيمَان أَوْلَادُ الْمُؤْمِنين :

واعلم : أن أولاد المؤمنين لا يتوقف صحة إيمانهم على النطق بهما ، لكن يجب عليهم بعد بلوغهم ، وعقلهم النطق بهما مرَّة فى العُمر ، فمن لم ينطقْ بهما منهم فإيمانه صحيح ، لكنه آثم بترك النطق بهما ، وأما من يحكم بإسلامه تبعاً لإسلام أبيه الذى حصل منه الإسلام بعد وجود الولد ، أو بإسلام سابيه [2] ، أو بالتقاط المسلم له ، أو بالتقاطه فى قرى المسلمين ، فهل هو كأولاد المسلمين أو يجرى فيه الخلاف الذى فى ولد الكافر هذا ؟

واعلم : أن الإيمان ، والإسلام متلازمان شرعاً : أى أنه لا يحصل الإيمان شرعاً بدون الإسلام ، ولا يحصل الإسلام شرعاً بدون الإيمان ، وهذا مراد من قال : إن الإيمان والإسلام متحدان ، ثم إنَّ مَنْ فَسَّر الإيمان بالتصديق المتقدّم بيانه !

قال : إنه لا يزيد ولا ينقص .

وقيل : يزيد وينقص [3] ، فإن تصديق أبى بكر الصديق [4] (رضى الله عنه) ليس كتصديق آحاد النَّاس ، وأجيب بأن المعتَبر فى أصل الإيمان الذى

---

(١) فى (خ) : الدنيا . (٢) فى حاشية المخطوط : « أى الذى سباه من أرض العدو » .

(٣) قال النووى فى شرح مسلم (١ ، ٢٦١/٢) نقلًا عن أبى عبد الله ، محمد بن إسماعيل ابن محمد الأصبهانى : « الإيمان فى اللغة : هو التصديق ، فإن عُنى به ذلك ، فلا يزيد ولا ينقص ؛ لأن التصديق ليس شيئاً يتجزأ حتى يتصور كماله مرة ، ونقصه أخرى ، والإيمان فى لسان الشرع : هو التصديق بالقلب والعمل بالأركان ، وإذا فسر بهذا تطرق إليه الزيادة والنقص ، وهو مذهب أهل السنة » .

(٤) هو : عبد الله بن أبى قحافة ، عثمان بن عامر بن كعب التيمى القرشى ، أبو بكر (رضى الله عنه) ، أول الخلفاء الراشدين ، وأول من آمن برسول الله ﷺ من الرجال ، ولد بمكة ، ونشأ سيداً من سادات قريش ، عالماً بأنساب العرب . توفى سنة (١٣ هـ) .

انظر : « الإصابة » (٤٨٠٨) ، و« ابن الأثير » (١٦٠/٢) ، و« الطبرى » (٤٦/٤) .

يحصل به السَّلامة من الخلُود فى النَّار قدر ممَّن قوى تصديقه مساوٍ لتصديق أدون المؤمنين ، وما زاد منه على ذلك فهو معتبر فى كمال الإيمان لا فى أصله ، فالمعتبر فى أصل إيمان أبى بكر (رضى الله عنه) الجزم الذى هو جزم غيره من دون المؤمنين ، وزيادة جزمه لا يتوقف عليها أصل الإيمان ، وهذا الخلاف مبنى على أن العلم هل يتفاوت ؟ وهو مذهب الأكثر ، أم لا ؟ وهو قول المحققين .

قال فى « جمع الجوامع » ، وشرحه ما نصه : « ثم قال المحققون : لا يتفاوت العلم فى جزئياته ، فليس بعضها ، وإن كان ضروريًّا أقوى من الجزم من بعض ، وإن كان نظريًّا ، وإنما التَّفاوت فيها بكثرة المتعلّقات فى بعضها دون بعض كما فى العلم بثلاثة أشياء ، والعلم بشيئين بناءً على اتحاد العلم مع تعدّد المعلُوم كما هو **قول بعض الأشاعرة** ، قياساً على علم الله تعالى .

والأشعرى وكثير من المعتزلة[1] على تعدّد العلم بتعدّد المعلُوم ، فالعلم بهذا الشيء غير العلم بذلك الشيء ، وأجيب عن القياس : بأنه خال عن الجوامع ، وعلى هذا : أى **قول الأشعرى** ومن معه لا يقال بتفاوت العلم فى جزئياته ، إذ العلم مثلًا بأن الواحد نصف الاثنين أقوى فى الجزم من العلم بأن العالم حادث ، وأجيب : بأن التّفاوت فى ذلك ونحوه ، ليس من حيث ذاته بل من حيث غيره كإلف النفس بأحد المعلومين دون الآخر » . انتهى .

وأما من فَسَّره بالتَّصديق ، والأعمال : أى أنَّ الأعمال معتبرة فيه على وجه الكمال كما هو **مذهب أهل السنة** ، فقال : إنه يزيد بزيادة الأعمال ، وينقص بنقصها .

حُكْمُ إِيمَانِ المُقَلِّد :

واعلم أيضاً : أن إيمان المقلد جائز صحيح على الصحيح ، هذا وظاهر الآية عدم خطاب الكفار بفروع الشَّريعة ، وهو خلاف المعتمد عندنا ، وعند

---

(١) **المعتزلة** : فرقة من المتكلمين ، يخالفون أهل السنة فى بعض المعتقدات ، على رأسهم واصل ابن عطاء الذى اعتزل بأصحابه حَلْقَة الحسن البصرى .

الواحد : معتزلى . الوسيط (٦٢١/٢) .

الشافعية ، وجمع من **الحنفية** ، ويجاب : بأن خطاب المؤمنين بذلك ليس للتخصيص بدليل آية المدّثر [(١)] وما معها .

قال فى « جمع الجوامع » ، و« شرحه » : « مسألة : الأكثر من العلماء على أن حصول الشَّرط الشَّرعىّ ليس شرطاً فى صحة التكليف بالمشروط حالة عدم الشَّرط ، وقيل : هو شَرط فيها ، فلا يصحّ ذلك ... إلى أن قال : وهى : أى المسألة مفروضة بين العلماء فى تكليف الكافر بالفُروع : أى هَلْ يَصحّ تكليفُه بها مع انتفاء شُروطها فى الجملة من الإيمان أو لا يصحّ لتوقفها على النية التى لا تصح من الكافر ؟ ، والأكثر على صحته ، ويمكن امتثاله بأن يأتى بها بعد الإيمان ، والصحيح وقوعه أيضاً ، فيعاقب بترك امتثاله ، وإن سقط بالإيمان ترغيباً فيه . قال تعالى : ﴿ ... **يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ الْمُجْرِمِينَ * مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ * قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ** ﴾ [(٢)] الآية .

﴿ ... **وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ * الَّذِينَ لاَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ** ... ﴾ [(٣)] .

﴿ **وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلٰهاً آخَرَ** ... ﴾ [(٤)] .

وتفسير الصلاة بالإيمان ، لأنها شعاره ، والزكاة بكلمة التوحيد ؛ وذلك لإقراره بالشرك فقط كما قيل خلاف الظاهر ؛ خلافاً **لأبى حامد الإسْفرايينى** [(٥)] ، **وأكثر الحنفية** فى قولهم ليس مكلفاً بها مطلقاً ، إذ المأمورات منها ما لا يمكن مع الكفر فعلها ، ولا يؤمر بعد الإيمان بقضائها ، والمنهيّات محمولة عليها حذراً

---

(١) وهو قوله تعالى : ﴿ ... **وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُواْ إِيمَاناً** ... ﴾ [سورة المدثر ، الآية ٣١] .

(٢) سورة المدثر ، الآيات (٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣) .

(٣) سورة فصلت ، الآيتان (٦ ، ٧) .   (٤) سورة الفرقان ، الآية (٦٨) .

(٥) هو : أبو حامد ، أحمد بن محمد بن أحمد الإسفراييني ، نسبة إلى إسفرائن : بلدة بخراسان بنواحى نيسابور ، يعرف بابن أبى طاهر ، فقيه شافعى ، قدم بغداد ، وانتهت إليه رياسة الدنيا ، والدين بها ، وكان يحضر مجلسه أكثر من ثلثمائة فقيه ، له : « شرح المزنى » . توفى سنة (٤٠٦ هـ) ، ودفن بباب حرب . انظر : « سير أعلام النبلاء » (٤٣/١١) ، و« طبقات الشافعية » (١٢٠٠) ، و« وفيات الأعيان » (٢٣/١) .

من تبعيض التكليف ، **وكثير من الحنفية** وافقونا ، وخلافاً لقوم فى الأوامر فقط ، فقالوا : لا يتعلّق به كما[1] تقدّم بخلاف النّواهى لإمكان امتثالها مع الكفر ، لأن متعلقاتها تروك لا تتوقف على النية المتوقفة على الإيمان ، وخلافاً لآخرين فيما عدا المُرْتَدّ ، أما المُرْتَدُّ ، فوافقوا على تكليفه باستمرار تكليف الإسلام . انتهى .

وحكى السيوطى[2] قولًا آخر ، وهو : أنهم مكلّفون بما عدا جهادهم ، وعليه ، فيكون الرَّاجح تكليفهم حتى بجهادهم ، وهذا غير معقول ، فينبغى اتفاق الأقوال كلها على منع تكليفهم بجهادهم .

مَعْنَى الصَّـوْم :

والصوم لغة : الإمساك عمَّا تنزع إليه النَّفْس .

وشرعاً : الإمساك عن المُفْطرات ، فإنها معظم ما تشتهيه النَّفس ، **قاله البيضاوى**[3] .

وقال ابن عرفة[4] : « الصيام عبادة عدمية ، وقتها طلوع الفجر حتى الغروب ﴿ ... **كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ** ... ﴾[5] : أى الأنبياء والأمم

---

(١) فى (ع) : لما .

(٢) هو : أبو الفضل ، جلال الدين ، عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد بن أبى بكر بن عثمان ابن محمد الطولونى ، المصرى ، الشافعى ؛ عالم مشارك فى العلوم ، ولد ونشأ فى القاهرة يتيماً ، فقيه ، محدث ، أصولى ، مفسر ، له مصنفات كثيرة ، منها : « جمع الجوامع » ، و« الإتقان » . توفى سنة (٩١١ هـ) . انظر : « الضوء اللامع » (٦٥/٤) ، و« شذرات الذهب » (٥١/٨) ، و« البدر الطالع » (٣٢٨/١) .

(٣) تفسير البيضاوى (٣٨/٢) .

(٤) هو : أبو عبد الله ، محمد بن محمد بن محمد بن عرفة الدرغمى نسبة إلى درغمة من قرى إفريقية يعرف بابن عرفة ، مقرئ ، فقيه ، أصولى بيانى ، منطقى متكلم ، فرضى ، له : « المبسوط فى الفقه المالكى » . توفى سنة (٨٠٣ هـ) .

انظر : « الضوء اللامع » (٢٤٠/٩) ، و« شذرات الذهب » (٣٨/٧) .

(٥) سورة البقرة ، الآية (١٨٣) .

من لدن آدم (عليهم الصلاة والسلام) ، وفيه توكيد للحكم ، وترغيب على الفعل ، وتطييب على النفس » . انتهى .

وأراد بالترغيب : التحضيض ، وبالتطييب : التسهيل ؛ فلذا عدّى كلًّا بـ (على) ، والتشبيه يحتمل أن يكون فى مطلق الإيجاب لا فيه ، وفى العدد ، وتعيين الزّمان ، ويحتمل أن يكون فيه ، وفى العدد ، وتعيين الزّمن ، وإلى هذا الثانى أشار البيضاوى بقوله : وقيل : « معناه صومكم كصومهم فى عدد الأيام ، وفى زمنه لما روى : أن رمضان كتب على النصارى ، فوقع برد وحر شديد ، فحوَّلُوه إلى الربيع : أى لأنه أعدل فُصول السَّنَة ، إذ لا تتغير كيفية الهواء فيه تغيراً فاحشاً ، وزادوا عليه عشرين كفارة لتحويله ، وقيل : زادوا ذلك لمُوتان (بضم الميم) : أى موت كثير أصابهم »[(١)] . انتهى .

قال غيره : « التشبيه يحتمل أن يكون فى النوعية ، وأن يكون فى الكمية والتعيينية » .

وإلى هذا القول ذهب **طائفة كالشَّعبى**[(٢)] ، **وقتادة**[(٣)] ، ومن وافقهما ،

---

(١) أخرج ابن جرير عن السدى : « أما الذين من قبلنا (فى الآية) : فالنصارى كتب عليهم رمضان ، وكتب عليهم أن لا يأكلوا ، ولا يشربوا بعد النوم ، ولا ينكحوا النساء فى شهر رمضان ، فاشتد على النصارى صيام رمضان ، وجعل يُقَلَّبُ عليهم فى الشتاء والصيف ، فلما رأوا ذلك اجتمعوا ، فجعلوا صياماً فى الفصل بين الشتاء والصيف ، وقالوا : نزيد عشرين يوماً نكفِّر بها ما صنعنا ! فجعلوا صيامهم خمسين ... » .

« تفسير الطبرى » (٤١١/٣) ، تحقيق محمود ، وأحمد شاكر ، طبع دار المعارف بمصر .

(٢) هو : أبو عمرو ، عامر بن شراحيل بن عبد ذى كبار الشَّعبى الحميرى ، راوية من التابعين ، يضرب المثل بحفظه ، ولد ونشأ ، ومات فجأة بالكوفة ، وكان نديم عبد الملك بن مروان ، وسميره ، ورسوله إلى الروم . توفى سنة (١٠٣ هـ) . انظر : « تهذيب التهذيب » (٦٥/٥) ، و« وفيات الأعيان » (٢٤٤/١) ، و« حلية الأولياء » (٣١٠/٤) .

(٣) هو : أبو الخطاب ، قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز السدوسى البصرى ، مفسر ، حافظ ، ضرير ، أكمه ، قال أحمد بن حنبل : قتادة أحفظ أهل البصرة ، وكان مع علمه بالحديث ، رأساً فى العربية ومفردات اللغة . توفى سنة (١١٨ هـ) .

انظر : « تذكرة الحفاظ » (١١٥/١) ، و« وفيات الأعيان » (٤٢٧/١) .

فإنَّ الله تعالى كتب علـى عيسى (عليه السلام) صوم رمضـان ، فغيّر فرقة من قومه ذلك ؛ وذلك لأنه كان ربما يقع فى الحرّ الشَّديد ، أو البَرد الشَّديد ، وكان يشقّ عليهم فى أسفارهم ، ويضرهم فى معاشهم ، فاجتمع رأى علمائهم ، ورؤسائهم على أن يجعلوا صيامهم فى فَصْل من السَّنة بين الشِّتاء والصَّيف ، فجعلوه فى الرَّبيع ، وزادوا عليه عشرة أيام كفارةً لما صنعوا ، فصار أربعين يوماً ، ثم إن مَلِكَهم اشتكى مرضاً نزل بفمه ، فجعل لله عليه إن هو برئ من وجعه أن يزيد فى صومهم أسبوعاً ، فبرئ ، فزاد فيه أسبوعاً ، ثم مات ذلك المَلِكُ ، وَوَلِيَهُمْ مَلِكٌ آخر ، فقال : أَتِمُّوهُ خمسين يوماً أو أصابهم موتان : أى موت كثير ، فقال : زيدوا فى صيامكم ، فزادوا عشراً ، قيل : وعشراً بعد [١] .

واختار هذا القول النحاس [٢] وقال : هو أشبه بما فى الآية ، ويدل على أن صوم رمضان فُرض على النصارى [٣] حديث **عقيل بن حنظلة** عن النَّبىّ ﷺ قال : « كانَ على النَّصارَى صَوْم شَهْر رمضَان ، فَمرضَ رَجُل منهُم ، فَقَالُوا : لَئِن شَفَاه الله لَنَزيدَنّ عَشراً ، ثُمَّ كانَ مَلِكٌ آخَر أكلَ لَحْماً ، فَأَوْجَع فَاه ، فَقَالُوا : لَئِن شَفَاه الله لَنزيدَنّ سَبْعاً ، ثُمَّ كانَ مَلِكٌ آخر ، فَقَالُوا : لَنُتِمَّنّ هذه السَّبعة عشراً ، ونَجْعَل صَومنَا فى الرَّبيع ، قال : فصار خمسين » [٤] . انتهى .

وقال المفتى فى قوله تعالى : ﴿ **كَمَا كُتِبَ** ﴾ : « المماثلة إما فى أصل الوجوب ، وإما فى الوقت والمقدار ، كما يروى : أنَّ صوم رمضان كان مكتوباً على اليهود والنصارى ، أما اليهود فقد تركته ، وصامت يوماً من السَّنَة زعموا

---

(١) ذكره السيوطى فى « الدر المنثور » (٣٢٣/١) ، ونسبه إلى ابن حنظلة فى تاريخه ، والنحاس فى ناسخه ، والطبرانى عن ابن حنظلة .

(٢) هو : أبو جعفر ، أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادى المصرى ، المعروف بالنحاس ، ولد فى النصف الثانى ، نحوى ، لغوى ، مفسر ، أديب ، فقيه ، رحل إلى بغداد ، له : « معانى القرآن » ، و« أخبار الشعراء » . توفى سنة (٣٣٧ هـ) ، وقيل : (٣٣٨ هـ) . انظر: « وفيات الأعيان » (٣٥/١) ، و« الانتساب » (٥٥٥/١) ، و« شذرات الذهب » (٣٤٦/٢) .

(٣) « الجامع لأحكام القرآن » (٢٧٥/١) .

(٤) ذكره القرطبى فى « الجامع لأحكام القرآن » (٢٧٥/١) .

أنه يوم إغراق فرعون ، وكذا نوافقهم فى ذلك ، فإنه كان يوم عاشوراء ، وأما النصارى فإنهم صاموا إلى آخر ما تقدّم .

تنبيــه :

جعل بعضهم التشبيه فى الإيجاب ، وفى صفة اليوم : أى صفة صومنا فى بدء الإسلام ، فإنه كان من العتمة إلى الليلة القابلة ، كما أن صيام من قبلنا كذلك . انتهى . وفيه نظر ، فإن صيامنا فى صدر الإسلام كان من صلاة العتمة ، أو من النوم بعد الغروب ، وقبلها إلى غروب اليوم الآخر كما يأتى عن **البيضاوى** ، ومن وافقه .

وذكر القرطبى[1] **والقسطلانى**[2] : أن صومنا كان فى صدر الإسلام للغروب ، فإذا جاء الغروب حل الأكل ، والشرب ، والجماع إلى الفجر إلَّا من نام بعد الغروب ، فإنه يحرم عليه ما ذكر إلى غروب يوم الليلة التى حصل فيها النوم[3] .

﴿ **لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ : المعاصى ، فإنَّ الصَّوم يكْسر الشَّهوة التى هى مبدؤها كما قال (عليه الصلاة والسلام) : « فَعَلَيْهِ بالصَّوْم فَإِنَّهُ لَهُ وِجاء[4] »[5] ، أو تتقون الإخلال بأدائه لأصالته ، وقدمه . انتهى .

---

(١) هو : أبو عبد الله ، محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرح الأنصارى الخزرجى الأندلسى القرطبى ، من كبار المفسرين ، صالح مُتعبد ، من أهل قرطبة ، رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن خصيب (شمال أسيوط بمصر) ، له : « الجامع لأحكام القرآن » ، توفى سنة (٦٧١ هـ) .
انظر : « بغية الملتمس » (٣٨) ، و« تذكرة الحفاظ » (٢٠١/٣) .

(٢) هو : أبو بكر ، محمد بن أحمد بن على القيسى الشاطبى ، قطب الدين التوزرى القسطلانى ، عالم بالحديث ، ورجاله ، مولده بمصر ، ومنشأه بمكة ، له : « الإفصاح » ، و« لسان البيان » ، توفى سنة (٦٨٦ هـ) . انظر : « طبقات الشافعية » (١٨/٥) ، و« فوات الوفيات » (١٨١/٢) .

(٣) راجع : « الجامع لأحكام القرآن » الآية ١٨٣ من سورة البقرة (٢٧٢/١ - ٢٨٠) .

(٤) **الوِجاء** : أن تُرَضَّ أنثيا الفحل رَضًّا شديداً يذهب شهوة الجماع . « النهاية » (١٥٢/٥) .

(٥) أخرجه البخارى (٥٠٦٥) ، ومسلم (١٤٠٠) ، وابن ماجه (١٨٤٥) ، وأحمد =

والوجاء : أى بكسر الواو والمدّ : رَضٌّ عروق البيضتين حتى تنفضخا من غير إخراج ، فيكون شبيهاً بالخصاء ؛ لأنه يكسر الشهوة **قاله** فى « المصباح »[1] ، لكن ذكر فى مادة فضخ بالفاء والخاء المعجمة الفضح : كسر الشىء الأجوف . انتهى ، ولكنه غير مناسب هنا ، والحديث بتقدير الكاف : أى كالوجاء . انتهى .

وقال بعضهم فى قوله ﷺ : « فَإِنَّهُ لَهُ وِجاء » : أى قاطع لشَهْوته كما يقطعها الوِجاء : أى الخصاء ، وهذا من مجاز المشابهة ، ولذا **قال بعض العلماء** : حكمة مشروعية الصَّوم مخالفة الهَوَى ؛ لأنَّ الهوى يدعُو إلى شَهْوتى البطْن ، والفَرج ، ولكسر النّفس ، ولتصفية مرآة العقل ، والاتصاف بصفات الملائكة ، وتنبيه العبد على مواساة الجياع . انتهى .

﴿ **أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ** ﴾ : أى موقتات بعدد معلوم أو قلائل ، فإن القليل من المال يُعَدّ عدًّا ، والكثير يهال هيلًا .

قال الجوهرى[2] : هلت الدقيق فى الجراب : أى صببته من غير كيل[3] ، والمراد بها على الأوّل رمضان ، وعلى الثانى ما وجب صومه قبل وجوب رمضان ونسخ به ، وهل هو ثلاثة أيام من كل شهر ، أو يوم عاشوراء فقط أو هما ؟ وعلى الأوّل أنَّ المفروض قبل شهر رمضان ثلاثة أيام من كل شهر ، فذكر بعضهم أنها فُرِضَتْ فى شهر صَفَر من السَّنَة الثانية من الهجرة ، كما أنَّ فرض رمضان كان فيها فى شهر شعبان لليلتين خلتا منه ، فصاموا ثمانية عشر يوماً قبل رمضان ثلاثة أيام من كل شهر . انتهى .

= (٣٨٧/١ ، ٤٢٤ ، ...) ، والبيهقى (٢٩٦/٤) ، والدارمى (١٣٢/٢) من حديث عبد الله ابن مسعود (رضى الله عنه) .

(١) انظر : « المصباح المنير » (٤٧٥/٢) .

(٢) هو : أبو نصر ، إسماعيل بن حماد الجوهرى ، من أول من حاول الطيران ، ومات فى سبيله ، لغوى من الأئمة ، له : « الصحاح » . توفى فى نيسابور عندما حاول الطيران من فوق سطح داره سنة (٣٩٣ هـ) . انظر : « معجم الأدباء » (٢٦٩/٢) ، و « النجوم الزاهرة » (٢٠٧/٤) .

(٣) انظر : « مختار الصحاح » (٧٠٤) .

ولم أره لغيره ، وأما على القول بأن الذى فُرض قبل شهر رمضان عاشوراء فقط ، أو عاشوراء ، والأيام الثلاثة ، فلم أر مَنْ تَعرّض لوقت فرضهما ، ثم نسخ بصوم رمضان ، والحاصل أن ابتداء فرض رمضان بعد مضى ليلتين خلتا من شعبان من السنة الثانية من الهجرة ، سواء قلنا : إنه فُرض ابتداء ، أو فُرض قبله صوم عاشوراء ، أو ثلاثة أيّام من كل شهر ، أو هما .

وأما ابتداء فرض ثلاثة أيَّام من كل شهر على القول بأنها فُرضَتْ قبل رمضان ، ثم نسخت به ، فكان فى صَفَر من السَّنة الثانية ، وهذا يقتضى أنه لم يَصُم عاشُوراء بعد فرضه ، وأنَّ صومه لذلك كان قبل فرضه ، إذ لو كان بعد فرضه للزم أن يكون صومه قبل النّسخ بصوم رمضان بأكثر من ثمانية عشر يوماً ، وقد علمت أنه إنما كان بثمانية[1] عشر يوماً كما أشرنا إليه تبعاً لبعضهم فتأمَّله .

مَتَى فُرض الصِّيام ؟

هذا واعلم أن القول بأن رمضان فُرضَ فى السنة الثانية من الهجرة ظاهر على القول لأنه ــ عليه الصلاة والسلام ــ لم يكن متعبداً بشرع من قبله ، وكذا على القول بأنه [كان][2] متعبداً بشرع آدم ، ونوح ، وإبراهيم (عليهم الصلاة والسلام)[3] ، وأما على القول بأنه كان متعبداً بشرع موسى أو عيسى (عليهما السلام) ، فإن قلنا : إن رمضان لم يفرض فى شريعتهما ، فالأمر ظاهر ، وأما إن قلنا : إنه فرض فيها ، فلا يصحّ القول بأنه فُرض فى السَّنة الثانية من الهجرة إلَّا أن يقال : إن تعبده (عليه الصلاة والسلام) بشرع من قبله لم يكن فرضاً عليه ، أو يقال مراد من قال : إنه فى السنة الثانية أنه استقر فرضه فيها لا أنه حدث فرضه فيها ، فيصح ذلك فتأمَّله[4] ، ومن المعلوم أنَّ الصَّلَوات الخمس فُرضَتْ ليلة الإسراء ، وأما فرض صلاة ركعتين بالغَداة ، وركعتين بالعَشىّ ، **فقال النّعمانى** فى « معراجه » ما نصه :

---

(١) فى (ع) : ثمانية . (٢) هذه الزيادة من (ع) .

(٣) فى الحاشية : « لأنهم لم يفرض عليهم رمضان بخلاف الذين بعدهم » .

(٤) فى الحاشية : « والأحسن الجواب بأن المراد أنه فرض على الأمة » .

فائدةٌ ، فى الاختلَاف فى فَرض الصَّلَاة :

اختلف فى فرض الصلاة ، قيل : كان فى أوّل البعثة ، وكان ركعتين بالغداة وركعتين بالعَشىّ ، وإنما فرض ليلة الإسراء الصلوات الخمس ، وبهذا يظهر لك ما استشكلوه من صلاة **خديجة**[1] (رضى الله عنها) معه ﷺ . انتهى .

وقوله : « وبهذا يظهر لك ... إلخ » ، وذلك أنه ورد أن **خديجة** (رضى الله عنها) صَلَّت معه (عليه الصلاة والسلام) — باتفاق أهل السير الفريضة — ، وقد ثبت أن موتها قبل الهجرة بمدة أقل ما قيل فيها ثلاث سنين .

قال النووى فى « تهذيب الأسماء واللغات » : « وهو الصحيح ، فهذا ينافى القول بأن الإسراء كان قبل الهجرة بسنة وثلاثة أشهر ، أو بسنة ونصف ، أو بما يقرب من ذلك ، ويجاب : بأن الذى صلَّتهُ معه ﷺ ما كان مفروضاً قبل الصَّلوات الخمس » . انتهى .

وقد ثبت أن فرض ركعتين بالغَداة ، وركعتين بالعَشىّ بعد المبعث بخمس سنين ، **قال القاضى عياض** : « إنه الأشبه » . انتهى .

وقوله : ﴿ **أَيَّاماً** ﴾ : ليس منصوباً بالصِّيام للفصل بينه وبينه بـ ﴿ **كَمَا كُتِبَ** ... ﴾ إلخ ، بل بإضمار صوموا لدلالة الصِّيام عليه ، وقيل غير ذلك ، وليس قوله : ﴿ **كَمَا كُتِبَ** ﴾ : معمولًا للصيام .

قال القرطبى : « الكاف فى موضع نصب على النعت ، والتقدير كتاباً كما أو صوماً كما أو على الحال من الصيام : أى كُتب عليكم الصيام مشبهاً ما كتب ... إلخ ، **وقال بعض النّحاة** : الكاف فى موضع رفع نعتاً للصيام ، إذ ليس تعريفه بمحض لمكان الإجمال الذى فيه ممَّا فَسَّرتهُ الشَّريعة ، فلذلك جاز

---

(١) هى أُم المؤمنين ، خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى ، زوج رسول الله ﷺ ، ولدت بمكة ، ونشأت ببيت شرف ويسار ، مات أبوها يوم الفجار ، وهى أُم زينب ، ورقية ، وأُم كلثوم ، وفاطمة (رضى الله عنهن) ، توفيت بمكة سنة ٣ قبل الهجرة .

انظر : « طبقات ابن سعد » (٨/٧ - ١١) ، و« صفة الصفوة » (٢/٢) .

نعته بـ (كما) إذ لا يُنعت بها إلَّا النكرات ، فهو بمنزلة كُتب عليكم صيام ، وقد ضُعّف هذا القول »[1] . انتهى المراد منه .

وقوله : « وقال بعض النُّحاة ... إلخ » : أى فيكون هذا نظير ما ذكره فى قوله :

* وَلَقَد أَمرُّ عَلَى اللَّئيم يَسُبّنى[2] *

من أن جملة يَسبنى صفة للَّئيم ؛ لأن أل فيه للجنس ، والمعرف بلام الجنس يشبه النكرة ، فلذا صح وصفه بالجملة ﴿ **فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً** ﴾ : مرضاً يجهده الصَّوم ، ويشقّ عليه .

﴿ **أَوْ عَلَى سَفَرٍ** ﴾ : أى راكب سفر ، وفيه إيماء بأن من سافر أثناء اليوم لم يُفْطر **قاله البيضاوى** ، **قال مُحَشّيه**[3] : قوله : وفيه إيماء بأن من سافر أثناء اليوم لم يُفْطر : أى لعدم استيلائه [على][4] السفر استيلاء الرَّاكب على المركوب ، بل هُو ملابس شيئاً من السَّفَر ، والرُّخْصَة إنما ثبتت لمن كان على سفر : أى من تمكن من السفر تمكن الراكب من المركوب .

وفى كلمة ﴿ **عَلَى** ﴾ : استعارة تبعية[5] ، شبه تلبسه بالسفر باستيلاء الراكب على المركوب ، يتصرف فيه كيف يشاء للدَّلالة على هذا المعنى : أى

---

(١) انظر : « الجامع لأحكام القرآن » (٢٧٥/١) .

(٢) ونص البيت :

ولقد أمرُّ علـى اللئيم يسبنى   فمضيت ثمت قُلتُ لا يعنينى

وهذا البيت ينسب لرجل سلولى من غير أن يعين أحد اسمه .

انظر : « الأصمعيات » (ص ٦٤ ليبسك عام ١٩٠٢) .

(٣) أى صاحب الحاشية .

(٤) هذا اللفظ زيادة من (ع) .

(٥) **الاستعارة التبعية** : هى ما كان اللفظ المستعار فيها ، اسماً مشتقًا ، أو فعلًا نحو قول ابن الرومى :

بلدٌ صحبتُ به الشيبة والصبا   ولَبِسْتُ ثوب اللَّهـو وهـو جديدُ

[قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية ص ٣٥] .

فيدل على أنَّ المسافر يتصرف فى الصَّوم بفعله وعدمه ، وهذا إنما يكون فيمن تلبس بالسفر وقت النِّية على هذا المعنى ، وعدل عن [اسم] [1] الفاعل ، فلم يقل : أو مسافر إذ ليس فيه إشعار بالاستيلاء على السفر . انتهى .

قلت : وهذا الذى ذكره من أنه ليس لمن طرأ له السَّفر أثناء صَوْمه أنْ يُفْطر هو الموافق لما تجب به الفَتْوى فى **مذهب مالك** [2] من أن الحاضر الذى نَوَى الصَّوْم برمضان إذا شرع فى السَّفر بعد الفَجْر ، فإنه لا يجوز له الفِطْر بعد شروعه ، ولا قبله ، **وقولنا** فى الشَّرح : إن الحاضر إذا طرأ له السفر لا يجوز له الفطر قبل شروعه ، ولا بعده موافق **لقول الجزولى** [3] ، فإنه قال : والمشهور لا يجوز الفطر فى المكروه ، ولا فى المحظور . انتهى .

قال بعض الشارحين : وفطر هذا لا يتأتى على المشهور من أنه لا يجوز فى السفر المكروه والحرام . انتهى كلام بعض الشارحين ، وما ذكره عن **الجزولى** مخالف لما يفيده كلام « المدوّنة » من أن الإفطار بعد الشروع لا يحرم ، كما يفيده **نص المَوَّاق** [4] عن « المدوّنة » وما يأتى عن بعض الشارحين من أن الحاضر إذا سافر بعد ما نوى الصوم ، فإنه يحرم عليه الفطر قبل الشروع إذا تأول ، لكن

---

(١) هذه اللفظة لا توجد فى (ع) .

(٢) هو : أبو عبد الله ، إمام دار الهجرة مالك بن أنس بن مالك الأصبحى الحميرى ، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة ، وإليه ينسب المذهب المالكى ، كان صلباً فى دينه ، بعيداً عن الإمارة ، والأمراء ، ولد بالمدينة سنة (٩٣ هـ) ، وتوفى بها سنة (١٧٩ هـ) . انظر : « الديباج المذهب » (٣٠/١) ، و « الوفيات » (٤٣٩/١) ، و « تهذيب التهذيب » (٥/١٠) .

(٣) هو : أبو عبد ، محمد بن سليمان بن عبد الرحمن الجزولى ، السملالى ، الحسنى ، الشاذلى ، فقيه ، صوفى ، من أهل سوس المراكشية تفقه بفاس ، حفظ المدوّنة فى فقه مالك وغيرها ، من آثاره : « دلائل الخيرات وشوارق الأنوار » . توفى فى آفغال ، ونقل إلى مراكش سنة (٨٧٠ هـ) .

انظر : « نيل الابتهاج » (٣١٧) ، و « الأعلام » (٢١/٧) .

(٤) هو : أبو عبد الله ، محمد بن يوسف بن أبى القاسم بن يوسف العبدرى ، الأندلسى ، الغرناطى المالكى ، الشهير بـ (المواق) ، فقيه ، من آثاره : شرح كبير على مختصر خليل سمَّاه « التاج والإكليل » ، كان حيًّا حتى سنة (٨٩٧ هـ) .

انظر : « نيل الابتهاج » (٣٢٤) ، و « الأعلام » (٣٠/٨) .

لا كفارة عليه ، وأما بعده فليس بحرام كما يفيده كلام المدوّنة ، وكذا من شرع في السفر قبل الفجر ونوى الصوم فيه ، ولا فرق بين المتأوّل وبين غيره كما هو ظاهر كلام « التوضيح » ، ومن وافقه وهو الموافق **لقول الجزولي** : « إنه لا يجوز للإنسان أن يفطر بالتأويل دون أن يسمع فيه شيئاً »[(١)] . انتهى .

وهو ظاهر ، إذ لا يجوز للإنسان أن يقدم على أمرٍ دُونَ أنْ يعلم حكم الله فيه ، وعليه يحمل ما يفيده **كلام ابن رشد** مِنْ أنَّ لذى التأويل القريب أن يفطر : أى لا يحرم عليه الفطر ، فيحمل على من استند فيه لقول من يستند لقوله ، فلا يخالف ما للجزولي ، وأما من شرع في السفر قبل الفجر ولم ينو الصوم فيه فيكون له الفطر ، وإذا علمت هذا ، فقول من قال **من المالكية** : إن من أهلَّ عليه الشهر ، وهو مُقيم لم يُسَافر ، ثم سافر ، **فقال أكثر الصَّحابة والفقهاء** : إنه يجوز له الفطر ، **وقال علىّ**[(٢)] (رضى الله عنه) : « لا يجوز » ، والأوّل هو الذى عليه المعول لما رواه ابن عباس[(٣)] (رضى الله عنهما) : « أَنَّ رَسُول الله ﷺ خَرجَ عام الفَتْح إِلَى مكَّة وهُوَ فى رمضَان ، فَصَامَ حتى بَلَغَ الكَدِيد[(٤)] ، ثم أفْطر وأفْطرَ الَّذينَ كانُوا معهُ »[(٥)] ، وإنما الأخذ بالأحدث ، وهذا هو الأحدث من أمره ﷺ . انتهى .

---

(١) فى (ع) : انتهى .

(٢) هو : أمير المؤمنين ، ورابع الخلفاء الراشدين ، على بن أبى طالب (رضى الله عنه) ، ابن عمّ رسول الله ﷺ ، أحد الأبطال الشجعان ، من كبار الخطباء ، أول الناس إسلاماً بعد خديجة (رضى الله عنها) ، ولد بمكة وقتله عبد الرحمن بن ملجم سنة (٤٠ هـ) ، واختلف فى مكان قبره .
انظر : « الطبرى » (٨٣/٦) ، و« صفة الصفوة » (١١٨/١) ، و« حلية الأولياء » (٦١/١) .

(٣) هو : أبو العباس ، عبد الله بن عباس بن عبد المطلب (رضى الله عنهما) القرشى الهاشمى ، حبر الأمة ، الصحابى الجليل ، ولد بمكة ، ونشأ فى بدء عصر النبوة ، فلازم رسول الله ﷺ ، وروى عنه الأحاديث ، شهد مع على (رضى الله عنهما) الجمل وصفين ، وكف بصره فى آخر عمره ، وتوفى سنة (٦٨ هـ) . انظر : « صفة الصفوة » (٣١٤/١) ، و« الحلية » (٣١٤/١) ، و« الإصابة » (٤٧٧٢) .

(٤) **الكَدِيد** : مكان معروف وقع تفسيره فى أحد الروايات : بأنه بين عسفان وقُديد (الفتح) .

(٥) أخرجه البخارى (١٩٤٤) ، ومسلم (١١١٣) ، والنسائى (١٨٩/٤) ، وأحمد (٢٦٦/١ ، ٣٣٤) .

[و][1] فيه نظر إذ يوهم ، بل يقتضى أن المعول عليه فى **مذهب مالك** [رضى الله عنه][2] جواز الفطر مطلقاً ، وليس كذلك لما علمت أن الذى تجب به الفتوى : حرمة ذلك ، وما ذكره فى « المدوّنة » : من أَنَّ مَنْ يُبَيِّت[3] الصوم فى الحضر ، فلما أصبح نَوى السَّفَر أو عزم عليه ، فإنهُ لا يجوز له الفطر قبل الشروع ، ويُستحب له أن يفطر بعد الشروع فيوهم أنه لا يحرم عليه الفطر بعد الشروع ، ولكنه محمول على خلاف هذا ، وأنه يحرم عليه الفطر بعد الشروع أيضاً كما **ذكره ابن ناجى**[4] .

وفى كلامها : أى « المدوّنة » ما يفيده . قال فيها : ومن أصبح فى الحضر صائماً فى رمضان وهو يريد سفراً فلا يفطر ذلك اليوم قبل خروجه ، ولا أحبّ له أن يفطر بعد خروجه ، فإن أفطر بعد أن سافر لزمه القضاء فقط ، **وقال المخزومى**[5] ، **وابن كنانة**[6] : يلزمه القضاء والكفارة[7] . انتهى .

الخِلاَفُ فى الكَفَّارَة :

قال ابن ناجى : ذكره الخلاف فى الكفارة يدلّ على أن لا أحبّ على التحريم ، وهذا هو المشهور ، **وحكى البـاجى**[8] عن **ابن حبيب**[9] : أنه يجوز

---

(١) زيادة من (خ) . (٢) زيادة من (خ) .

(٣) فى (ع) : بيت .

(٤) هو : أبو الفضل ، وقيل : أبو القاسم ، قاسم بن عيسى بن ناجى ، فقيه ، حافظ ، تعلم بالقيروان ، وولى القضاء فى عدّة أماكن ، من آثاره : « شرح المدوّنة » ، و« شرح رسالة ابن أبى زيد القيروانى » . توفى سنة (٨٣٧ هـ) . انظر : « البستانى » (١٤٩) ، و« نيل الابتهاج » (٢٢٣) .

(٥) هو : أبو هاشم ، المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن عياش المخزومى ، فقيه أهل المدينة بعد مالك بن أنس ، عرض عليه الرشيد القضاء بها ، فامتنع ، وكان مدار الفتوى فيها عليه ، وعلى محمد ابن إبراهيم . توفى سنة (١٨٦ هـ) .

انظر : « شذرات الذهب » (٣١٠/١) ، و« تهذيب التهذيب » (٢٦٤/١٠) .

(٦) من مشاهير أصحاب مالك الحجازيين . (٧) « المدوّنة » (٢٠٢/١) .

(٨) هو : أبو الوليد الباجى ، سليمان بن خلف بن سعد التيجى القرطبى ، فقيه مالكى ، من رجال الحديث ، ولد بباجة بالأندلس ، له : « السراج فى علم الحِجَاج » . توفى سنة (٤٧٤ هـ) .

انظر : « الأعلام » (١٢٥/٣) .

(٩) هو : عبد الملك بن حبيب بن سليمان السالمى « أبو مروان » من أهل الديرة ، وسكن قرطبة ، =

له الفطر ، **وعن ابن القصار** [1] : أنه مكروه وظاهره : أنه لو أفطر قبل خروجه ، فإنه يُكَفِّرُ ، وهو كذلك **قاله مالك وسحنون** [2] ، وهو أحد الأقوال الأربعة ، وقيل : بعكسه ، **قال أشهب** [3] قائلًا : سواء خرج بعد فطره ، أو لم يخرج ، وقيل : إن أفطر بعد أن أخذ فى أُهْبَةِ السَّفر ، ثم سافر لم يُكَفِّرْ ، وإلَّا كَفَّرَ ، وإليه رجع **سحنون** . انتهى .

فقد بان بهذا : أن من بَيَّت الصَّوم فى الحضر ، فإنه يحرم عليه تعمّد الفطر ، وإن سافر سواء أفطر قبل الشروع فى السفر ، أو بعد شروعه فيه إلَّا أن يكون متأوّلًا ، وهذا هو المشهور فى مذهب **مالك** ، وعليه فلم يأخذ بفطره (عليه الصلاة والسلام) حين بلغ الكديد [4] .

ويأتى وجه ذلك ، **وقال** فى « العتبية » **قال ابن القاسم** : « ولو أنَّ رجلًا أصبح فى الحضر صائماً ، ثم بدا له أنْ يُسَافر فتأوّل أن له الفطر فأكل قبل أن يخرج ، فخرج فسافر لم أر عليه إلَّا قضاء يوم ؛ لأنه متأوّل » .

قال ابن رشد : « هذه المسألة اختلف فيها على أربعة أقوال ، وساق ما قال **ابن الحاجب** ، ثم قال : وأظهر الأقوال لا كفارة بحال ؛ لأن الكفارة

= له رحلة إلى الشرق ، وكان مشاوراً بالأندلس ، من آثاره : « الوضاحة » . توفى سنة (٢٣٨ هـ) . انظر : « تاريخ ابن الفرضى » (٣٢١/١) .

(١) هو : أبو الحسن ، على بن عمر بن أحمد البغدادى المالكى المعروف بابن القصار ، فقيه من القضاة ، له : « عيون الأدلة » ، و« إيضاح الملة » . توفى سنة (٣٩٧ هـ) . انظر : « سير النبلاء » (٢٣/١١) ، و« طبقات الفقهاء » (١٤٢) ، و« شذرات الذهب » (١٤٩/٣) .

(٢) هو : عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخى ، الملقب بسحنون ، قاض ، فقيه ، انتهت إليه رياسة العلم فى المغرب ، كان زاهداً ، ولد بالقيروان سنة (١٦٠ هـ) روى المدوّنة . توفى سنة (٢٤٠ هـ) . انظر : « معالم الإيمان » (٤٩/٢) ، و« الوفيات » (٢٩١/١) .

(٣) هو : أشهب بن عبد العزيز ، أبو عمرو العامر ، من أهل مصر ومن أشهر أصحاب مالك . توفى سنة (٢٠٤ هـ) . انظر : « شذرات الذهب » (١٢/٢) .

(٤) تقدم تخريجه .

إنما هى تكفير للذَّنْب ، ومَنْ تأوّل لم يُذنب ، وإنما أخطأ والله تعالى تجاوز عن الأمَّة الخطأ والنسيان ، وما استكرهوا عليه »[1] . انتهى .

وانظر قوله ، وأظهر الأقوال : هل المراد الأربعة المتقدّمة ؟ وهو الظاهر ، وعليه فهو : أى قول منها ، والظاهر أنه الرابع .

قلت : وأما وجوب الكفارة عليه ، ففيه تفصيل ، وهو أن من شرع فى السفر بعد الفجر إن أفطر بعد ما شرع فيه فلا كفارة عليه مطلقاً ، وإن أفطر قبل شروعه ، وقبل نيّة السَّفر ، فعليه الكفارة مطلقاً ، وإن أفطر بعد نيّة السَّفر ، وقبل شروعه فيه ، فإن كان متأوّلًا ، وسافر فى يومه فلا كفارة عليه ، والأكثر وأما من شرع فى السفر قبل الفجر ونَوَى الصَّوم فيه ، ثم أفطر ، فعليه الكفارة ، وإن تأوّل ، فإن لم يَنْو الصوم فيه ، فله الفطر ، والأفضل عدمه ، وقد نظمت هذه الأقسام مع بيان حرمة الفطر على ما بينته ، فقلت :

وَسَفَر القَصْـر به يُفطـر مَن	يَشْـرع فيه قَبْل فَجْر فَاعْلَمَن
بأنْ يَجِئ بَدْء قصـر قَبْل مَا	يُصْبح وَهَذَا هُو الشّروع فَاعْلما
إلَّا لمن نَوَى به الصَّوْم فـذا	عَلَيْـهِ إن أَفطـر تَكفير خـذا
وامْنَعْهُ أَنْ يَشْـرع بُعَيْد الفَجْـر	بِكُلِّ حَال مَنْ تَعَاطَى الفِطْـر
وَمَـا بِهِ كفَّارَة إنْ حَصَـلَا	بَعْـد شُـروعِهِ بِحَـالٍ مسـجلا
كقَبْله وَبَعـد قَصـد السَّـفَر	إنْ كَانَ ذَا تأوّل فاستبصـر
إذاً يُسَـافر يومه فإنْ جلس	كَفَّرَ ولـو لمطـر له حُبِـس
وَفِى سـوى هَـذِين فالتَّكْفـير	يَلْزَمُـهُ بالفِطْـر يَا خَبِـير
وَكلّ ذَا إذَا نَـوَى وأفطـرا	عَـلَى الَّذى فصلت فيما غـبرا
أَمَّـا إِذَا لم يَنْو وقت النِّيَّـة	كَفَّرَ مُطلقاً بِغَـيْر مـريَّـة
لأنَّـهُ كَحَاضِـر قَـدْ أَغْفَـلَا	نِيَّتـه فِى وَقْتِهَـا وَأَهْمَـلَا

(١) انظر : « بداية المجتهد » (٢٩٤/١ ، ٣٠٥) .

وقولى : يصبح بالسكون : تخفيفاً ، كما أن قولى : كَفَّرَ كذلك ، **وقولى** : هو الشروع بسكون الواو : لغة فى هو ، **وقولى** : يسافر : مجزوم بإذا .

﴿ **وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ** ﴾ [1] : أى يطيقونه من غير جهد ومشقَّة طعام مسكين إن أفطروا ، وهذا شامل لمن أفطره ، وهو صحيح أو مريض مرضاً لا يشقّ معه الصَّوم بحيث يمتنع الفطر معه .

وقوله : ﴿ **فِدْيَةٌ** ... ﴾ إلخ : أى أو عليهم صومه وفى هذا مع قوله : ﴿ **وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ** ﴾ : دلالة على أن صوم رمضان لم يفرض ابتداء بعينه على المطيقين له ، إذ كان لهم فطره مع الفدية ، ولهم صومه بلا فدية ، وهذا الثانى أفضل ، وعلى هذا فهذه الآية منسوخة بقوله : ﴿ **فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ** ﴾ ونحو هذا لابن عادل ، فإنه قال فصل : ذهب أكثر العلماء إلى أن الآية الكريمة منسوخة ، وهو قول **ابن عمر** [2] ، **وسلمة بن الأكوع** [3] وغيرهما [4] (رضى الله عنهم) ، وذلك أنهم كانوا فى ابتداء الإسلام مخيّرين بين أن يَصُومُوا ، وبين أن يفطروا ، ويفتدوا ، فخيرهم الله تعالى لئلا يشقّ عليهم ؛ لأنهم كانوا لم يتعوّدوا الصَّوم ، ثم نسخ التخيير ، ونزلت العزيمة بقوله : ﴿ **فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ** ﴾ . انتهى .

وعبارة **البيضاوى** تفيد خلاف ذلك ، فإنه قال فى تفسير الآية : « وعلى المطيقين للصِّيام إن أفطروا رُخّص لهم فى ذلك فى أوّل الأمر لما أُمرُوا بالصَّوم ،

---

(١) سورة البقرة ، الآية (١٨٣) .

(٢) هو : أبو عبد الرحمن ، عبد الله بن عمر بن الخطاب العلوى ، صحابى جليل ، كان جريئاً ، نشأ فى الإسلام ، وهاجر مع أبيه ، وشاهد فتح مكة ، وولد ، وتوفى فيها سنة (٧٣ هـ) .
انظر : « الأعلام » (١٠٨/٤) ، و « معالم الإيمان » (٧٠/١) ، و « تهذيب الأسماء » (٢٧٨/١) .

(٣) هو : سلمة بن عمرو بن سنان الأكوع ، الأسلمى ، صحابى جليل ، بايع تحت الشجرة ، وغزا مع النبى ﷺ . توفى فى المدينة سنة (٧٤ هـ) .
انظر : « ابن سعد » (٣٨/٤) ، و « دول الإسلام » (٣٨/١) .

(٤) انظر : « تفسير الطبرى » (٤٣٤/٣) ، و « الناسخ والمنسوخ » لأبى جعفر النحاس (ص ٢١) .

فاشتد عليهم ؛ لأنهم لم يتعوَّدُوه ثم نسخ ، إذ مفادها أنهم أُمِرُوا بالصوم ابتداء ، ثم حصلت الرُّخصة بالتخيير بعد ذلك ، وكلام محشيّه موافق ما **لابن عادل** ، فإنه قال في قوله : وَعَلَى المطيقين للصوم إن أفطروا ما نصه : « ذهب أكثر المفسرين إلى أن المراد بقوله تعالى : ﴿ **وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ** ﴾ الأصحَّاء المقيمون : خَيَّرَهُم الله تعالى في ابتداء الإسلام بين أن يصوموا ، وبين أن يفطروا ، ويفتدوا ، خيرهم الله بين الأمرين لئلا يشقّ عليهم ؛ لأنهم كانوا لم يعتادوا الصَّوم ، ثم نسخ التخيير ونزلت العزيمة بقوله تعالى : ﴿ **فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ** ﴾ » . انتهى .

واعلم : أنه اختلف على القول بأن الآية منسوخة : هل كانت قبل النسخ على ظاهرها من شمولها للشيخ والشاب الصحيح منهما والمريض ، أو كانت محمولة على الشيخ الذي يشقّ عليه الصوم ، فالشاب والشيخ الذي لا يشقّ عليه الصوم ليس واحداً منهما مرخصاً له في الفدية ، والإطعام ، بل الواجب ابتداء عليه الصوم ، أو كانت محمولة على المريض فقط ، فالصحيح لم يكن مرخصاً له في الفدية والإطعام ، بل الواجب عليه ابتداء الصوم ، فهذه ثلاثة أقوال ، وهي مستفادة من **كلام ابن عادل** ، فإنه قال بعد ما تقدّم عنه : **وقال قتادة** : هي خاصة بالشيخ الكبير الذي يطيق الصوم ، ولكن يشق عليه رخص له أن يفطر ويفدي ، ثم نسخ [(١)] ، **وقال الحسن** [(٢)] : هي في المريض الذي يقع عليه اسم المرض وهو يستطيع الصوم ، خُيّر بين أنْ يَصُوم ، وبين أن يُفْطر ويفدي ، ثم نسخ بقوله تعالى : ﴿ **فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ** ﴾ ، وثبتت الرخصة للذين لا يطيقونه [(٣)] . انتهى .

---

(١) انظر : « تفسير الطبري » (٤١٨/٣ - ٤٣٥) .

(٢) هو : أبو محمد ، الحسن بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنهما) الهاشمي ، خامس الخلفاء الراشدين ، ولد بالمدينة ، كان حليماً محبًّا للخير ، حجّ عشرين حجة ماشياً . توفي سنة (٥٠ هـ) . انظر : « الأعلام » (٢٠٠/٢) ، و« تهذيب التهذيب » (٢٩٥/٢) .

(٣) « ابن جرير » (٤١٨/٣ - ٤٣٤) ، وراجع « البيضاوي » (١٠٤/١ - ١٠٧) .

ثم ذكر عقب القول بأن الآية مُحْكَمَةٌ ، فقال : « وذهب جماعة إلى أن الآية الكريمة مُحْكَمَةٌ ، ومعناها : وعلى الذين كانوا يطيقونه فى حال الشباب ، فعجزوا عنه فى حال الكبر الفدية بدل الصوم ، وعبارة غيره ، **وقيل** : لا نسخ فيها ، بل هى مُحْكَمَةٌ ، واختلف فى تأويلها حينئذ ، فقيل : المراد يطيقونه : أى بالجهد والمشقّة بدليل قراءة يُطَوِّقُونَهُ بالتشديد بناء على أن معناها يكلّفونه : أى يتكلفون صومه ، ولا ينافى ذلك المراد قوله تعالى : ﴿ **وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ** ﴾ ، وقيل : المراد وعلى الذين كانوا يطيقونه ، ثم عجزوا عنه الآن الفطر والفدية ، وقيل : غير ذلك » . انتهى .

وقوله : وقيل غير ذلك منه ما ذكره فى « الجلالين »[1] : من أنَّ مَنْ جعل الآية مُحْكَمَةٌ قدّر لا قبل قوله : ﴿ **يُطِيقُونَهُ** ﴾ ، ومن جعلها منسوخة أبقاها على ظاهرها : أى لم يقدّر لا قبل يطيقونه ، واقتصر على ذلك .

وقد علمت ممّا تقدّم أن كونها محكمة لا يتوقف على تقدير لا قبل يطيقونه ، ولا شك أن عدم التقدير أولى ، بل ربما يتعين عند عدم القرينة عليه ، وقدر الفدية نصف صاع[2] من برّ أو صاع من غيره عند **فقهاء العراق** ، ومدّ[3] عند **فقهاء الحجاز** .

هذا واعلم : أن المفطر فى رمضان الذى لا تجب عليه كفارة تارة يجب عليه القضاء والفدية ، وتارة يجب عليه القضاء فقط ، وتارة لا يجب عليه القضاء ولا الفدية ، ولكنه تندب له :

---

(١) « الجلالين » (ص ٣٧) .

(٢) **الصَّاع** : مكيال تكال به الحبوب ، ونَحْوها ، وقدّره أهل الحجاز قديماً بأربعة أمداد : أى بما يساوى عشرين ، ومائة وألف درهم ، وقدّره أهل العراق قديماً بثمانية أرطال ، وهو إناء يشرب به . (الوسيط مادة : صوع) (٥٤٨/١) .

(٣) **المدّ** : مكيال قديم اختلف الفقهاء فى تقديره بالكيل المصرى ، فقدّره الشافعية بنصف قدح ، وقدّره المالكية بنحو ذلك ، وهو رطل وثلث عند أهل الحجاز ، وعند العراق رِطلان . (الوسيط مادة : مدّ) (٨٩٣/٢) .

فالأول : المرضع : إذا خافت على ولدها أو على نفسها هلاكاً أو حدوث علَّة من الصوم ، وإن لم يكن هلاكاً ، ولا يمكنها استئجار ولا غيره يجب عليها الفطر فى هذه الحالة ، وكذا إن خافت على ولدها حدوث المرض أو زيادته ، ولم تخش هلاكاً .

الثانى : الحامل : إذا خافت على حملها ، أو على نفسها ممَّا تقدّم ، وكذا المريض ، والحائض ، والنفساء ، والمسافر فى بعض أحواله ، **ومذهب الشافعى** [1] فى الحامل والمرضع إذا أفطرتا لخوفهما على ولديهما فقط ، فإنه يجب عليهما القضاء والكفارة ، وسواءً أمكن المرضع استئجار أم لا ، والمراد بالكفارة : الكفارة الصغرى ، وهو مُدّ لكل يوم .

الثالث : الشيخ الكبير : إذا لم يقدر على الصِّيام فى زمن من الأزمنة ، **ومذهب الشافعى** وجوب الفدية عليه ﴿ **فَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً** ﴾ فزاد فى الفدية ﴿ **فَهُوَ** ﴾ : أى فالتطوع أو الخير ﴿ **خَيْرٌ لَّهُ** ﴾ ، وفى هذا دليل على أن الإكثار من فعل النوافل أمر مُرَغَّبٌ فيه إلا ما حدّه الشَّارع كالتَّسبيح ، والتَّحميد ، والتَّكبير ثلاثاً وثلاثين دُبُر كلّ صَلَاة مكتوبة ، فإن الزِّيادة عليه مكروهة كالزيادة على الصّاع فى زكاة الفطر ﴿ **وَأَن تَصُومُواْ** ﴾ أيها المطيقون بناء على حمل الآية على ظاهرها ، وأنها منسوخة ، أو أيها المطوَّقون : أى المكلفون بمعنى المتكلفين للصوم بناء على أن الآية مُحْكَمَة ، ومثل المتكلف المسافر ﴿ **خَيْرٌ لَّكُمْ** ﴾ : أى خير من الإفطار والفدية أو من الفدية والقضاء ﴿ **إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ : ما فى الصوم من الفضيلة وبراءة الذمة ، وجواب الشَّرط محذوف

---

(١) هو : أبو عبد الله ، محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمى ، أحد أئمة أهل السنة الأربعة ، وإليه تنسب الشافعية ، ولد فى غزة بفلسطين ، وحمل إلى مكة ، وهو ابن سنتين ، وزار بغداد مرتين ، وهو صاحب « الأم » . توفى فى مصر سنة (٢٠٤ هـ) .

انظر : « الأعلام » (٦/٢٦) ، و« تذكرة الحفاظ » (١/٣٢٩) .

دلّ عليه ما قبله ، وهو ﴿ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ ، **وقيل معناه** : إن كنتم من أهل العلم والتدبر علمتم أن الصوم خير لكم من ذلك ، **قاله البيضاوى**[1] .

قلت : لا يخفى أن فضيلة الصوم وبراءة الذمّة به تحصل لمن فعله عالماً بذلك أو غير عالم به ، فلا معنى لتقييد كون الصَّوم خيراً بقوله تعالى : ﴿ **إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ على ما قرره به ، والمخلص من ذلك جعل مفعول ﴿ **تَعْلَمُونَ** ﴾ محذوفاً : أى تعلمون أن الصَّوم لا يُحْدِثُ لكم مرضاً أو زيادته مع تفسير الخير فى قوله تعالى : ﴿ **وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ** ﴾ بالثواب والفضيلة : أى أن لكم فى الصوم ثواباً إن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ أن الصوم لا يحدث لكم مرضاً ولا زيادة ، وإن عَلمتم أنه يحدث لكم ذلك ، أو شككتم ، فلا يكون الصوم خيراً لكم ؛ إذ لا ثواب فيه حينئذ . انتهى .

وقوله : « مع تفسير ... إلخ » : أى أنه على هذا التقدير لا يكون الخير اسم تفضيل لاقتضائه أن فى الصوم مع العلم بأنه يحدث مرضاً ، أو الشك فى ذلك فضيلة ، وليس كذلك ، وأما على التقدير الأوّل فخير : اسم التفضيل كما تقدّمت الإشارة إليه فى قوله : « خير من الإفطار ... إلخ » ، ثم إن هذا لا يوافق ما عليه أئمتنا ، إذ فطر المسافر لا خير فيه إذ هو مكروه عندنا ، بل ولا يوافق ما عليه **الشافعية** ، إذ فطر المسافر عندهم خلاف الأولى ، وأما المريض : فقد ذكروا أنه إذا كان يعلم أو يشك فى حدوث المرض ، فلا يكون فى الصوم خير ، وأما إن علم أنه لا يحدث له مرضاً ، فإنه يكون الصوم واجباً عليه ، وعلى كل ، فلا يصح جعل خير اسم تفضيل ، وكذا إن حُمل على مريض يشق عليه الصوم ، ويعلم أنه لا يحدث له مرضاً ، إذ كلام أئمتنا يقتضى أنه لا يجوز له الفطر ، وأنه يتعين عليه .

وأما إن ثبت أن المخالف يقول بأن فطره فضيلة ، فيصح جعل خير اسم تفضيل ، ومقتضى ما ذكره صاحب « جمع الجوامع » : أن فطر المسافر الذى يشقّ عليه أولى من صومه .

---

(١) راجع : « التفسير » (١٠٤/١) ، الآيتان (١٨٣ ، ١٨٤) من سورة البقرة .

قلت : « وفى البيضاوى : والمعنى أن خير باق على ظاهره ، وليس بمعنى أخير وحينئذ فلا يرد شىء ممَّا ذكر ، ونص البيضاوى عقب قوله : ﴿ **خَيْرٌ لَّكُمْ** ﴾ من الفدية أو التطوع ، أو منهما ، ومن التأخير للقضاء » . انتهى .

وقال المفتى عقب قوله : ﴿ **إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ ما نصه : « أى ما فى صومكم مع تحقق المبيح للإفطار من الفضيلة ، فالجواب محذوف ثقة بظهوره : أى اخترتموه أو سارعتم إليه ، **وقيل** : معناه إن كنتم ، من إلى آخر ما تقدّم عن البيضاوى » .

وقول البيضاوى : « وقيل : معناه : إن كنتم من أهل العلم والتدبر علمتم أنَّ الصَّوم خير من ذلك صحيح لكن فيه نوع تكلّف لما فيه من حمل العبارة على خلاف ظاهرها »[1] .

﴿ **شَهْرُ رَمَضَانَ** ﴾ : مبتدأ خبره ما بعده ، أو خبر مبتدأ محذوف تقديره ذلكم شهر رمضان : أى ذلكم الصِّيام المكتوب عليكم شهر رمضان : أى صوم شهر رمضان بحذف المضاف من الخبر ، ويحتمل أن تكون الإشارة إلى أيام معدودات ، والشهر من الشهر : سُمِّىَ بذلك لشهرته ، وإنما سمى هذا الشهر بشهر رمضان لثلاثة أوجه :

الأول : إرماض الأكباد وإحراقها من الجوع والعطش .

الثانى : أو إرماض الذنوب فيه .

الثالث : أو وقوعه أيّام رمض الحر : أى شدَّة وقوعه على الرمل .

ويدل له ما قيل : إنهم نقلوا أسماء الشهور عن اللغة العربية القديمة فيها ، فسموها بالأزمنة التى وقعت فيها فوافق هذا الشهر أيام رمض الحر ، فسمِّىَ به كما سموا ربيعاً بالرَّبيع ، لموافقته الربيع ، وجمادى ؛ لموافقته جمود الماء ، فأُضيف لفظ أشهر ، وجعل المجموع عَلَماً .

---

(١) انظر : « تفسير البيضاوى » (١٠٦/١) .

وقال الأخوان « فى تفسيرهما » : « شهر رمضان : عَلَمٌ مُرَكَّبٌ مبتدأ ، وحيث ورد رمضان فبحذف المضاف كالربيعين ، سمِّىَ به لارتماضهم فيه بحَرّ الجُوع والعَطَش ، وأما تسمية شوال به : لشول أذناب اللّقاح ، وذى القعدة : لقعودهم فيه عن الحَرْب ، وذى الحجّة : للحَجّ فيه ، والمحرم : لتحريم القتل فيه ، وصفر : لخلو مكة فيه عن أهلها للقتال فيه ، والربيعين لارتباع النَّاس فيهما : أى إقامتهم ، والجمادين : لجمود الماء فيهما ، ورجب لترجيبهم إيَّاه : أى تعظيمهم ، وشعبان : لتشعب القبائل فيه ، والشهر : لأنهم ينظرون إلى الهلال فيشهرونه » . انتهى .

قال فى « مختصر الصّحاح » : « وشعبت الشىء : فرقته ، وشعبته : جمعته ، وهو من الأضداد ، تقول : التأم شعبهم إذا اجتمعوا بعد التَّفرق ، وتفرق بهم شعبهم : إذا تفرقوا بعد الاجتماع ، **وقال** : بعد ذلك بقليل : والتشعب : التفرق »[1] . انتهى .

وقوله : « وأما تسمية شوال به لشول أذناب اللّقاح : أى لقلة اللبن عندهم فى الزمن الذى يُسمى بهذا الاسم كما يفيده كلام الصّحاح[2] قال فيه : قد شلت بالجرة أشول بها شولًا : رفعتها ، ولا تقل شلت : أى شلت بالكسر إلى أن قال : وشالت الناقة بذنبها تشوله وأشالته : أى رفعته ، والشول أيضاً : النُّوق التى خفّ لبنها وارتفع ضرعها ، وأتى عليها من نتاجها سبعة أشهر ، أو ثمانية ، الواحدة شائلة ، وهو جمع على غير قياس ، وأما الشائل بلا هاء : فهى النَّاقَة التى تشول بذنبها للقاح ، ولا لبن لها أصلًا ، والجمع شُوّل : مثل راكع ، ورُكَّع ، وشوال : أوّل أشهر الحج ، والجمع : شوالات وشواويل » . انتهى .

المراد منه : قوله للقاح : أى لحصول اللقاح بها : أى الحمل ، وليس المراد

---

(١) انظر : « مختصر الصحاح » (ص ٣٣٨) ، و« المصباح المنير » (٣١٣/١) ، و« القاموس المحيط » (٩١/١) ، و« اللسان » (٤٩٧/١) .

(٢) انظر : « المصباح المنير » (٣٢٨/١) .

لأجل أن يحصل لها اللقاح كذا سمعته ممَّن أثق به قائلًا : إنه يستدل على أنها حملت بفعلها هذا . انتهى .

ومُنع رمضان من الصرف : للعلمية وزيادة الألف والنون ، كما مُنع دأية من ابن دأية علماً للغراب للعلمية والتأنيث : أى لأن جزء العلم له حكم العلم فى ذلك ، وكذلك مُنع صرف هريرة من أبى هريرة (رضى الله عنه) خلافاً لمن أوجب صرفه ، وإنما قيل للغراب : دأية أو ابن دأية لكثرة وقوعه على دأية البعير إذاً دبرت : أى جرحت ، ودأية البعير : هى موضع القتب منه .

فَـوَائِـدٌ ، فى رُؤْيَـة الهـلَال وأَذْكَارِه :

الأُولى : الهلال : اسم للقمر من أوّل ليلة إلى مضى ثلاث ، فإذا خرج من ذلك سُمِّىَ قمراً ، والهلال فى غلاف من ماء ، فكل ليلة يظهر منه شىء يتكامل بدراً ، ثم يعود قليلًا قليلًا حتى يعود كالعرجون القديم ، فيقطع الفلك فى ثمانية وعشرين ليلة ، ثم يختفى حتى يطلع هلالًا ، وهو مخلوق من نور العرش قاله القرطبى فى سورة يس[1] .

الثانية : ما يقال فى رؤيته قال فى « عدّة الحصن الحصين » : وإذا رأى الهلال قال : « الله أكبر »[2] ، « اللَّهُمَّ أَهِلَّه علينا بالأَمن والإِيمان والسَّلَامة والإِسلَام ، والتَّوفيق لما تُحبّ وتَرضَى ، رَبِّى وَرَبُّكَ الله »[3] ، هلال خير ورشد ، « اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلكَ مِنْ خَير هذَا الشَّهْر ، وَخَير القدر ، وَأَعُوذُ بكَ مِنْ شَرِّهِ (ثلاث مرات) »[4] ، وإذا نظر إلى القمر فليقل : « اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بكَ مِنْ شَرِّ هَذَ الغَاسق » . انتهى .

---

(١) راجع : « القرطبى » (١٥/٣٠ ، ٣١) ، و« لسان العرب » (١٧/١٥٦) .

(٢) أخرجه الدارمى (٢/٣) .

(٣) أخرجه الترمذى (٣٤٥١) ، والحاكم (٤/٢٨٥) ، والدارمى (٢/٤) ، وابن السنى (٦٣٥) من حديث طلحة بن عبيد الله (رضى الله عنه) .

(٤) أخرجه الطبرانى فى « الكبير » (٤/٣٢٩) من حديث رافع بن خديج (رضى الله عنه) مرفوعاً .

وفى رواية « الجامع الصغير »[1] ما يفيد أن هذا ليس حديثاً ، بل مجمع من حديثين ، فإنه قال : كان إذا رأى الهلال قال : « اللَّهُمَّ أَهِلَّه علينا بالأَمن والإيمان والسَّلَامة والإِسلَام ، والتَّوفيق لما تُحبّ وترضَى ، رَبنَا وَربكَ الله (حب) عن ابن عمر (رضى الله عنهما) ، قال قبله : كانَ إِذَا رَأَى الهلَال قال : هلَال خَير ورشد ، اللَّهُمَّ إِنِّى أسألك من خَير هَذَا الشَّهْر وَخَير القدر ، وَأَعُوذُ بكَ مِنْ شَرِّهِ (ثلاث مرات) » (طب) عن رافع بن خديج[2] (رضى الله عنه) . انتهى .

قلت : وقد تقدّم أن الهلال اسم للقمر من أوّل ليلة إلى مُضِيِّ ثلاث ، فإذا خرج من ذلك سُمِّىَ قمراً . انتهى .

وفى « تفسير الخازن » ما نصه : « والهلال اسم من الشهر »[3] . انتهى ، وما تقدّم من أنه يقال عند رؤية الهلال : أى رؤيته أوّل ليلة بناء على أنه إنما يسمى هلالًا أوّل ليلة **كما قال صاحب الخازن** ، وكلام **القرطبى** يقتضى أنه يقال عند رؤيته فى الثانية أيضاً ، وفى الثالثة ، وهو خلاف ما عليه عمل من يعتد به .

﴿ **الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ** ﴾[4] ، فإن قلت : إن القرآن قد أنزل على نبينا محمد ﷺ فى ثلاث وعشرين سنة منجماً مبعضاً ، فما معنى تخصيصه برمضان ؟!

قلت : أشار البيضاوى[5] لثلاثة أوجه فى ذلك :

أَوّلها : أن المراد أنه ابتدى نزوله فى رمضان فى ليلة القدر منه ، وفيه ارتكاب المجاز حينئذ لحمل القرآن على بعض أجزائه . انتهى .

---

(١) راجع : « الجامع الصغير » (٢/١٠٦ ، ١٠٧) . (٢) هذه الزيادة لا توجد فى (ع) .

(٣) راجع : « تفسير الخازن » (البقرة / ١٨٤) ، و « أدب الكاتب » (٧٠) ، و « المصباح المنير » (٢/٦٢٩) .

(٤) سورة البقرة ، الآية (١٨٥) .

(٥) انظر : « تفسير البيضاوى » (سورة البقرة ، الآية ١٨٥) .

قلت : قال ابن أبي شريف [1] في الكتاب لفظ الأوّل من حاشية « جمع الجوامع » ، وشرحه ما نصه : « اعلم أن كلًّا من الكتاب والقرآن إذا أطلق علماً بالغلبة كما مر ، فإنما يراد به مجموع اللَّفْظ المنزل المحتج بأبعاضه ، وإذا أطلق مراداً بلامه الجنس ، فمعناه القدر المشترك بين المجموع ، وبين كل بعض منه ، له به نوع اختصاص ، وهذا التقييد للاحتراز عن نحو : قل وافعل من الأبعاض التي لا تُسمى قرآناً في العرف لعدم الاختصاص » . انتهى .

ثانيها : أن القرآن أُنزل في ليلة القدر جملة واحدة إلى سماء الدنيا ، ثم نزل نجوماً على نبينا (عليه الصلاة والسلام) : أى فى ثلاث وعشرين سنة على الراجح ، أو في عشرين سنة على مقابله .

ثالثها : أن قوله : ﴿ **أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ** ﴾ : معناه أُنزل فى فضل هذا الشهر وإيجاب صومه على الخلق ، قال محشيه : وقوله : ﴿ **أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ** ﴾ يؤيد الوجه الثاني بناء على ما اشتهر من أن الإنزال مختص بما يكون النزول فيه دفعة واحدة ، وأن التنزيل مختص بالنزول على سبيل التدريج ، ولهذا قال : ﴿ **نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ** ﴾ [2] . انتهى .

قلت : ما ذكر أنه اشتهر عزاه **للسهيلي** ، **والزمخشري** ، **وعن ابن مالك** : أن نزل ، وأنزل بمعنى واحد ويردّ ما ذكراه قوله تعالى : ﴿ ... **لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً** ﴾ [3] ، وقد يجاب : بأن استعمال ﴿ **نَزَّلَ** ﴾ في هذه الآية بمعنى : أنْزل القرينة .

---

(1) هو : أبو المعالي ، كمال الدين ، محمد بن محمد بن أبي بكر بن علي بن مسعود بن رضوان الشافعي المعروف بابن أبي شريف ، فقيه ، أصولي ، مفسر ، متكلم ، ولد بالقدس سنة (٨٢٢ هـ) ، له : « حاشية على تفسير البيضاوي » لم تكمل ، و « شرح الإرشاد » ، و « حاشية على شرح المحلى على جمع الجوامع » . توفي سنة (٩٠٦ هـ) .
انظر : « الضوء اللامع » (٦٥/٩) ، و « الكواكب السائرة » (١١/١) ، و « ابن العماد » (٢٩/٨) .

(2) سورة آل عمران ، الآية (٣) .

(3) سورة الفرقان ، الآية (٣٢) .

قوله : ﴿ جُمْلَةً وَاحِدَةً ﴾ ، **قال البيضاوى**[1] : « وعن النّبىّ ﷺ نزلت صحف إبراهيم (عليه السلام) أوّل ليلة من رمضان ، وأنزلت التّوراة لست مضين ، والإنجيل لثلاث عشرة ، والقرآن لأربع وعشرين »[2] . انتهى .

قوله : « لست مضين » : يفيد أنها نزلت فى الليلة السابعة .

وقوله : « والإنجيل لثلاث عشرة » : أى مضت كما هو المتبادر ، فنزلت فى الليلة الرابعة عشر .

وقوله : « والقرآن لأربع وعشرين » : أى مضت ، هذا هو المتبادر ، فيكون نزوله فى الليلة الخامسة والعشرين ، ولكن يأتى على المحشى التّصريح بأنه نزل فى ليلة أربع وعشرين ، فإنه : أى المحشى قال : وروى عنه (عليه الصلاة والسلام) : « أُنزلَتْ صُحُف إبراهيم فى ثَلَاث ليالٍ مَضَين من رمضَان ، وأُنزل الزَّبُور على دَاود فى ثمان عشرة مضين مِنْ رمَضَان ، وأُنزلَ القُرآن عَلَى مُحَمَّد ﷺ فى الرابعة والعشرين من رَمَضَان لست بقين بعدها[3] . انتهى .

ولم يتعرض فى هذه الرواية لوقت نزول الإنجيل والتوراة ، وتعرض لهما فى الأولى ، ولم يتعرض فى الأولى لوقت نزول الزبور ، وتعرض له فى الثانية ، ثم إن جملة ما نزل على الأنبياء (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) مائة صحيفة منها ستون على شيث ، وثلاثون على الخليل ، وعشرة على موسى ، ومن الكتب أربعة : القرآن ، والتوراة ، والإنجيل ، والزبور ، وقد نظمت ذلك فقلت :

وصحف اللهِ على شيث نَزل ستُّون والخليل نصفها كمل
وعشرة على الكليم وعليهِ توراة أيضاً والزَّبُور يا نبيه
كتاب داود وإنجيلَ على عيسى وفرقان على خير الملا

﴿ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾ حالان من القرآن : أى

---

(١) انظر : « تفسير البيضاوى » (سورة الفرقان ، الآية ٣٢) .

(٢) أخرجه البيهقى (١٨٨/٩ ، ٩٧٥) .

(٣) أخرجه أحمد (١٠٧/٤) .

أنزل ، وهو هداية للناس إلى الإيمان بإعجازه وآيات واضحات كائنات من الوحى الذى يهدى إلى الحق : أى الأحكام الشَّرعية ، ويفرق بينه وبين الباطل ممَّا فيه الهُدَى من الحكم والأحكام . انتهى .

﴿ **فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ** ﴾[1] يحتمل أن يفسر شهد بحضر : أى أنه لم يكن مسافراً ، وعلى هذا : فمعموله محذوف ، والشهر منصوب على الظرفية : أى فمن شهد منكم موضع الإقامة من المصر فى الشهر فليصمه : أى فليصم فيه ، فالشهر منصوب نصب المفعول على الاتساع .

وقوله : ﴿ **مِنكُمُ** ﴾ فى محل نصب على أنه حال من الضَّمير المستكن ، فيتعلّق بمحذوف : أى كائناً منكم ، ولا بدّ حينئذ من تخصيص الآية بغير الصَّبى ، والمجنون ، والمريض ؛ لأن كل واحد ممن ذكر يشهد موضع الإقامة فى الشهر مع أنه لا يجب عليه الصوم لكونه غير مخاطب به .

وقد أفاد قوله تعالى : أى فيما سبق : ﴿ **فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً** ﴾ الآية والإشارة إلى تخصيصها : أى آية ﴿ **فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ** ﴾ بغير المريض ، وأما تخصيصها بغير الصَّبى والمجنون فمستفاد من النّص لحديث : « رُفِعَ القَلَم عَن ثلَاث : الصَّبى حَتَّى يحتلم ، وعن المَجْنُون حتَّى يفيق ، وعن النَّائم حتَّى يَستيقظ »[2] الحديث .

ويحتمل أن يكون شهد معناه : علم منكم هلال الشهر برؤية أو سماع فليصمه ، وحينئذ : فالشهر مفعول شهد ، ومنكم حال من الضمير المستكن كما مر ، وضمير فليصمه : منصوب على التوسع كما مر أيضاً ، ولا بدّ من تخصيص الآية حينئذ بغير المسافر ، والمريض والصبى والمجنون ، وقد أفاد تخصيصها بغير المسافر ، والمريض بقوله : أى فيما سبق : ﴿ **فَمَن كَانَ مِنكُم**

---

(١) سورة البقرة ، الآية (١٨٥) .

(٢) أخرجه النسائى (١٥٦/٦) ، وأحمد (١٤٠/١ ، ١٥٥ ، ١٥٨) ، والبيهقى (٥٦/١ ، ٥٧ ، ٨٤) .

مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ ﴾ الآية وتخصيصها بغير الصبى والمجنون مستفاد من النص كما تقدّم ، وقد علم ممَّا ذكرنا أن قوله : ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ ﴾ مخصص لمن شهد منكم الشهر على كلا الاحتمالين ، لكن تخصيصه للأوّل بالمريض فقط ، وللثانى به وبالمسافر ، وهذا يقتضى ترجيح الاحتمال الأوّل ؛ لقلة التخصيص فيه ، وكثرته فى الثانى ، وعلم منه أيضاً أن منكم حال من ضمير الفعل على كلا الاحتمالين ، وأن ضمير فليصمه منصوب على التوسع على كليهما أيضاً .

﴿ وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِن أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ أعاده لئلا يتوهم نسخه كما نسخ قرينه ، وهو قوله : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ هذا . وقد ذكر أئمتنا أن للصوم شرائط : منها ما هو للصحة ، ومنها ما هو للوجوب ، ومنها ما هو لهما ، وقد نظمت ذلك فقلت :

شَرائِط لأداء الصَّوم نِيّته ... إِسلَامنا وزمان للبلاد أقبلا
كالكفّ عن مفطر شرط الوجوب له ... إطاقة وبُلُوغ هكذا نُقِلَا
أَما النقا وعقل فهو شرطهما ... مجىء وقت صيام هكذا جُعلا

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [١] : أى يريد أن ييسر عليكم ، ولا يعسر ؛ فلذلك أباح الفطر للسَّفر والمرض ، وقد جاء فى أكثر من حديث : « أَنَّ الشَّهْر يكُون ثلاثين يوماً وتسعة وعشرين يوماً » .

الـمُعْتَبر فى رُؤْيَة الهِلَال :

وذلك بحسب رؤية الهلال ، وعن عبد الله بن عمر (رضى الله عنهما) أن رسول الله ﷺ قال : « الشَّهْر تسعٌ وعشرونَ لَيلَة ، ولَا تَصُومُوا حتى تَرَوْهُ ، وَلَا تُفْطِرُوا حتى تَرَوْهُ ، فَإِنْ غُمَّ عَليكُم فَأَكْمِلُوا العدَّة ثلاثين » [٢] ، وفى رواية : « فَإِنْ غُمَّ عَليكُم فَصُومُوا ثلاثين يوماً » .

---

(١) سورة البقرة ، الآية (١٨٥) .
(٢) أخرجه الترمذى (٦٨٩) ، وأحمد (٥١/٦) ، والإمام مالك فى « الموطأ » صيام (٢) .

وفى « الموطأ » عن مالك عن نافع عن ابن عمر (رضى الله عنهما) أن رسول الله ﷺ قال : « لَا تَصُومُوا حتى تَرَوْا الهِلَال ، وَلَا تُفْطِرُوا حتى تَرَوْهُ ، فَإِنْ غُمّ عَليكُم فاقدروا له[1] : أى وإن استتر عليكم فَأَكْملُوا وأَتمُّوا العدّة ثلاثين يَوماً » ، وفى رواية حذيفة (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : « لَا تَصُومُوا الشَّهر حتى تَروا الهِلَال أَو تكملُوا العدَّة قبله ، ثُمَّ صُومُوا حتى تروا الهِلَال أَو تكملُوا العدَّة » .

وبهذا الحديث تبين معنى قوله ﷺ فى الحديث الآخر : « فَإِنْ غُمّ عَليكُم فاقدروا له » ، وليس المراد به التقدير الذى يراه المنجمون من تقدّم الشهر بالحساب على الشهر بالرؤية بيوم أو يومين ، فإن ذلك أحدث لسبب لم يشرعه الله تعالى ، فلا اعتداد به كما دَلَّت عليه الأحاديث الصّحاح ، والحسان ، أما إذا دلّ الحساب على أنَّ الهلال قد طلع من الأفق على وجه يُرى لولا وجود المانع كالغيم ، فهذا يقتضى الوجوب لوجود السبب الشَّرعى ، وليست حقيقة الرؤية مشترطة فى اللزوم ؛ لأن الاتفاق وقع على أن المحبوس فى المطمورة إذا علم بإكمال العدَّة أو بالاجتهاد أو بالإشارة الدَّالة على أنَّ اليوم من رمضان وجب عليه الصوم ، وإن لم ير الهلال ، ولا أَخبره مَنْ رآه .

قال بعض أهل العصر من المالكية : وما ذكره من قوله : أما إذا دلّ الحساب على أن الهلال قد طلع إلى آخره فغير ظاهر ، فإن الذى يفيده كلام صاحب « المختصر » ومن يعتمد على كلامه أنه لا يجب الصوم بذلك ، ونصّ **الشيخ خليل**[2] بعد ما ذكره أنه يثبت الصوم بالرؤية ، وبإكمال العدَّة ، وإن غيمت ، ولم يُرَ فصبيحته يوم الشك . انتهى .

---

(١) أخرجه البخارى (٣٤/٣) ، ومسلم (صيام ٣ ، ٦) ، والنسائى (١٣٤/٤) ، وأحمد (٦٣/٢ ، ٤٥٦) ، والدارمى (٣/٢) ، والإمام مالك فى « الموطأ » صيام (١) ، والبيهقى (٢٠٤/٤ ، ٢٠٨) .

(٢) هو : خليل بن إسحاق الجندى ، كان علماً بالقاهرة ، مجمعاً على فضله وديانته . توفى سنة (٧٤٩ هـ) . « الديباج » (٣٥٧/١) .

وظاهره : ولو أطبق الحساب على أن الهلال قد طلع .

﴿ **وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾[1] : علل لفعل محذوف دل عليه ما سبق : أى وشرع بعض ما ذكره من أمر المرخّص له فى الفطر ، وهو المريض والمسافر بالقضاء مع بيان كيفيته ، فإن إطلاق قوله : ﴿ **مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ** ﴾ : يدل على أن القضاء يجوز متتابعاً ، وغير متتابع ، ومراعاة عدّة ما أفطر فيه ، ومن الترخيص فى الفطر ، وأن قوله : ﴿ **وَلِتُكْمِلُواْ** ﴾ : علة للأمر بمراعاة عدد القضاء للمقضى .

وقوله : ﴿ **وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ** ﴾ : علة للأمر بالقضاء مع بيان كيفيته ، فكأنه قيل : إنما أمرناكم بالقضاء ، وعلمناكم كيفيته لتكبروا الله على ما هداكم إلى طريق الخروج من عهدة التكليف .

وقوله : ﴿ **وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾ : علة للترخيص والتيسير ، فكأنه قال : إنما رخَّصنَا لكم فى الإفطار ؛ لكى تشكروا ، وبهذا تبين لك أن كلام **البيضاوى**[2] فى قوله : ﴿ **وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ** ﴾ مشكل إذ عد من جملة المعلل أمر الشاهد بالصوم ، ولم يذكر له علة ، وأشار لما يفيد الأمر بالقضاء ، وبيان كيفيته من أن يجوز أن يكون غير متتابع ، وأنه لابدّ أن يطابق المقضى فى العدد بقوله : ﴿ **فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ** ﴾ ، ثم إنه أشار لعلّة وجوب مطابقة عدد القضاء للمقضى بقوله : ﴿ **وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ** ﴾ ، وأشار لعلّة وجوب القضاء ، وبيان كيفيته بقوله : ﴿ **وَلِتُكَبِّرُواْ اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ** ﴾ ، فذكر التفصيل فى العلل ، وأشار لمعللاتها بلفظ واحد وهو قوله تعالى : ﴿ **فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ** ﴾ كما عرفته .

ونص البيضاوى[3] فى قوله تعالى : ﴿ **وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ** ... ﴾ إلخ : علل

---

(١) سورة البقرة ، الآية (١٨٥) .

(٢) ، (٣) « تفسير البيضاوى » للآية رقم ١٨٥ من سورة البقرة .

لفعل محذوف دل عليه ما سبق : أي وشرع جملة ما ذكر من أمر الشاهد بصوم الشهر؛ والمرخّص له بالقضاء، ومراعاة عدّة ما أفطر، والترخيص بتكملوا العدّة : أي بقوله : ﴿ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ ﴾ : على سبيل اللّف : أي والنشر غير المرتب ، فإن قوله : ﴿ وَلِتُكْمِلُواْ ﴾ علة الأمر بمراعاة العدد : أي عدد القضاء للمقضى ، ﴿ وَلِتُكَبِّرُواْ اللَّهَ ﴾ : علة الأمر بالقضاء ، وبيان كيفيته ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ : علة الترخيص والتيسير . انتهى .

وقوله : وقد بان لك ممَّا قدمنا ما في كلامه من الإشكال ، وترك منه بيان كيفية القضاء ، وذكره في بيان المعلل ، **ثم قال البيضاوى**[1] : ويجوز أن يعطف قوله ﴿ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ ﴾ إلخ على ﴿ الْيُسْرَ ﴾ : أي فتكون اللام صلة داخلة على مفعول فعل لإرادة التأكيد كما في قوله تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُواْ نُورَ اللَّهِ ... ﴾[2] : أي يريد الله بكم اليسر ، ولا يريد بكم العسر ، وأن تكملوا العدة ... إلخ ، والمراد بالتكبير في قوله تعالى : ﴿ وَلِتُكَبِّرُواْ اللَّهَ ﴾ إلخ : تعظيم الله بالحمد والثناء عليه ، ولذلك عُدِّى بعلى ، **وقيل** : تكبير يوم الفطر ، **وقيل** : التكبير عند الهلال .

قال مُحَشِّيهِ في قوله : وقيل : تكبير يوم الفطر .

قال مالك والشافعى وأحمد وإسحاق وأبو يوسف[3] **ومحمد** (رحمهم الله تعالى) : يسن التكبير في يوم العيد استدلالًا بهذه الآية .

وقال أبو حنيفة[4] : يكره ذلك غداة يوم الفطر ، وقال في قوله : وقيل : التكبير عند الهلال : أي عند رؤية الهلال : أي هلال شوال .

---

(١) « تفسير البيضاوى » للآية رقم ١٨٥ من سورة البقرة .

(٢) سورة الصف ، الآية (٨) .

(٣) يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصارى صاحب أبى حنيفة ، توفى سنة (١٨٢ هـ) . انظر : « الأعلام » (١٩٣/٨) .

(٤) هو : أبو حنيفة النعمان بن ثابت التيمى بالولاء الكوفى إمام الفقه المجتهد أحد الأئمة الأربعة ، توفى سنة (١٥٠ هـ) . انظر : « الأعلام » (٣٦/٨) .

قال ابن عباس (رضى الله عنهما) : حقًّا علَى المسلمين إِذَا رأَوْا هلَال شوَّال أَنْ يُكَبِّرُوا .

و ﴿ **ما** ﴾ فى قوله : ﴿ **عَلَى مَا هَدَاكُمْ** ﴾ : مصدرية ، وفى جعلها موصولة بُعْدٌ من وجهين : استلزامه حذف العائد ، واحتياجه إلى ارتكاب حذف مضاف تقديره على اتباع الذى هداكم إليه ، ونحو ذلك . انتهى كلام المُحَشِّى .

قُرْبُ اللَّهِ من السَّائِل :

﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ** ... ﴾[1] : أى فَقُلْ لهم : إنى قريب ، فالفاء داخلة على قُلْ محذوفاً ، وهو جواب الشرط ، ولا يصحّ أن يكون الجواب ، فإنى قريب ؛ لأن القرب لايتسبب عن السؤال .

رُوى : « أنَّ أَعرابيًّا قالَ لرسُول الله ﷺ : أَقَرِيب رَبنَا فَنُنَاجيه أَمْ بَعيد فَنُنَاديه ؟ »[2] فنزلت .

﴿ **أُجِيبُ** ﴾ : خبر ثان لـ ﴿ **إِنِّى** ﴾ .

﴿ **دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ** ﴾ : إذا : ظرف لـ ﴿ **أُجِيبُ** ﴾ لدعوة الداعى ، **قاله الزمخشرى** : وإنما كان كذلك ، لأنه إذا جعل إذا دعانى ظرفاً لـ ﴿ **دَعْوَةَ الدَّاعِ** ﴾ اقتضى تقييد الإجابة بوقت الدعاء ، وأما إذا جُعل ظرفاً لـ ﴿ **أُجِيبُ** ﴾ فيفيد أن الإجابة غير مقيدة بوقت الدعاء .

﴿ **فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى** ﴾ الاستجابة : عبارة عن الاستسلام والانقياد ، والإيمان : عبارة عن صفة ، وهى التصديق بالقلب ، وتقدمها على الإيمان يدلّ على أن العبد لا يصل إلى نور الإيمان ، وقوته إلَّا بتقدّم الطَّاعَات والعبادَات ، والاستجابة والإجابة هنا بمعنى واحد ، قال الشاعر :

وداع دعا يا من يجيب إلى النِّدا ﴿ فلم يستجبه عند ذَاك مُجيب

فالمعنى : فليجيبونى كما أجبتهم إذا دعونى لمهماتهم .

---

(١) سورة البقرة ، الآية (١٨٦) .
(٢) أخرجه ابن جرير (٣/٤٨٠) .

﴿ **لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ** ﴾ **والرشد** : هو الاهتداء لمصالح الدين والدنيا ، ومعنى الآية : أنهم إذا استجابوا وآمنوا واهتدوا لمصالح دينهم ودنياهم رشدوا ؛ لأن الرشد من كان كذلك . انتهى .

فإن قيل : إنا نرى الدَّاعى يُبالغ فى الدَّعَوات والتَّضرع ولا يُجاب ، وهو خلاف ما تفيده هذه الآية .

وقوله : ﴿ ... **ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ** ... ﴾[1] .

وقوله : ﴿ **أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ** ... ﴾[2] أُجيب : بأن هذه الآية ، وإن كانت مطلقة إلَّا أَنَّها وردت فى آية أُخرى مقيدة وهو قوله تعالى : ﴿ **بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ** ... ﴾[3] ، والمطلق يحمل على المقيد .

وعن **عُبَادَةَ بن الصَّامت**[4] (رضى الله عنه) قال : سمعتُ رَسُول الله ﷺ يقول : « مَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَدْعُو اللهَ بِدَعْوَةٍ إِلَّا آتَاهُ اللهُ إِيَّاهَا أَوْ كَفَّ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا ، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ »[5] .

وأشار بعضهم إلى جواب آخر فقال : ﴿ **أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ** ... ﴾[6] . **الرَّفَثُ** : كناية عن الجماع ؛ لأنه : أى الجماع لا يكاد يخلو عن رفث ، وهو الإفصاح[7] بما يجب عرفاً أن يكنى عنه ، وعدى بإلى

---

(١) سورة غافر ، الآية (٦٠) . (٢) سورة النمل ، الآية (٦٢) .

(٣) سورة الأنعام ، الآية (٤١) .

(٤) هو : عبادة بن الصامت بن قيس الأنصارى الخزرجى ، أبو الوليد المدنى ، أحد النقباء ، وبدرى مشهور ، مات بالرَّملة سنة (٣٤ هـ) ، وله (٦٢ سنة) ، وقيل : عاش إلى خلافة معاوية . انظر : « التقريب » (ص ٢٩٢) .

(٥) أخرجه الترمذى (٣٥٦٨) ، وأحمد (٣/١٨) ، والحاكم (١/٤٩٣) .

(٦) سورة البقرة ، الآية (١٨٧) .

(٧) فى (خ) : الإيضاح .

لتضمنه معنى الإفضاء ، وإيثار لفظ ﴿ الرَّفَثُ ﴾ على غيره ، لتقبيح ما ارتكبوه ، وهو الجماع قبل إباحته ، ولذلك سمَّاه خيانة . انتهى .

وسبب نزول الآية : أن المسلمين كانوا فى شهر رمضان إذا أفطروا حلّ لهم الطَّعام والشَّراب ، والجماع إلى أن يُصَلُّوا العِشَاء الآخرة [(١)] أو يناموا قبلها ، فإذا صَلُّوا العِشَاءَ أو ناموا قبلها حَرُمَ عليهم الطَّعام والشَّراب والنِّساء إلى الليلة القابلة ، ثم إنَّ عمر [بن الخطاب] [(٢)] (رضى الله عنه) واقع أهله بعدما صلَّى العِشَاء ، فلما اغْتَسَل بكَى ، ولام نفسهُ ، فأتى النَّبىّ ﷺ ، فقالَ : يا رسول الله ، إنِّى أَعْتَذر [(٣)] إِلَى الله وإليكَ من نفسى هذه الخاطئة ، إنِّى رجعت إلى أَهلى بعد ما صَلَّيْت العِشَاء ، فوجدت رائحة طَيِّبة ، فَسَوَّلت لى نفْسى ، فَجَامَعت أَهلى ، فقال النَّبىّ ﷺ : ما كنت جَديراً بذلك يا عُمَر ، فقامَ رجالٌ واعترفُوا بمثله ، فنزلت هذه الآية فى عمر [(٤)] وأصحابه (رضى الله تعالى عنهم أجمعين) .

وعن **البراء بن عازب** [(٥)] أنهُ قال : إن قيس بن صِرْمة الأنصارى [(٦)] كان صائماً فأتى أهله عندَ الإفطار ، فانطلَقَتْ امرأتهُ تنظر شيئاً ، فغلبتهُ عيناه فَنامَ ،

---

(١) فى (خ) : الأخيرة .

(٢) هذه الزيادة من (خ) ، وهو عمر بن الخطاب بن نُفيل بن عدى بن كعب القرشى العدوى أمير المؤمنين ، مشهور ، جم المناقب ، استشهد فى ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين ، وولى الخلافة عشر سنين ونصفاً . انظر : « التقريب » (ص ٤١٢) .

(٣) فى (خ) : اعتذرت .

(٤) أخرجه الطبرى (١٦٤/٢ ، ١٦٥) ، وأورده ابن كثير فى « التفسير » (٢٢٠/١) ، وابن المنذر ، كما فى « الدر المنثور » (١٧٤/١) .

(٥) هو : الصحابى الجليل البراء بن عازب بن الحارث بن عدى الأنصارى الأوسى ، صحابى ابن صحابى ، نزل الكوفة استصغر يوم بدر ، وكان هو وابن عمر لدة ، (رضى الله عنهم أجمعين) ، مات سنة (٧٢ هـ) . انظر : « التقريب » (ت : ٦٤٨) .

(٦) هو : أبو صرمة ، وقيل : صرمة بن قيس بن مالك بن عدى بن عامر بن النجار الأوسى ، عاش نحواً من عشرين ومائة سنة ، وأدرك الإسلام فأسلم وهو شيخ كبير . انظر : « الإصابة » (٣٤٢/٣) .

فجاءته امرأته فوجدته قد نام ، فقالت : خيبة لك ، فلمّا انتصف النّهار من غد[1] غُشِي عليه فذكر ذلك للنّبيّ ﷺ ، فنزلت هذه الآية ، ففرح المسلمون بها فرحاً شديداً . انتهى[2] .

﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ : استئناف بيانى[3] يبين سبب الإحلال ، وهو قلة الصّبر عنهنّ ، وصعوبة اجتنابهن ؛ لكثرة المخالطة ، وشدَّة المُلَابسة ، ولما كان الرجل والمرأة يعتنقان وتشمل[4] حالة العناق كل منهما على صاحبه شبّه كلًّا باللباس للآخر ، **قال الجعدى**[5] :

إِذَا ما الضجيع ثنى عطفها[6] تثنت فكانت عليه لباساً

أو لأنَّ كلًّا منهما يستر صاحبه ، ويمنعه عن الفجور .

﴿ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ ﴾ : تظلمونها بتعريضها للعقاب ، وتنقيص حظّها من الثّواب ، والاختيان أبلغ من الخيانة : أى كأبلغية الاكتساب من الكسب .

﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾ : لما تبتم ممَّا اقترفتموه . انتهى .

وتجوز التوبة من الله ، وإن لم يتوبوا خلافاً للمعتزلة[7] .

﴿ وَعَفَا عَنكُمْ ﴾ : محى عنكم أثر ما اقترفتموه .

﴿ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ ﴾ : لما نسخ عنكم التحريم ، وفيه دليل على جواز نسخ السنة : أى القائلة بمنع الجماع بالقرآن ، والمباشرة إلزاق البَشْرَة بالبَشْرَة ، كَنَّى به عن الجماع .

---

(١) فى (خ) : الغد .
(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٣) .
(٣) فى (خ) : بيان .
(٤) فى (ع) : ويشمل .
(٥) هو : قيس بن عبد الله بن عدى بن ربيعة الجعدى أبو ليلى ، شاعر مُفْلِقٌ : أى يأتى بما يُعْجِبُ فى شِعْره ، من المعمرين ، اشتهر فى الجاهلية . توفى سنة (٥٠ هـ) .
(٦) فى (خ) : إذا ما اضطجع يثنى عطفها ...
(٧) فى (خ) : للمغيرة .

﴿ وَابْتَغُواْ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ : واطلبوا ما قدر [الله][1] لكم أثبته في اللوح المحفوظ من الولد . **والمعنى** : أن المباشر ينبغي أن يكون غرضه الولد ، فإنه الحكمة في خلق الشَّهوة ، وشرع النكاح لقضاء الوطر فقط[2] .

حَدُّ الصِّيامِ وَالإِفطَار :

﴿ **وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ** ﴾ : الأمر في ﴿ **بَاشِرُوهُنَّ** ﴾ ، ﴿ **وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ** ﴾ للإباحة لوقوعه بعد الحظر كما هو مذهب بعض **أهل الأصول** ، **وذهب بعضهم** إلى أنه لا يكون بعد الحظر للإباحة ، بل للوجوب ، لكن ترك حمله على الوجوب للإجماع على عدم وجوب شيء ممَّا ذكر ، وشبه أوّل ما يبدو من الفجر المعترض في الأُفق ، وما يمتد معه من غبش اللَّيل بخيطين ، أبيض وأسود ، واكتفى ببيان[3] الخيط الأبيض بقوله : ﴿ **مِنَ الْفَجْرِ** ﴾ عن بيان الخيط الأسود لدلالته عليه ، ولذلك البيان خرجا عن الاستعارة ، فإنه لا يذكر فيها طرفاها[4] ، وقد ذكر هنا طرفاها ، وهما الأبيض والفجر إلى التمثيل : أي التشبيه البليغ ، فإن المراد بقوله : ﴿ **الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ** ﴾ : أي ما هو كالخيط الأبيض .

وقوله : ﴿ **مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ** ﴾ : أي ما هو كالخيط الأسود ، وما روى أنها نزلت ، ولم ينزل من الفجر ، فعمد رجل[5] إلى خيطين : أبيض وأسود ، ولا يزالون[6] يأكلون ويشربون حتى يتبينا لهم ، فنزلت ؛ إن صح ما روى فلعله كان قبل دخول رمضان ، وتأخير البيان إلى وقت الحاجة جائز لو اكتفى أولًا باشتهار[7] الخيط الأبيض في الفجر ، والأسود في الظلمة : أي الليل ، ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهم .

---

(١) هذه اللفظة زيادة من (خ) .

(٢) في (خ) : لإفضاء الوطئ بالحفظ .

(٣) في (ع) : بياض .

(٤) في (ع) : طرفا .

(٥) في (خ) : تعمد رجال .

(٦) في (خ) : ولا يزالوا .

(٧) في (خ) : للاكتفاء وبالاشتهار .

﴿ ثُمَّ أَتِمُّواْ الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾ : بيان آخر وقته وإخراج الليل منه[1] فينفى صوم الوصال .

﴿ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِى الْمَسَاجِدِ ﴾ : المراد بالمباشرة إما الوطء كما **قاله**[2] **البيضاوى** ، أوهو ما ألحق به كَقُبْلَةِ الشَّهْوَةِ ، وعن **قتادة** : كان يعتكف فيخرج إلى امرأته ، فيباشرها ، ثم يرجع ، فنهى عن ذلك .

﴿ **تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ** ﴾ : المراد بحدود الله : الأحكام التى ذكرت .

وقوله : ﴿ **فَلَا تَقْرَبُوهَا** ﴾ : نهى أن يقرب الحدّ الجائز بين الحق والباطل ؛ لئلّا يتدانى الباطل فضلًا أن يتخطّى عنه كما قال (عَلَيهِ الصَّلَاةُ والسَّلَام) : « إِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَى ، وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ ، فَمَنْ رَتَعَ حَوْلَ الحِمَىٰ يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ »[3] .

وقوله : ﴿ **فَلَا تَقْرَبُوهَا** ﴾ : أبلغ من قوله : ﴿ **فَلَا تَعْتَدُوهَا** ﴾ .

ويجوز أن يراد بحدود الله : محارمه ومناهيه .

وقوله : ﴿ **كَذَلِكَ** ﴾ : أى مثل ذلك الذى سبق ... إلخ .

وقوله : ﴿ **يَتَّقُونَ** ﴾ : مخالفة الأوامر والنَّواهى .

العِتْقُ فى رَمضَان :

هذا ، وقد نظمت فوائد تتعلق برمضان ، وبغير ذلك **فقلت** :

برمضان كل ليل يعتق	ستون ألفاً جابذاً المصدّق
ومثل كل ذى بيوم الفطر	يعتقه فما له من أجر[4]
وجاء أَنَّ العتقا ست مئين	مِنْ الأُلوف كلَّ لَيْلٍ يافطين

---

(١) فى (ع) : عنه . (٢) فى (خ) : قال .

(٣) أخرجه البخارى (٥٢) ، وابن ماجه (٣٩٨٤) ، والدارمى (٢/٢٤٥) .

(٤) فى (خ) : ثلاث عشرات بغير نكر .

وَيَعتــق اللهُ بليــلة الخِتَــامْ | بِقَدْرِ مَا مَضَى حقيقاً يا إمام
وجاء أَيضاً عِتْــق أَلف أَلف | فى كُلِّ يَوْمٍ مَعَ لَيْلَة اعــرف
فِيمَا عَدا أُولى لَيــاليه الكِرام | فيعتــق الله بهــا كلّ الأنـام
ثُمَّ بليلِ التّســع والعشـرينا | كَعِتْـق مـا فى الشَّهْر أجمعينا
أو ألف ألف كلَّ لَيْـل ذا ورد | ثم بيــوم الختم قدر ذا العـدد
وَجَاء عِنْد كُلِّ فطـر وسُحُور | سَبْعة آلاف عَتِيــق للغَفُـور
وَصَـائم الأَوَّل مِنْــهُ تُغْفــر | ذُنُـوبه لمِثْــله فاستبشــروا
سَــبْعُون ألف مَــلك يُصَــلِّى[1] | علَى الَّذى يَصُوم فاحفظ نقـلى
من الغـدَاة للعَشى كل يوم | وَجَاء هَذَا غير مَخْصُوصٍ بِقَوم

(ش) أشرت بالبيتين الأوّلين من الأبيات المذكورة لما نقله شيخنا محمد البكرى[2] فى مؤلفه « إعلام الأنام بفضائل الصيام » ، وهو قال : قال رسول الله ﷺ : « إِذَا كانَ أَوَّل لَيْلَة مِنْ شَهْرِ رَمَضَان فُتحَتْ أَبْوَاب الجِنَان ، فَلَمْ يُغْلَق منهَا بَابٌ وَاحد الشَّهْر كُلَّه ، وغُلَّتْ عُتَـاة[3] الجِنّ ، وَنَادَى مُنَادٍ مِنَ السّمَاءِ كُلَّ لَيْـلَةٍ إِلَى انفجار الصُّبح : يَا بَاغى الخَير تمم ، وأَبْشِر ، ويَا بَاغى الشَّر قصّر ، وأَقصـر ، هـل مِنْ مُسْتَغْفر يُغْفَر لهُ ؟ هَلْ مِنْ تَائبٍ يُتَابُ عليهِ ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ يُسْتَجَابُ لهُ ؟ هَلْ مِنْ سَائلٍ يُعْطَى سُؤْلهُ ، ولله عندَ كُلِّ فطر فى شَـهْر رَمَضَـان كُلّ لَيْلَة عتقَـاء مِنَ النَّار ستونَ ألفاً ، فَإِذَا كانَ يَوْم الفِطْر أعتـق مثل ما أعتق فى جميـع الشَّهر ثلاثين مرَّة ستين ألفاً ستين ألفاً » رواه البيهقى[4] . انتهى .

---

(١) فى (خ) : تصلى .

(٢) هو : أبوعبد الله ، محمد بن أبى بكر بن أحمد العثمانى التونسى ، من سادات البكريين ، وارث الفضل كابراً عن كابر . لم نقف على سنة وفاته .

(٣) فى (خ) : عتاق .

(٤) انظر : « الكنز » (٢٣٧٠٤) ، والخطيب (٢٨٤/١) .

فقولي : « ومثل كل ذى بيوم الفطر ... إلخ » : أى الستين ألفاً ، وقلت بدله :

وَقَدْر ذا ثلاث عَشَرات يقع   عتق بيوم الفطر جا فليتبع

وقولي : « جا » : هو بالقصر للوزن ، وظاهره أنه يعتق الستين ألفاً ثلاثين مرَّة ، ولوكان الشهر تسعاً وعشرين ، وقلت بدل البيت الثانى أيضاً :

وقَدْرذا ثلاث عشر فادْرِ أني يكون   عندى بيوم الفطر لا ما هو دون

وقولي : « وجاء أن العتقا ست مئين البيتين » : أشرت بهما لما نقله **البيهقى والأصفهانى** قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ لله فى كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَان ستمائة أَلف عتيق من النَّار ، فَإِذَا كانَ آخر لَيلَة عتق بعدد ما مضَى »[1] .

قلت : وظاهر هذا أنه لا يزيد على عتق قدر ما مضى بستمائة ألف لليلة الختام ، وكأنه ترك العتق لها لكثرة ما حصل فيها من العتق ، وهو عتق قَدْر ما مضَى .

وأشرت بقولي : وجاء أيضاً عتق ألف ألف الأبيات لما رواه أبوهريرة (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : « إِذَا كانَ أَوّل لَيلَةٍ مِنْ رَمَضَان نَظَرَ الله تعالَى إِلَى خَلْقه ، وَإِذَا نَظَر إِلَى عَبدٍ لَمْ يُعَذِّبهُ أَبداً بالنَّار ، ولله فى كُلِّ يَومٍ وَلَيلَة أَلف أَلف عَتيق مِنَ النَّار ، فَإِذَا كانَتْ لَيلَة تِسع وعشرين أعتق فيهَا مثل ما أعتق فى كُلِّ الشَّهر ... »[2] الحديث .

وظاهر هذا أنه يعتق ليلة تسع وعشرين بقَدْر ما أعتق فى جميع الشَّهر

---

(١) انظر : « كنز العمال » (٢٣٧١٩)

(٢) انظر : « كنز العمال » (٢٣٧٠٧) .

ولو كان الشهر ثلاثين ليلة[1] ، وقلت : يدل لما[2] تقدّم .

وجا أنَّ المعتقـين أَلف أَلف ... في اليوم واللَّيلَة لا يغررك ضعف

إلَّا بأولى من ليـاليه فلا ... يوجـد مسلم من العتق خلا

لليـلَة تسع مع عشرين فبـه ... يعتـق قَدْر معتق الشَّهْر انتبـه

وقولى : أو ألف ألف كلّ يَوم ذا ، ورد البيت أشرت به لما نقله فى باب ما أعدّ الله تعالى لعباده فى رمضان فى أثناء حديث طويل ، وفيه : « ولله فى كُلِّ يومٍ مِنْ شَهْر رَمَضَان عندَ الإِفطَار أَلف أَلف عتيق مِنَ النَّار ، فَإِذَا كانَ آخر يَوْمٍ مِنْ شَهْر رَمَضَان أعتق الله فى ذلكَ اليَوم بقَدْر ما أعتق من أَوّل الشَّـهْر ... » إلى آخر الحديث . انتهى .

وقولـه : « أعتق الله فى ذلك اليوم » : أى عند الإِفطار بدليل ما قبله ، ثم أنه يستفاد من هذا أن العتقاء عند الإفطار فى ثمان وعشرين[3] ليلة من ليالى رمضان ؛ لأن الأولى من ليالى رمضان ، فليس[4] عندها إفطار ، والليلة الأخيرة من ليالى شوال .

قلت : وقوله : « فإِذَا كانَ أَوّل لَيلَة من رَمَضَان ... إلخ » : يفيد أنه يعتق أوّل ليلة جميع خلقه .

وقـوله : « ولله فى كُلِّ يَومٍ وَلَيلَة ... إلخ » : يخالف ذلك ؛ لأنه عتق جميع الخلق بأوّل ليلة ، فكيف يتصور وجود ألف ألف فيما عدا اليوم الأوّل قد استوجبوا النار حتي يعتقوا .

وقد يجاب : بأن قوله : « إِذَا نَظَرَ الله إِلَى عَبد ... إلخ » لا ينافى حصول ذنب من هؤلاء يستوجب العتق من النار ، ويحصل معه العتق من النار ، فالحاصل

---

(١) فى (خ) : يوماً .

(٢) فى (خ) : بدل ما .

(٣) فى (خ) : « ثلاث وعشرة » .

(٤) فى (خ) : « ليس » .

أن من حصل عتقه فى أوّل ليلة تارة يحصل منه ذنب يوجب النَّار ، ولكنه لا يؤاخذ به لعتق الله له ، وتارة لا يحصل منه ذنب يوجب النَّار أصلًا ، فكل منهما غير معذب ، وهذا موافق لقوله : « وَإِذَا نَظَرَ اللهُ إِلَى عَبْد لَمْ يُعَذِّبهُ أَبداً » .

وأما الجواب : بأن قوله : « فَإِذَا نَظَرَ إِلَى عَبد لَمْ يُعَذِّبهُ أَبداً » : محمول على من لم يحصل منه ذنب بعد ذلك ، فغير صواب لما فيه من التنافى فتأمله ؛ فإن قلت : إذا كان كل ممَّن حصل منه ذنب ، ومن لم يحصل منه ذنب لا يعذب بالنَّار ، فما الفرق بينهما ؟

قلت : لعل الفرق أن من حصل منه ذنب دون من لم يحصل منه ، ومن المعتقين فى زمن الصوم ، فإذا كان الشَّهر ثلاثين يوماً أعتق ثلاثين ألف ألف ، وإذا كان تسعاً وعشرين أعتق تسعاً وعشرين ألف ألف فى الدرجة ، وأيضاً من حصل منه ذنب وعتق أعلا ممَّن حصل منه ذنب ، ولم يعتق فى الدرجة ، فإن قلت : كل منهما لا يعذب بدليل أوّل الحديث ، فما فائدة كون بعضهم أعلا من بعض ؟

قلت : فى أن المعتق له مزية العتق على من لم يعتق ، وإن كان كل منهما لا يعذب ، ولعل المزية هى فى رفع الدرجات أو فيه ، وفى النظر إلى وجه الله تعالى ، وحرر ذلك ، وتأمله ، وانظر ما ورد فى الأحاديث المتقدّمة من أن المعتق فى حديث : « ستون ألفاً فى كلّ ليلة » ، وفى حديث : « إِنَّ المعتق فيها ستمائة ألف » ، وفى حديث : « إِنَّ المعتق فيها ألف ألف » ، هل ذلك محمول على أنه ﷺ أخبر أولًا : بأن المعتق ستون ألفاً فى كل ليلة ؟ ثم أخبر ثانياً : بأن المعتق ستمائة ألف ، ثم أخبر ثالثاً : بأن المعتق ألف ألف ، أو إن الخلف فى ذلك ، وقع من الرّواة ، فيعمل بما اعتمد منه أن علم وإلَّا استمر الخلف ، وهل

العتق فيمن آمن من الإنس ذكراً وأُنثى حيًّا وميتاً[1]، أو يجرى فيهم ، وفيمن آمنَ من الجنّ أيضاً ذكراً وأُنثى حيًّا وميتاً[2] :

فَضْلُ السُّجُود فى رَمضَان :

ثم له بكُلِّ سَجْدَة بليل	أَلْف وسبعمائة بغير ميل
من حَسناتٍ وَلَهُ رَبّ السَّمَاء	يَبنى بجنة الخُلْد بيتاً فاعلما
وَجاء لهُ أَيْضاً بكُلِّ سَجْدَة	مِنْ غَيْر تَقْييد لَهَا بلَيلَة
وَاحدَة مِن شَجَر الجِنَانِ	يَسير راكب بلَا توانى
فى ظِلِّهَا خمس مئين من سنين	أَو مائة روايتان يا فطين

وقلت : بدل البيت الأوّل ، ثم له بكل سجدة سجد بليلة بعدّ غث كما ورد . أشرت بهذه الأبيات **لما نقله العلاّمة ابن حجر الهيثمى**[3] فى « كفاية إتحاف أهل الإسلام بخصوصيات الصيام » ، قال ﷺ : « إِذَا كَانَ أَوّل لَيلَة مِنْ رَمَضَان فُتحَتْ أَبْوَاب السَّمَاء ، فَلَا يُغْلَق منهَا بابٌ حتَّى يَخرج آخر لَيلَة من رَمضَان ، وليسَ مِنْ عَبدٍ مُؤْمنٍ يُصَلِّى فى لَيلَة منها إِلَّا كتبَ الله لهُ ألفاً ، وسبعمائة حَسَنَة بكُلِّ سَجْدَة ، وبَنَى لَهُ بيتاً فى الجنَّة من ياقوتة حمراء ، فإِذَا صامَ أَوّل يَومٍ من رَمضَان غفرَ لهُ ما تقدَّم من ذَنْبِهِ إِلَى مثل ذلك اليوم من رمضَان ، وَيَسْتَغْفِر لهُ كُلّ يَوْمٍ سَبعُونَ أَلف مَلَك من صَلَاة الغدَاة إِلَى أَن توارت بالحجاب : أى إلى الغروب ، وكانَ لهُ بكُلِّ سَجدَة يَسْجُدهَا[4] فى

---

(١) فى (خ) : أو ميتاً .
(٢) فى (خ) : انتهى .

(٣) هو شهاب الدين أبو العباس ، أحمد بن محمد بن محمد بن على بن محمد بن على بن حجر الهيثمى ، السعدى ، الأنصارى ، الشافعى ، فقيه مشارك فى أنواع العلوم ، ولد فى محلة أبى الهيثم من إقليم الغربية بمصر ، وتوفى بمكة ، من مؤلفاته الكثيرة : « الفتاوى الهيثمية » ، و « الفتح المبين فى شرح الأربعين » ، للنووى ، ولد سنة (٩٠٩ هـ) ، وتوفى سنة (٩٧٣ هـ) ، وقيل سنة (٩٧٤ هـ) .
انظر : « معجم المؤلفين » (٢٩٣/١) .

(٤) فى (خ) : سجدها .

شَهْر رمضَان بلَيلٍ أَو نهَارٍ شَجَرةٍ يسير الرَّاكب فى ظِلِّهَا خمسمائة عام » رواه **البزار والبيهقى**[١] . انتهى .

والذى فى « الجامع الكبير » ما نصه : « ألفاً وخمسمائة حسنة » ، وعزَاه للبيهقى ، وعليه فما[٢] فى بعض النُّسخ : أنَّ لهُ بكُلِّ سَجْدَة بليلٍ ألفاً وسبعمائة حسنة تصحيف » ، وعلى ما فى « الجامع الكبير » يقال : بعد غث بالغين المعجمة والثاء المثلثة .

وقوله : « فَإِذَا صَامَ أَوّل يَومٍ من رَمَضَان غُفِرَ لهُ ما تَقَدّم من ذَنْبهِ [إلى مثل ذلك اليوم من رمضان][٣] قبل صَوم اليوم الأَوّل ، وما تأَخَّر مِنْ ذَنْبهِ مِنْ صَوْم ذَلكَ اليوم الأَوّل إلَى صَوم أَوّل يَوم من رَمضَان المستقبل ، ويَستَغْفر لهُ كُلّ يَوْم سَبعُونَ أَلف مَلَك من صَلَاة الغداة إلى أن توارت بالحجاب : أى الغروب ، وكانَ لهُ بكُلِّ سَجْدَةٍ يَسْجُدهَا فى شَهْر رمضَان بليلٍ ، أَوْ نهارٍ شَجَرة يَسير الرَّاكب فى ظِلِّهَا خمسمائة عام » **رواه البزار والبيهقى** . انتهى .

والمراد منه : أنه يغفر له ما تقدّم من ذنبه من صوم أَوّل يوم من رمضَان العام ، ويدلّ لما ذكرنا ما ذكره عن **البيهقى عن أبى سعيد الخدرى** (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ أَبوَاب السَّمَاء وَأَبوَاب الجَنَّة لتُفْتَح لأَوّل لَيلَةٍ من شَهْر رَمضَان ، فَلا تُغْلَق إلَى آخر لَيلَة منهُ ... إلى أن قال : فَإِذَا صَام أَوّل يَوْمٍ من شَهْر رمَضَان غَفَر الله لهُ كُلّ ذَنْب إلَى رمضَان ، وكانَ كفَّارَة إلَى مثله ... إلى أن قال : وكانَ لهُ بكُلِّ سَجْدَةٍ سَجدهَا من لَيلٍ أَو نهَارٍ شَجَرة يَسير الرَّاكب فى ظِلِّهَا مائة عام لا يقطعها » .

فقد ثبت من هذا ، وممَّا قبله الخلاف فى مدّة سَيْر الرَّاكب فى ظل

---

(١) رواه البيهقى فى « شعب الإيمان » (٣٦٣٥) من حديث أبى سعيد الخدرى (رضى الله عنه) .

(٢) فى (خ) : مما .

(٣) هذه الزيادة من (خ) .

الشَّجَرة التى خلقها الله بالسَّجْدَة ، هل هو خمسمائة عام ؟ أو مائة عام كما أشرت له فى النظم **بقولى** : « يسير الراكب بلا توانى فى ظلها ... إلخ » .

تنبيـــه :

ظاهر الأحاديث المتقدّمة أن عتق العدد المذكور على الاختلاف فى قدره لا يختص بالأحياء ، بل يكون فيهم ، وفى الأموات ، وظاهره يشمل المؤمن من الجنّ والإنس ، وظاهره أيضاً شمول الذكور والإناث .

تتمـــة :

وقف **عمر بن عبد العزيز**[1] (رضى الله عنه) بعد صلاة العيد فقال : « اللَّهُمَّ إِنَّكَ قلت وقولك الحق : ﴿ ... **إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾[2] ، فإن كنت من المحسنين فارحمنى ، وإن لم أكن من المحسنين ، فقد قلت : ﴿ ... **وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً** ﴾[3] فارحمنى ، فإن لم أكن من المؤمنين : أى كامل الإيمان ، فأنت أهل التقوى وأهل المغفرة ؛ لأنك قلت : ﴿ **وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ** ﴾[4] فاغفر لى ، فإن لم أكن مستحقًّا لشىء من ذلك ، فأنا صاحب مُصيبة ، وقد قلت : ﴿ **الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ** * **أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ** ﴾[5] ، اللَّهُمَّ فارحمنى .

وقولى : « ولهُ رَبّ السَّمَاء ... إلخ » .

فإن قيل : ما فائدة ذلك مع أنه ينال فى الجنة ما يشتهيه ، وإن لم يحصل منه هذه العبادة المخصوصة والسِّعة فى منزله ؟

---

(١) هو : أبو حفص ، عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموى القرشى ، الخليفة الصالح ، والملك العادل ، ولد ونشأ بالمدينة ، توفى سنة (١٠١ هـ) .

(٢) سورة الأعراف ، الآية (٥٦) .

(٣) سورة الأحزاب ، الآية (٤٣) .

(٤) سورة المدثر ، الآية (٥٦) .

(٥) سورة البقرة ، الآيتان (١٥٦ ، ١٥٧) .

قلت : لعلّ فائدة ذلك وشبهه إظهار عمله لأهلها ، وشهرته بينهم ، وزيادة السرور ، أو أنه يحصل له ذلك ، وإن لم يشتهيه [١].

فَضْـلُ قِرَاءَة سُورَة الفَتْـح :

وَمِن قَرأ أَوّل لَيـاليه الكِرَام ... فى نَفْله سُـورَة الفَتْح يا إِمـام
يَحْفظه الله بِـذَاك العـام ... قَدْ جَاء هذا فى حَديث سامى

(ش) أشرت به لما فى خبر أحمد بن دوست العلاف ونصه : **حدَّثنا إسماعيل بن محمد النحوى** ، حدثنا محمد بن عبد الملك قال : سمعت يزيد ابن هارون يقول : سمعت المسعودى قال : بلغنى أنَّ مَنْ قرأ فى أوّل ليلة من رمضان : ﴿ **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً** ﴾[١] فى التطوع حُفظَ ذلك العام . انتهى .

وهل مثل هذا يقال من غير توقيف من الشارع فلا يدل على رفعه ، أو أنه إنما يقال ذلك بتوقيف منه كالثواب فيكون ذلك من المرفوع ، بل هذا الثانى هو المتعين ؛ لأن هذا لا يقال بالاجتهاد ونحوه .

وقوله : « فى التطوع » ، وعدوله عن قوله : فى كُلِّ ركعة من تطوعه ، يدلّ على أنه يحصل له ما ذكر بقراءته سورة الفتح مرة واحدة فى تطوعه ، سواء قرأها فى الركعة الأُولى أو الثانية أو بعضها فى الأُولى وبعضها فى الثانية ، وقلت بدل الثانى :

زِيَادَةُ الرِّزق ، ورَفْـع الدَّرجَـات :

يَحْفظهُ بذَلكَ العَام القَـدِير ... من كُلِّ مَكْرُوهٍ يَا خَـبِير
وَمَنْ يُؤَدِّى فيـه قُربة كَمَنْ ... أَدَّى بما سِوَاه فرضـاً فاعلمن
وَالفرضُ فيهِ عَدْل سَبْعين من الـ ... فروض فى سِـوَاه مِنْ غَيْر خَلَلِ

---

(١) هكذا بالأصل ، والصواب : لم يشتهه .   (٢) سورة الفتح ، الآية (١) .

وَهُوَ شَهْر الصَّبْر واللذ يصبر   جَزَاؤه الجَنَّة فيهَا يحبر
وَمَنْ يُخَفِّف فيهِ عَمَّن مَلَكه   يُعْتَقُ مِنْ نَارِ الجَحِيم الْمُهْلِكَه
ثُمَّ بِهِ يُزَادُ رِزْق المؤمن   وأَن بِه صِيَامُه لم يكن
وَفِيهِ لَيْلَة مِنِ أَلف شَهْر   خَيْرٌ وهى يا صَاح لَيْلَة القَدْر

أشرت بهذه الأبيات لبعض ما فى خطبته (عليهِ الصَّلَاةُ والسَّلَام) التى خطبها من آخر يوم من شعبان فقال : « أَيُّهَا النَّاس قَدِمَ عَلَيْكُم شَهْرٌ عَظِيم ، شَهْرٌ مُبَارَك ، شَهْرٌ فِيهِ لَيْلَة القَدْر خَيْر مِنْ أَلْف شَهْر ، جَعَل الله صِيَامَهُ فَرِيضَة ، وَقيَام لَيْلِهِ تَطوعاً » كذا ببعض النُّسخ إلى أن قال : « مَنْ تَقَرَّب فيهِ بخصْلَة مِنْ خصَال الخَير كانَ كَمَنْ أَدَّى فَرِيضَة فيما سِوَاه ، ومن أَدَّى فيهِ فَرِيضَة كانَ كَمَنْ أَدَّى فيمَا سِوَاه سَبْعين فَرِيضَة ، وَهُوَ شَهْر الصَّبر ، والصَّبر ثَوَابهُ الجَنَّة ، وشَهْر المواسَاة ، وَشَهْر يُزَاد فيه رِزْق المؤْمن ، وَشَهْر أَوَّلهُ رَحْمَة ، وَأَوْسَطهُ مَغْفرَة ، وآخرهُ عِتْقٌ مِنَ النَّار ، مَنْ فَطَّر فيه صائماً كانَ مَغْفرَة لذُنُوبه ، وعتق رقبته مِنَ النَّار ، وكانَ لهُ مثل أَجره من غير أَنْ يَنقص من أَجْرِهِ شَيء ، قالُوا : يا رسول الله ليسَ كُلُّنَا يَجِد مَا يُفَطِّر الصَّائم ؟ فقال رسول الله ﷺ : يعطى الله هذَا الثَّواب لمن فَطَّرَ فيهِ صائماً على مذقة لبن ، أَو تَمْرة ، أَو شربَة ماء ، وَمَنْ أَشْبَع فيهِ صَائماً سَقَاهُ الله (عَزَّ وَجَلَّ) من حَوْضى شَربة لا يَظْمَأ بَعدهَا حتَّى يَدْخُل الجَنَّة ، وكانَ كَمَنْ أَعْتق رَقَبة ، وَمَنْ خَفَّف عن مملوكه فيه غَفَر الله لهُ ، وأَعْتقهُ مِنَ النَّار ، واستكثروا فيه من أَربع خصَال : خصلَتان ترضَون بهمَا رَبكُم ، وخصلَتان لا غنَى لكُم عنهُمَا ، أَما الخصلتان اللَّتان ترضونَ بهمَا ربكُم : فَشَهَادَة أَن لَا إِلَهَ إِلَّا الله ، وَتَسْتَغْفرونهُ ، وَأَما اللَّتان لا غنَى لكُم عنهُمَا : تَسأَلونَ الله الجَنَّة ، وَتَتعَوَّذُونَ بهِ منَ النَّار»[1] . انتهى .

وهذا الحديث خرجه كما قال فى « بستان الواعظين » ابن خزيمة فى

---

(١) رواه ابن خزيمة فى « صحيحه » (١٨٨٧) .

« صحيحه » : أى عن **سلمان الفارسى**[1] .

وقوله فى الحديث : « كانَ كمن أَدَّى فريضَة فيما سواه » : أى فيكون ثواب المندوب فيه كثواب سبعين مندوباً فيما سواه ، فإن ثواب الواجب كثواب سبعين مندوباً أخذاً من حديث رواه **ابن خزيمة والبيهقى** فى « شُعَب الإيمان » ذكره الجلال المحلى[2] فى قول **ابن السبكى**[3] مسألة : « إلَّا من يؤاخذ ... إلخ » ، ويبقى النظر فى شيء ، وهو أن المندوب عند **الشافعية**[4] يشمل السنة ، فهل ثواب الواجب عندنا كثواب سبعين سنة ، أو هو كثواب سبعين من المندوب ؟ وينظر أيضاً : هل السبعون التى تعدلها لا بد أن تكون من نوعه ، وأن تساويه فى العدد أَوْ لا ؟

وقولى : « ومن يُؤَد فيه ... » إلخ ، هو بظاهره يخالف ما تقدّم : من أن له بكل سَجْدَة تفعل فيه بليلة ألفاً وسبعمائة حسنة إلَّا أن يقال ما فى الخطبة محمول على مالم يرد فيه شيء بخصوصه ، ويجرى مثل ذلك فى قولى : « وأَجْر ما ينفق فيه مثل ماينفق فى سبيل خالق السما » .

ويأتى ذلك مع زيادة إن شاء الله تعالى .

---

(١) هو أبو عبد الله ، سلمان الفارسى ، ويقال له : سلمان الخير ، أصله من أصبهان ، وقيل : من رامهرمز ، أول مشاهده غزوة (الخندق) ، مات سنة (٣٤ هـ) .
انظر : « التقريب » (ص ٢٤٦) .

(٢) هو : جلال الدين ، محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد بن هاشم المحلى المصرى ، الشافعى ، مفسر ، فقيه ، متكلم ، أصولى ، نحوى ، منطقى ، ولد بالقاهرة ونشأ بها . من تصانيفه : « مختصر التنبيه » ، للشيرازى ، وفى « فروع الفقه » ، للشافعى ، و « شرح جمع الجوامع » ، للسبكى فى « أصول الفقه » . ولد سنة (٧٩١ هـ) ، وتوفى سنة (٨٦٤ هـ) . انظر : « معجم المؤلفين » ٩٣/٣) .

(٣) أبو نصر تاج الدين عبد الوهاب بن على بن عبد الكافى بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام الأنصارى ، الشافعى ، السبكى ، فقيه ، أصولى ، مؤرخ ، أديب ، ناظم ، ناثر ، ولد بالقاهرة . من تصانيفه : « طبقات الشافعية الصغرى والكبرى » ، و « الفتاوى » ، ولد سنة (٧٢٧ هـ) ، وقيل : سنة (٧٢٨ هـ) ، وتوفى سنة (٧٧١ هـ) . انظر : « معجم المؤلفين » (٣٤٣/٢) .

(٤) فى (خ) : عند الشافعى (رضى الله عنه) .

وقولى : « وَهُوّ شَهْر الصَّبر ... إلخ » هو بضم الهاء ، وتشديد الواو : لغة فى هـو .

وقولى : « واللَّذ يصبر ... إلخ » : إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ **وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيراً** ﴾[1] .

وقولى : « يحبر » : أى يسر ويكرم ، قال تعالى : ﴿ **ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ** ﴾[2] : أى تسرون وتكرمون .

وقوله فى الحديث : « شَهْرٌ أَوَّلُهُ رَحْمَة ... » إلخ[3] ، هذا ورد فى إيقاع الصلاة فى وسط وقتها فى حديث **الترمذى** ، **والدارقطنى** ما نصه : « الصلاة أَوَّل الوَقْت رضوان الله ، وآخر الوقت عفو الله »[4] . زاد **إبراهيم بن عبد الملك** ، وفى وسطه رحمة الله ، قال **النووى** فى « خلاصة الأحكام » حديثان ضعيفان . انتهى .

وعن **أبى بكر الصديق** (رضى الله تعالى عنه) أنه قال لما سمعه[5] رضوان الله أحب إلينا من عفوه . انتهى .

ومعنى العفو هنا : التَّوسعة لا عن ذنب للإجماع على أن المؤَخر إليه غير آثم ، ولا مقصر فى واجب . انتهى . **قاله بعض شراح** « مختصر الشيخ خليل » .

وقد نظمت ما تقدّم ممَّا ورد فى وقت الصلاة ووقت الصَّوم **فقلت** :

وَقْتُ الصَّلَاة وَالصَّوم :

رَحْمة ربِّى مبتدا شَهْر الصِّيام — وعِتْق نار منتهَاه يا إمَام
وَوَسطه مَغْفِـرَة الله كما — قَدْ جاءَ هذا فى حَدِيث فاعلما
رضْوان رَبِّى بدء ميقَات الصَّلَاة — وعفـوه آخـره بِلَا اشـتباه
وَوَسطه رَحْمَته والخلف فى — مَا بين ذين ما بدا لى فاعرف

(١) سورة الإنسان ، الآية (١٢) .
(٢) سورة الزخرف ، الآية (٧٠) .
(٣) انظر : « كنز العمال » (٢٣٧٢٥) .
(٤) أخرجه الترمذى (١٧٢) ، والحاكم (١/١٨٩) ، والدارقطنى (ص ٩٢) ، والبيهقى (١/٤٣٥) .
(٥) فى (خ) : سمعت .

وقولى : « والخلف فى ... إلخ » : أى أن ما ذكر من أنَّ أَوّل ميقات الصِّيام رحمة الله ، وأنَّ أَوّل وقت الصَّلاة رضوان الله لم يظهر لى ما حكمة الخلاف بينهما ، كما أنه لم يظهر لى ذلك : أى فى اختلاف التعبير فى آخر الوقتين ، وكذا فى وسطهما فتأمله .

وقولى : « ومن يُخفِّف فيه عن من ملكه ... إلخ » . اعلم أنه قد ورد عنه ﷺ الوصية بالمملوك ، والرِّفق به فى عدّة أحاديث ، فقد جاء فى حديث عن علىّ (رضى الله تعالى عنه) أن آخر ما تكلَّم أنه قال : « اتَّقوا الله فيمَا مَلَكَتْ أَيْمَانكُم »[١] .

وجاء فى حديث : « آخر ما تَكلَّم به جلَال رَبِّى الرَّفيع ، فقد بَلَّغت »[٢] ، ثم قضى رسول الله ﷺ .

وقوله : « ثُمَّ قضَى » : مدرج من الرَّاوى .

وقوله : « جَلَال رَبِّى الرَّفيع » : منصوب بمقدر : أى أختار جلال ربى .

وفى حديث آخر ما تَكلَّم به أن قال : « قاتَل الله اليهود والنَّصارى ، اتَّخَذُوا قُبُور أَنْبيائهِم مَسَاجد »[٣] .

وجمع بين الأحاديث الثلاثة : بأن الأول آخر ما تكلم به من الوصايا ، والأخير آخر ما تكلم به من غيرها ، ولم يحضرنى الآن ما المقدّم منهما ، والوسط آخر ما تكلم به مطلقاً : أى أنه لم يتكلَّم بعده بشىء ، وجاء فى الرِّفق بالمملوك أيضاً حديث : « للمملوك طعامه ، وكسوته بالمعروف ، ولا يُكَلَّف مِنَ العَمَل مَا لَا يُطيق »[٤] .

---

(١) أخرجه أحمد (١/٧٨) ، والبيهقى (٨/١١) .

(٢) لم نعثر عليه بهذا المعنى .

(٣) أخرجه الترمذى (٨١٣) ، وأحمد (٢/٢٨٥) ، والبيهقى (٦/١٣٥) .

(٤) أخرجه مسلم فى « الإيمان » رقم (٤٢) ، وأحمد (٢/٢٤٧) ، والبيهقى (٨/٦) ، وابن حبان (١٢٠٥) .

وقوله : « بالمعروف » : أى من غير إسراف ولا إقتار ، بل بقدر وسع السَّيّد ، وحال العبد ، فليس الأسود الوغد الذى للخدمة والحرث كالتاجر النَّبيل الفاره سواء فيما يجب لهما ، وفيه دليل على عدم وجوب مساواة العبد لسيده ، فله أن يخصّ نفسه عن مملوكه بشىء ، وهو خلاف ما جاء فى حديث : « أَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ ، واكْسُوهُمْ مِمَّا تُكسَوْن ، وَلَا تُكلِّفُوهُم مِنَ العَمَل ما لَا يُطيقُونَ »[1] ، وبظاهره أخذ أبو ذر (رضى الله عنه) ومن وافقه ، والجمهور على خلافه ، والأخذ بالأوّل .

وقد جاء أيضاً الأمر بالرّفق بالمملوك غير العاقل ، ومن ذلك حديث : « أَنهُ ﷺ دَخلَ حائط شخص من الأَنصار ، فَإِذَا فيهِ جَمَل ، فلمَّا رَأَى النَّبىّ ﷺ رَقّ لهُ ، وذرفَتْ عَينَاه ، فَمَسَح (عَلَيهِ الصَّلَاة والسَّلَام) عَينيه حتَّى سكن ، ثُمَّ قالَ : لمَنْ هذَ الجَمَل ؟ فقال شخص من الأَنصار : هُوَ لى يا رسول الله ، فقال ﷺ : أَفلَا تَتَّقى الله فيه ، فإنهُ شَكَى[2] لى أَنكَ تجيعه أَو ما يقرب من هذَا »[3] . انتهى .

تتمـــة :

كان عند **ميمون بن مهران**[4] ضيف واستعجل على جاريته العشَاء ، فجاءَتْ مُشْرِعَة ، ومعها قَصْعَة مملوءَة ، فعثرت فانكبَّتْ على رأس سيّدها ميمون ، فقال : يا جارية أحرقتينى ، قالت له : يا مُعَلِّم الخير ومُؤَدّب النَّاس ارجع إلى ما قالَ الله عَزَّ وَجلَّ ، قال لها : وما قال الله ؟ قالت :

---

(١) أخرجه مسلم فى « الزهد » (ص ٧٤) .

(٢) فى (خ) : شاكى ، وأخرجه أبو داود (٢٥٤٩)

(٣) رواه أحمد (١٧٠/٤) ، والبيهقى (١٣/٨) .

(٤) هو : أبو أيوب ، ميمون بن مهران الرقى ، فقيه من القضاة ، كان مولى لامرأة بالكوفة ، وأعتقته ، كان عالم الجزيرة ، وسيدها ، واستعمله عمر بن عبد العزيز (رضى الله عنه) على خراجها وقضائها ، وكان كثير العبادة ، ولد سنة (٣٧ هـ) ، وتوفى سنة (١١٧ هـ) .
انظر : « الأعلام » (٣٤٢/٧) .

﴿ ... وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ ... ﴾[1]، قال : قد كظَمْت غَيظى ، قالت : ﴿ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾ ، قال : قد عَفَوْت عنك ، قالت : زد ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ، فقال : أنت حُرَّة لوجه الله تعالى .

وقولى : « ثم به يزاد رزق المؤمن » أشرت به لقوله (عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام) فى الخطبة ،و « شهر يزاد فيه رزق المؤمن » ، **والمؤمن** : صفة لمحذوف تقديره الشخص المؤمن ، فيشمل الأُنثى .

وقولى : وإنَّ به صيامه لم يكن هذا مُستفاداً من ظاهر الحديث ، ولعله محمول على من لم يكن فطره محرماً :

قَبُولُ الدُّعَـاء :

وَفِيه أَبْوَاب السَّمَاءِ تُفْتَح   وَيُقْبَل الدُّعَـاء به وينجح
كفتحها فى غَيْره عِنْدَ الزَّوَال   إِلَى صَلَاة الظُّهْر من غَيْر احْتِمَال
وَفِى لَيَاليه يُنَادِى مَلَك   هَلْ من كَذَا فَيستجيب المَلِك

المَلَك الأَوّل بفتح اللام ، والثانى بكسرها ، وبهذا يخصص[2] .

قولهم : « العالى للعالى ، والسافل للسافل » : فيقيد بما إذا لم يرد بالعالى الله تعالى ، وأشرت بقولى : « وفيه أبواب السَّما تفتح » ، وبقولى : « وفى لياليه ينادى ملك ... إلخ » ، لما تقدّم فى أَوّل شرح هذا النظم عن البيهقى ، والأصبهانى ، وعن أبى سعيد الخدرى (رضى الله عنه) أيضاً عنه ﷺ : « إِنَّ أَبْوَاب السَّمَاء ، وَأَبوَاب الجَنَّة تُفْتَح لأَوّل ليلَة من شَهْر رَمضَان ، فَلَا تُغْلَق إِلَى آخر لَيلَة منه »[3] .

والغاية داخلة ، ولما ذكر فى « البستان » من حديث : « إِنَّ لله ملكاً رأسهُ تحت العَرش ورجلَاه فى تخوم الأَرض لهُ جَناحَان أَحدهُما بالمشرق والآخر بالمغرب أَحدهُما من ياقُوتة حَمْراء والآخر من زَمُرُّدَة[4] خَضْرَاء يُنادى كُلّ ليلة

---

(١) سورة آل عمران ، الآية (١٣٤) .
(٢) فى (خ) : يخصُّ .
(٣) انظر : « كنز العمال » (٢٣٧٠٥ ، ٢٣٧٠٦) .
(٤) فى (خ) : زبرجدة .

من شَهْر رمضَان : هَلْ من تَائب فَيُتَاب عليهِ ؟ هَلْ من مُسْتَغْفر فَيُغْفَر لهُ ؟ هَلْ مِنْ طَالب حَاجَة فيستعدّ لحاجته ؟ يَا طَالب الخَير أَبْشر ، ويَا طَالب الشَّر أَقصر »[1] .

وقولى : « ويقبل الدعاء به وينجح » : أى إن الدعاء يقبل بشهر رمضان بليله ونهاره كما ذكره فى « عدّة الحصن الحصين » من أن من أوقات الإجابة شهر رمضان . قال فى الباب الثانى ما نصه :

فَصْلٌ فى أَوْقَات الإِجَابَة

أوقات الإجابة ليلة القدر (س ق م ش) ، ويوم عرفة (ت) ، وشهر رمضان (ر) ، وليلة الجمعة (ت م س) ، ويوم الجمعة (د س ق حب مس) ، وهى ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تنقضى الصَّلَاة : أى بين الجلسة الثانية ... إلخ ، والأقرب أنها عند قراءة الفاتحة حتى يؤمن ، ونصف الليل (ط) الثانى (ا ص) ، وثلث الليل الأول (ا ص) ، وثلث الليل الأخير (ا) وجوفه (د ت س مس ط ر) ، ووقت السَّحر (ع) . انتهى .

وقد جاء فى الحديث : « إِنَّ ممَّا يُستَجاب فيه الدُّعاء : ليلتى العيدين وليلة نصف شعبان ، وأَوّل ليلة من رجب » ، فهذه مع ما تقدّم ستّ ليال يُستَجَاب فيها الدُّعَاء ، وكذا يستجاب فى يوم عَرفَة ، وفى رمضَان كما علمت[2] ، وقد نظمت ذلك فقلت :

وستّ ليالٍ يُجَابُ الدُّعَا بهَا ليلَتا العيد[3] لا تنكر
وليلَة نصف لشعبان ضف وقدر وجمعه فاستبشر
وأولى ليالى الأَصب الذى من الحرم المجتبى الأَزهر
وشَهْر الصِّيام ويَوْم يكو ن به موقف الحج لا تمتر

---

(١) ذكره ابن الجوزى فى « العلل المتناهية » (٤٢/٢) .
(٢) فى (خ) : كما علمته . (٣) فى (خ) : ليلة العيدين .

فإن قيل : قد علم ممَّا ذكر أنَّ الدعاء بليالى رمضان وأيامه مُستجاب ، وثبت أيضاً أنَّ الدُّعاء الذى يدعوه الصَّائم مستجاب [1] ، كما جاء فى الحديث [2] : « نَوْم الصَّائم عبَادَة ، وصمته تَسْبيح ، ودُعَاؤه مُسْتَجَاب » كما يأتى ، وعلى هذا فينظر ما فائدة قوله فى الحديث : « ولهُ عندَ فطْره دَعْوَة لا ترد » [3] .

قلت : لعل هذا بالنسبة إلى صائم حصل منه ما يمنع قبول دعائه ، فقد جاء أنَّ الصَّائم فى عبادة ، وإن كان نائماً ما لم يَغْتَبْ أحداً ، وهذا إنما يتم إن ثبت أن حصول الغيبة أو نحوها من الكبائر يمنع قبول الدعاء الحاصل عند الفطر ، والظَّاهر خلافه ، وأنه لو قيل بأنه يمنع قبول الدعاء ، فإنما يمنع قبول ما حصل منه من الدعاء بوقت الغيبة [4] ، وقد يقال : إنما خصّ (عَلَيهِ الصَّلَاةُ والسَّلَام) حالة الفطر بذلك ، وإن كان جميع ليله يُستجاب فيه الدعاء ؛ لأنَّ حالة الفطر مظنة حصول الغَفْلَة فيها عن الدعاء ، ثم إن ما ذكر من قبول الدعاء بليالى رمضان يقتضى أن عدّهم فى الليالى الستّ التى يُستجاب فيها الدعاء ليلة الجمعة وليلة القَدْر يحمل على ما إذا كانت الليلتان المذكورتان من غير رمضان .

ثم إذا شهر الصِّيام يدخُل   تُفْتَح أَبواب الجِنَان يَا فل
وَتُغْلَق الأَبواب من جَهَنَّم   قَدْ جاء هذَا فى حديث مُحكم

استشكل هذا القول بأن أبواب الجنان مُفَتَّحة دائماً فى غير رمضان ، وأبواب النَّار مُغلقة فى غيره أيضاً ، وبأن هذا الحديث مسوق للترغيب فى

---

(١) فى (خ) : يستجاب ، ورد هذا بمعنى الحديث : « للصائم عند إفطاره دعوة مستجابة » . انظر : « كنز العمال » (٢٣٥٩٢) .

(٢) فى (خ) : حديث .

(٣) ذكره النووى فى « الأذكار النووية » (ص ١٧٣) .

(٤) فى (خ) : بوقت الصيام .

الصوم ، وفتح أبواب الجنان ، وغلق أبواب النيران لا يقتضى الرَّغبة فى الصَّوم إذ الحىّ لا يدخل الجنَّة ولا النَّار حالة[1] .

وأُجيب عنهما : بأن فتح أبواب الجنان : كناية عن هبوط غيث الرَّحمة ، وغلق أبواب النيران : كناية عن تنزيه أنفس الصوّام عن رجس الآثام وكبائر[2] الذنوب .

وأُجيب عن الثانى فقط بجواب أيضاً وهو : أنه إذا علم الصَّائم أن[3] الملائكة تحمد من تفتح له أبواب الجنة[4] ، وأن ذلك بمنزلة عظيمة عند الله تعالى كان ذلك مرغباً له فى صوم[5] رمضان .

ثم إذا قيل : إن أبواب الجنَان مُفتَّحة دائماً فيشكل[6] عليه حديث : « آتى باب الجنَّة فأَستفتح فيقول الخَازن : مَنْ أَنتَ ؟ فأقول : مُحَمَّد[7] ، فيقول : بكَ أُمرت أَنْ لَا أَفْتح لأَحد قَبْلك »[8] .

وأُجيب : بأنها تغلق قبل مجيئه[9] لإظهار مقامه وشرفه ﷺ ، ولو قيل بمثل ذلك فى حديث : « إِنَّ أَبواب الجنَّة تُفْتَح فى رمضَان »[10] : أى أنها تغلق قبل رمضان ، فإذا جاء رمضان فُتحت لإظهار شرفه على سائر الشهور .

وقوله : « ... أَنْ لَا أَفتح لأَحد قَبْلك » : بدل اشتمال ، بدل من الكاف فى بك إذ الجملة تبدل من المفرد بدل اشتمال ، وإن لم تكن فى تأويل المفرد : أى أُمرت أن لا أفتح لأحد قبلك من الخلق .

ثم إن الأوَّلية المستفادة من قوله : « بك أُمرت أن لا أفتح لأحد قبلك » ،

---

(١) فى (خ) : حال .
(٢) فى (خ) : كبار .
(٣) فى (خ) : بأن .
(٤) فى (خ) : الجنان .
(٥) فى (خ) : شهر رمضان .
(٦) فى (خ) : فيستشكل .
(٧) فى (خ) : محمد ﷺ .
(٨) أخرجه مسلم فى « الإيمان » (٣٣٣) ، وأحمد (١٣٦/٣) .
(٩) فى (خ) : قبل مجيئه بهنيهة : أى بشيء يسير من الزمن .
(١٠) تقدم تخريجه .

لا يشكل بإدريس (عَلَيهِ السَّلَام) ، حيث أدخل الجنَّة بعد موته ، وهو فيها كما ورد ، لأنَّ المراد الدخول التَّام يوم القيامة ، وإدريس (عَلَيهِ السَّلَام) يحضر الموقف للسؤال عن التبليغ ، ولا بأن « السبعين ألفاً الدَّاخلة بغير حساب يدخلون »[1] قبله ، لأنَّ دخولهم بشفاعته فنسب إليه ، واعتراض التعبير بـ « سبعين ألفاً » بأن فيه قصوراً لثبوت الزِّيادة هو القصور إذ العرب إنما تريد بنحوه المبالغة فى التكثير ، ومثله غير عزيز ، ألا ترى إلى ما ذكره المفسرون فى ﴿ ... سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً ... ﴾[2] ، ولا بخبر أحمد أنَّ النَّبىّ ﷺ قال لبلال : « بم سبقتنى فما دخلت الجنة إلَّا سمعت خشخشتك أمامى »[3] ؛ لأنها رؤيا منام ، ولا يقدح فيه أن رؤيا الأنبياء (عليهم الصَّلَاة وَالسَّلَام) حق إذ معناه : أنها ليست من الشيطان ، وبلال[4] مثل له ماشياً أمامه : إشارة إلى أنه استوجب الدخول بسبقه إلى الإسلام وتعذيبه فى الله ، وأن ذلك صار أمراً محققاً ، وقد أشار إلى ذلك السمهودى[5] فقال : ليس فى حديث بلال (رضى الله عنه) أنه يدخل الجنَّة قبل المصطفى ﷺ فى القيامة ، وإنما رآه فى المنام ، والمراد سريان الروح فى حالة النوم فى تلك الحالة تنبيهاً على فضيلة عمله[6] .

---

(١) فى (خ) : يدخلون فيها ، وقد ورد هذا اللفظ فى حديث أخرجه الدارمى (٣٢٨/٢) ، وانظر « السلسلة الصحيحة » (٧٢٨/٢) .

(٢) سورة الحاقة ، الآية (٣٢) .

(٣) أخرجه الترمذى (٣٦٨٩) .

(٤) فى (خ) : فبلال .

(٥) هو : نور الدين ، أبو الحسن على بن عبد الله بن أحمد بن على بن عيسى الحسنى الشافعى المعروف ، بالسمهودى ، مؤرخ ، فقيه . ولد بسمهود فى مصر ونشأ بها ، وتوفى بالمدينة ، من تصانيفه : « خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى » . انظر : « معجم المؤلفين » (٤٦٣/٢) .

أو هو : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن على بن محمد بن عمر بن عيسى بن محمد بن محمد السمهودى الأصل ، المعروف بابن القطان ، الشافعى ، محدث ، مقرئ ، فقيه ، قرضى ، نحوى ، عارف بالرجال ، من آثاره : « المشرب الهنى فى شرح مختصر المزنى فى فروع الفقه » .

انظر : « معجم المؤلفين » (٥٤٤/٣) .

(٦) فى (خ) : علمه .

وأما الجواب : بأن دخوله كالحاجب له إظهاراً لشرفه ، فلا يلائم السّياق إذ لو كان كحاجب له لما قال له : « بمَ سَبقْتنى » ، وليت شعرى ماذا يصنع من أجاب بخبر أبى يعلى وغيره : أَوَّل من يُفتَح لهُ باب الجَنَّة أَنا إِلَّا أن امرأَة تُبادرنى فأقول لهَا : مالك ، أو مَنْ أَنت ؟ فتقول : أَنا امرأة قَعدت على يتامى » [1] .

وخبر **البيهقى** : « أَوَّل مَنْ يقرع باب الجَنَّة عَبدٌ أَدَّى حقّ الله ، وحَقّ مَوَاليه » [2] .

وأقول : هذه أجوبة كلّها لا ظهور لها ، ولا طائل تحتها ولا حاجة إليها ، إذ ليس فيها [3] الخبر بخصوصه إلَّا أنه أَوّل من يُفتَح له باب الجنَّة ، وليس فيه أنهُ أَوّل داخل ، بل يُحتَمل أن يستفتح [4] لأجلهم ، ويقدّم هو من شاء من أُمَّته فى الدخول اهتماماً بشأنه كما هو متعارف فى الدنيا ، فإن أبيت إلَّا جواباً على فرض أنهُ أَوّل داخل ، وهو ما ورد فى أحاديث أخرى فدونك جواباً يثلج الفؤاد الرؤوف الجَوَّاد ، وهو أنه قد ثبت فى خبر مسند [5] : أن دخول المصطفى [6] يتعدّد ، فالدخول الأَوّل لا يتقدَّمه ، ولا يشاركه فيه أحد ويتخلّل بينه ، وبين ما بعده دخول غيره ، فقد روى **الحافظ ابن منده** [7] فى كتاب

---

(١) أخرجه أبو يعلى فى « مسنده » (٦٦٥١) ، وقال الهيثمى فى « مجمع الزوائد » (١٦٢/٨) رواه أبو يعلى ، وفيه عبد السلام بن عجلان ، وثقه أبو حاتم وابن حبان ، وقال : يخطئ ويخالف وبقية رجاله ثقات .

(٢) رواه البيهقى فى « شعب الإيمان » (٨٦١١) .

(٣) فى (خ) إذ ليس فى هذا الخبر .

(٤) فى (خ) : يفتح .

(٥) فى (خ) : مسدد .

(٦) فى (خ) : المصطفوى .

(٧) هو : أبو عبد الله العبدى ، محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى ، ابن منده الأصبهانى ، من كبار حفَّاظ الحديث الراحلين فى طلبه ، وقال عنه ابن أبى يعلى : بلغنى عنه أنه قال : كتبت عن ألف وسبعمائة شيخ . من كتبه « معرفة الصحابة » ، و« كتاب الإيمان » ، ولد سنة (٣١٠ هـ) ، وتوفى سنة (٣٩٥ هـ) . =

« الإيمان » بسنده عن **أنس**[1] (رضى الله عنه) رفعه : « أَنا أَوَّل النَّاس تَنْشَقّ الأَرض عن جمجمتى يوم القيَامة ، ولا فَخْر ، وأُعطى لواء الحَمْد ولَا فَخْر ، وَأَنا أَوّل مَنْ يدخُل الجَنَّة ولَا فَخْر ، أَجيء باب الجَنَّة ، فآخذ بحلقتهَا ، فيقولون : مَنْ هذَا ؟ فأقول : أنا مُحَمَّد ، فيفْتحُونَ لى ، فأَجد الجَبَّار مستقبلنى ، فأَسْجُد لهُ ، فيقول : ارفَعْ رأسك ، وقُل يُسمَعْ منكَ ، واشْفَع تُشفع ، فأَرفَع رأسى فأقول : أُمَّتى أُمَّتى ، فيقول : اذهب إِلَى أُمَّتك ، فَمَنْ وَجَدت فى قلبه مثقَال حَبَّة من شعير مِنَ الإيمان فأَدخلهُ الجَنَّة ، فأُقْبِلُ فَمَنْ وَجَدت فى قَلْبِهِ ذلكَ فأدخلهُ الجَنَّة ، فإذا الجَبَّار مستقبلى فَأَسْجُد لهُ ... »[2] الحديث ، وكرر فيه الدخول أربعاً ، وفى البخارى نحوه : فتندفع الإشكالات وترتفع[3] الشبهات ، ويستغنى عن تلك التكلفات .

وفى أبى داود عن أبى هريرة (رضى الله عنه) مرفوعاً : « أَنَّ أَبا بكرٍ (رضى الله عنه) أَوّل مَنْ يَدخُل الجَنَّة من هذه الأُمَّة »[4] ، ولعله أراد أَوّل داخل من الرجال بعده ، وإلَّا فقد جزم المصنّف وغيره بأن[5] من يدخلها بعد النَّبىّ[6] ﷺ ابنته فاطمة (رضى الله عنها) **لخبر أبى نُعَيْم** : « أَنا أَوّل مَنْ يَدخُل الجَنَّة وَلَا فَخْر ، وَأَوّل مَنْ يَدخُل علىَّ الجَنَّة ابنتى فاطمة »[7] .

وقد انبسط الكلام فى هذا الخبر وما كان لنا باختيار ، ولكن قد تضمن

= انظر : « الأعلام » (٦/٢٩) ، و« طبقات الحنابلة » (٢/١٦٧) ، و« ميزان الاعتدال » (٣/٢٦) .

(١) هو : أنس بن مالك بن النضر الأنصارى الخزرجى (رضى الله عنه) ، خادم رسول الله ﷺ ، خدمه عشر سنين ، مات سنة اثنين ، وقيل : ثلاث وتسعين ، وقد جاوز المائة .

انظر : « التقريب » (ص ١١٥) .

(٢) أخرجه ابن منده (٢/٨٤٦) ، وأحمد (٣/١٤٤) .

(٣) فى (خ) : ونرفع .

(٤) أخرجه أبو داود (٤٦٣٠) .

(٥) فى (خ) : إلى أن .

(٦) فى (خ) : يدخلها بعده ﷺ .

(٧) انظر : « مجمع الزوائد » (٧/٣٤٩) .

أسراراً جرّنا حبها إلى إبداء[1] بعضها ، وبعد ففى الزّوايا خبايا ، والحق سبحانه وتعالى ، هو القائم بالبيان ومنه الطّوْل والإحسان (ص) .

وفيه أكثِروا مِنَ اسْتغْفَار وسؤل أن تكفوا عذاب النّار[2]
كذا شهادةِ وسؤل الجَنَّة بفَضْل ربنَا عَظيم المنة
والأوّلان بهما رضَى الكريم ولَا غنَى عن باق هذا يا فهيم

اسْتحبابُ الاسْتِكْثَار من خِصَالِ الخَيْر :

(**ش**) أشرت به لما فى الخطبة من قوله : « واستكثروا فيه من أَربع خصَال : خصلَتان ترضَون بهمَا رَبكُم ، وخصلَتان لا غنَى لكُم عنهُمَا ، أَما الخصلتان اللّتان ترضونَ بهمَا ربكُم : فَشَهَادَة أَن لَا إِلٰهَ إِلَّا الله ، وَتَسْتَغْفِرونهُ ، وَأَما اللّتان لا غنَى لكُم عنهُمَا : فتسألونَ الله الجَنَّة ، وَتَتعَوَّذُونَ بِهِ منَ النَّار وأحسن منه » .

واستكثروا فيه من الشّهَادَة وطَلَب الغُفْران دُونَ مرية
وسؤلهُ إبعَادكُم عن الجَحيم كسؤله إدخَالكُم دَار النّعيم
وَالأَوّلَان بهما رضى الكريم ولَا غنَى عن باق هذَا يا فهيم

وقلت أيضاً :

واسْتَكْثروا فيهِ مِن اسْتعَاذَة مِنَ الجَحيم وسؤل الجَنَّة
وطَلَب الغُفْران والشَّهَادَة لله بالفرديَّة المُرادَة

وقوله فى الخطبة : « فَشَهَادَة أَن لَا إِلٰهَ إِلَّا الله » : يحتمل أن يريد به ما دلّ عليه ظاهر اللّفظ وهو : « أَشْهَدُ أَن لَا إِلٰهَ إِلَّا الله » ، ويحتمل أن يكون أراد به الشهادتين ، ويحتمل أن يريد به « لَا إِلٰهَ إِلَّا الله مُحَمَّد رَسُول الله » فقط .

وقوله : « ويستغفرونه » : لم يعين فيه صيغة الاستغفار ، والأَوْلى أن يكون بصيغة سيّد الاستغفار وهو : « اللّهُمَّ أَنتَ رَبِّى لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنتَ خَلَقْتَنى وَأَنا

(١) فى (خ) : ابتداء .
(٢) هذا البيت زيادة من (خ) .

عَبدك ، وَأَنا علَى عَهْدِكَ وَوَعدكَ ما استطعت ، أَعُوذُ بكَ من شَرِّ ما صَنَعْت ، أَبُوء لَكَ بنعْمَتِـكَ علَيَّ ، وَأَبُوء بذَنْبى ، فَاغْفر لى ، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنوب إِلَّا أَنت » [١] هكذا فى صحيح البخارى ، وزاد : أن من قاله موقناً به فى يوم فمات من يومه قبل أن يمسى فهو من أهل الجنَّة ، ومن قاله باللَّيل موقناً به فمات [٢] قبل أن يصبح فهو من أهل الجنَّة [٣] .

وقوله : « فَهُوَ مِنْ أَهل الجَنَّة » أَوَّلًا وثانياً : أراد أنه يدخلها من غير تقدّم عذاب . **قاله الكرمانى** [٤] ، وما ذكرته من الاستكثار من سؤال الجنَّة وكفاية عذاب النَّار هو المطابق لما فى الخطبة ، ولكن لم يبين فيها قدر الكثرة ، وقد ذكروا فى حديث : « أَقربَكُم منِّى مَنْزِلَة أَكثركُم علَيَّ صلَاة » [٥] ، أن الكثرة تحصل بثلثمائة كما ذكره فى كتاب « قوت القلوب » **لأبى طالب المكى** ، وفى الحديث : « مَنْ سأَل الله الجَنَّة ثلاث مرَّات ، قالَتْ الجَنَّة : اللَّهُمَّ أَدخلهُ الجَنَّة ، وَمَنْ استَجار مِنَ النَّار ثلاث مرَّات ، قالَتْ النَّار : اللَّهُمَّ أَجِرهُ مِنَ النَّار » [٦] (ت ن ك) عن أنس (رضى الله عنه) .

وفى الحديث : « إِذَا صَلَّيْت الصُّبح فَقُل قَبل أَنْ تَتكَلَّم سبع مرات : اللَّهُمَّ أَجِرنى مِنَ النَّار ، فإِنَّكَ إِن متّ من يَوْمكَ كَتَبَ الله لكَ جواراً مِنَ النَّار » [٧] .

انتهى .

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٨٧٢) ، وأحمد (١٢٢/٤) .

(٢) فى (خ) إحالة : فمات من ليلته .

(٣) أخرجه البخارى (٨٣/٨) .

(٤) هو : شمس الدين ، محمد بن يوسف بن على الكرمانى ، فقيه ، أصولى ، محدث ، مفسر ، متكلم ، نحوى ؛ بيانى ، له تصانيف : « شرح صحيح البخارى » ، و« الفوائد الغياثية » . توفى سنة (٧٨٦ هـ) .

(٥) أخرجه الترمذى بلفظ : « أولى الناس بى يوم القيامة أكثرهم علىَّ صلاة ... » رقم (٤٨٤) .

(٦) أخرجه الترمذى (٢٥٧٢) ، والنسائى (٢٧٩/٨) ، وابن ماجه (٤٣٤٠) ، والحاكم (٥٣٥/١) ، وابن حبان (٢٤٣٣) .

(٧) انظر : « فيض القدير » شرح الجامع الصغير (٧٢٨) .

من « مفتاح الفلاح » ، وذكره فى « الجامع الصغير » مع زيادة فقال : « إِذَا صَلَّيْت الصُّبح فَقُل قَبل أَن تُكلّم أَحداً مِنَ النَّاس : اللَّهُمَّ أَجرنى مِنَ النَّار سبع مرَّات ، فإِنكَ إِنْ متّ من يَومكَ كَتَبَ الله لكَ جواراً مِنَ النَّار ، وَإِذَا صَلَّيْت المغرب فَقُل قَبل أَن تُكلّم أَحداً مِنَ النَّاس : اللَّهُمَّ أَجرنى مِنَ النَّار سبع مرَّات ، فإِنَّكَ إِن متّ من ليلتك كتبَ الله لك جواراً من النَّار »[1] (حم د ن حب) عن **الحارث التيمى** .

واعلم : أنه إذا كان دعاء كل من الجنة والنَّار مستجاباً أو أكثر إجابة من دعاء غيرهما ، ففائدة السؤال المذكور ظاهرة ، وإن لم يكن دعاؤهما كذلك ، فما فائدة السؤال المذكور ؟ وقد يُقال : إن فائدته : أن الدعاء بشىء من اثنين ، وهو السائل[2] مع الجنَّة أو مع النَّار أنجح فى القبول من السؤال من واحد[3] .

وفى الحديث : « إِذَا دَعَوتُمُ الله فاجمعُوا ، فلعلّ فيمَنْ تجمعونَ مَنْ تَنَالُوْنَ بركته »[4] ، أو أن الدعاء من الجنَّة أو النَّار بمنزلة دعاء المسلم لأخيه بظهر الغيب ، وعند رأسه ملَك مُوكَّل به كلما دعا لأخيه بخير ، قال المَلَك : آمين ولك مثل ذلك (حم م ه) عن أبى الدرداء[5] (رضى الله عنه) .

وقال فى « الجامع » أيضاً : « دَعْوَة الرَّجُل لأَخيه بظَهْر الغَيب مُستَجَابَة ، وملَك عندَ رأسه يقول : آمين ، ولك بمثل ذلك » **أبو بكر** فى « الغيلانيات » عن **أُم كرز** .

وفيه أيضاً : « دَعْوتَان ليسَ بينهما وبين الله حجَاب : دَعْوَة المَظْلُوم ، ودَعْوَة المرء لأَخيه بظَهْر الغَيب » (طب) عن ابن عباس[6] (رضى الله عنهما) .

---

(١) أخرجه ابن السنى (١٣٦) ، والبخارى فى « تاريخه » (٢٥٣/٧) ، وانظر « الترغيب » (٣٠٤/١) .

(٢) فى (خ) : السؤال . (٣) فى (خ) : فى واحد .

(٤) لم أعثر عليه . (٥) لم نعثر عليه بهذا اللفظ ، وروى من أحاديث صحيحة .

(٦) هو : عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، ابن عم رسول الله ﷺ ، =

وفيه أيضاً : « دَعْوَةٌ فى السِّر تعدل سبعين دَعْوَة فى العَلَانية » **أبو الشيخ** فى « الثواب » عن **أنس** (رضى الله عنه) .

هذا وفى « التذكرة » روى **البيهقى عن أبى سعيد الخدرى** (رضى الله عنه) ، أو عن **أبى جحيرة الأكبر عن أبى هريرة** (رضى الله عنه) : أن أحدهما حدّثه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إذَا كانَ يَوْم حَار ألقى الله سمعه وبَصَره إلى أَهلِ السَّمَاء وَأَهل الأَرض ، فَإذَا قالَ العَبد : لَا إلَهَ إلَّا الله ، ما أَشَدّ حَرّ هذا اليوم ، اللَّهُمَّ أَجرنى من حَرِّ جَهَنَّم ، قالَ الله عَزَّ وَجَلَّ لجهنَّم : إن عبداً من عبَادى اسْتَجَارنى منك ، وإنى أُشهدك أَنى قَد أَجرتهُ ، وَإِذَا كانَ يَوم شَديد البَرْد ألقى الله سمعهُ وبَصَره إلَى أَهل [1] السَّمَاء والأَرض ، فَإذَا قالَ العَبد : لَا إلَهَ إلَّا الله ، ما أَشَدّ بَرد هذَا اليوم ، اللَّهُمَّ أَجرنى من زَمْهَرير جَهَنَّم ، قالَ الله تَعالَى لجهنَّم : إن عبداً مِنْ عبادى اسْتَجَارنى من زمهريرك ، وَإِنِّى أُشهدك أَنى قَدْ أَجرتهُ ، قالُوا : وَمَا زَمْهَرير جهنَّم ؟ قال : جُبٌّ يلقى فيه الكافر فيتمزَّق من شدّة برده بعضه من بعض » [2] . انتهى **(ص)** :

فَضْلُ صيَام رمضَان وَقيَامه :

وَمَن يَصمهُ أَويقمهُ إيمَاناً مُحْتَسباً يعطى بذا غُفْراناً
للَّذى من ذُنوبه تقدّما كاللَّذى يقُوم ليلَةَ القَدْر اعلما

(ش) قولى : « أو يقمه إيماناً » بوصل همزة : إيماناً ، وأشرت بهما لحديث : « مَنْ صَامَ رمضَان إيماناً واحْتسَاباً غُفرَ لهُ ما تقدَّم من ذنبه » [3] .

= ولد قبل الهجرة بثلاث سنوات ، ودعا له رسول الله ﷺ بالفهم فى القرآن ، فكان يُسمَّى (الحبر) ، لسعة علمه ، مات سنة ثمان وستين بالطائف . انظر : « التقريب » (ص ٣٠٩) .

(١) فى (خ) : لأهل السماء .

(٢) أخرجه البيهقى فى « الأسماء والصفات » (١٧٧) .

(٣) أخرجه البخارى (١٦/١) ، ومسلم « المسافرين » (١٧٣) ، وأبو داود (١٣٧١) ، والترمذى (٨٠٨) ، والنسائى (٢٠١/٣) ، وأحمد (٢٨١/٢) .

وحديث : « مَنْ قامَ ليلَة القَدْر إيماناً وَاحْتِسَاباً غُفرَ لهُ ما تقدّم من ذنبه »[1] .

وقوله : « إيماناً واحتساباً » : أى طلباً لوجه الله سبحانه وتعالى وثوابه .

وقيل : « إيماناً » : بأنه فرض عليه ، « واحتساباً » : ثوابه عند الله .

وقيل : معناه : نية وعزيمة ، وهو أن يصوم على التصديق به ، والرَّغبة فى ثوابه طيبة به نفسه غير كارهة . انتهى من الخازن .

وقال القسطلانى فى حديث : « مَنْ قامَ رمضَان إيماناً واحتساباً غُفرَ لهُ ما تقدّم من ذنبه » : أى تصديقاً بأنه حق ، واحتساباً طلباً[2] للأجر لا لقصد رياء ونحوه .

رَغِمَ أَنْفُ مَنْ أَدْرَكَ رَمَضَان ولَمْ يُغْفَرْ لَهُ :

وفى « الشفا » **للقاضى عياض** عن **أبى هريرة** (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : « رَغِم (بفتح الراء وكسر الغين المعجمة ويجوز فتحها ، وتقدّم الرغام : بفتح الراء) أَنف رجل ذُكرت عندهُ فلَمْ يُصل عَلَيَّ ، ورغم أنف رجل دخلَ رمضَان ، ثم انسلخ قبل أن يُغفر لهُ ، ورغم أنف رجل أدرك أَبواه عندهُ الكبر[3] فلم يدخلَاه الجَنَّة »[4] .

قال عبد الرحمن : وأظنه قال : أو أحدهما .

وفى حديث آخر : « أَنهُ (عَلَيهِ الصَّلَاةُ والسَّلَام) صَعدَ المنْبَر فقالَ : آمين ، ثُمَّ صَعدَ فقالَ : آمين ، ثُمَّ صَعدَ فقالَ : آمين ، فسأَلهُ مُعاذ (رضى الله عنه) عن ذلك ؟ قالَ : إنَّ جبريل (عَلَيهِ الصَّلَاة والسَّلَام) أتانى فقال : يا مُحَمَّد من سُمِّيت بين يديه ، فلَمْ يُصلِّ عليكَ ، فماتَ فدخلَ النَّار فأَبعدهُ الله ، فقلت : آمين ، وقال : فيمن أَدرك رمضَان فلَمْ يقبل منهُ فماتَ مثل ذلك ، ومَنْ أَدرك أَبويه أو أَحدهما فلم يَبرّهُمَا فماتَ مثله »[5] .

---

(١) أخرجه البخارى (٣٣/٣) ، ومسلم « المسافرين » (١٧٦) ، والترمذى (٦٨٣) ، والنسائى (١٥٧/٤) ، وأحمد (٢٤١/٢) ، والبيهقى (٣٠٦/٤) .

(٢) فى (خ) : أى طلباً .

(٣) فى (خ) : أدرك عنده أبواه .

(٤) أخرجه الترمذى (٣٥٤٥) ، وأحمد (٢٥٤/٢) ، والحاكم (٥٤٩/١) .

(٥) أورده الكتانى فى « نظم المتناثر » (١٢٦) .

قلت [1] : وقوله : « فأبعدهُ الله » إن كان إخباراً فلامعنى لقوله : « آمين » ، وإن كان دعاء ، فما فائدة الدعاء بذلك بعد الحكم عليه بأنه دخل النار ، وقد يقال : إن قوله : « وأبعدهُ الله » : أراد به الدعاء بطول المقام فى النار ، أو أبعده الله [عَزَّ وَجَلَّ] [2] عن دخول الجنة : أى بطول مقامه فى النار هذا .

وفى « القسطلانى » فيمن قام رمضان إيماناً واحتساباً أنه جاء رواية : « أَنهُ يَغْفر لمن قامَ رمضان إيماناً واحتساباً ما تقدّم من ذنبه وما تأخر » . انتهى .

كما أن الصَّائم شَهْر الصَّوم إيماناً واحتساباً يُغْفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأَخَّر ، وكذا من قام ليلة القَدْر إيماناً واحتساباً .

وقد ذكر ذلك **الحافظ السيوطى** فى « مؤلفه » فيما يُكَفِّر الذُّنوب المتقدِّمة والمتأَخِّرة ، فقال : أخرج **أحمد** عن **أبى هريرة** (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ صامَ رمَضَان إيماناً واحتساباً غُفرَ لهُ ما تقدَّم من ذَنْبه وما تأَخَّر » [3] .

وأخرج **النسائى** فى « الكبرى » وقاسم بن أسبغ فى « تصنيفه » عن **أبى هريرة** (رضى الله عنه) أن النَّبىّ ﷺ قال : « مَنْ قامَ رَمضَان إيماناً واحتساباً غُفرَ لهُ ما تقدَّم من ذنبه وما تأَخَّر ، وَمَنْ قامَ ليلَة القَدْر إيماناً واحتساباً غُفرَ لهُ ما تقدَّم من ذَنْبه وما تأَخَّر » [4] . انتهى ، وقد أشرت إلى ذلك بقولى :

وَجاءَ فى رواية يُغْفر لَهُ   بكُلِّ فَرد منه ما قَدْر عمله
من ذَنْبه مُقَدَّماً أَوآخراً   لكن بتأْويل لَهم فى ذا جرى

وأشرت بقولى : « لكن بتأويل لهم فى ذا جرى » : أى فى قولى : « أو آخراً » إلى ما ذكره **القسطلانى** من الإشكال ، وجوابه فى هذا فإنه قال فى حديث : « مَنْ قامَ رمضَان إيماناً واحتساباً غُفرَ لهُ ما تقدَّم من ذنبه » ما نصه :

---

(١) فى (ع) : وقلت .   (٢) زيادة من (خ) .
(٣) ، (٤) تقدم تخريجهما .

زاد **النسائى** فى « السنن الكبرى » من حديث **قتيبة بن سعيد** : « وما تأَخَّر » ، وقد تابع **قتيبة** على هذه الزِّيادة جماعة ، واستشكل بأن المغفرة تستدعى سبق ذنب ، والمتأخر من الذنوب لم يأت بعدُ ، فكيف يغفر ؟

وأُجيب : بأن ذنوبهم تقع مغفورة ، **وقيل** : هو كناية عن حفظ الله إياهم فى المستقبل كما **قيل** : فى قوله (عَلَيهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام) فى **أهل بدر** : « إِنَّ الله اطَّلع عليهم فقال : اعْمَلُوا ما شئتم فَقَدْ غَفَرْت لكُم »[1]، و[قد][2] عُورض الأخير بورود النَّقل بخلافه ، فقد شهد مِسْطَحُ بدراً ، ووقع منه ما وقع فى حق عائشة (رضى الله عنها) كما فى الصحيح . انتهى المراد منه .

قلت : قد ذكر **الحافظ ابن حجر** فى ذلك أجوبة ثلاثة ، فقال فى حديث أهل بدر المذكور : إن الأمر فيه للتكريم ، وأن المراد كلّ عمل يخل بالتقوى لا يؤاخذ به لهذا الوعد الصَّادق ، وقيل : المعنى : أن أعمالكم السَّيئة تقع مغفورة كأنها لم تقع ، وقيل : إن ذلك دال على أنهم حفظوا فلا[3] تقع منهم سيئة . انتهى .

وانظر ما وجه المغايرة بين الأول والثانى ، وقال فى محل آخر : وفيه نظر لما وقع فى قصة **قُدَامَةَ بن مظعون بن عفان بن مظعون**[4] (رضى الله عنه) ، فإنه شهد (بدراً) وغيرها مع رسول الله ﷺ ، وشرب الخمر فى أيام **عمر** وحدّه **عمر** (رضى الله تعالى عنهما) لذلك ، وقد أشبع الشيخ **محمد الحطاب** الكلام على حديث **أهل بدر** المذكور فى « الرسالة » التى عملها فيما يتعلق بذلك فراجعه إن شئت .

---

(١) أخرجه أحمد (٢/٢٩٥) ، والحاكم (٤/٧٧) .

(٢) هذه الزيادة من (خ) .

(٣) فى (خ) : فلم .

(٤) هو : أبو عمرو ، قدامة بن مظعون بن حبيب القرشى ، ، كان أحد السابقين الأولين ، هاجر الهجرتين ، وشهد بدراً ، شرب الخمر وجلد على ذلك ، توفى سنة (٣٦ هـ) فى خلافة على (رضى الله عنه) . انظر : « الإصابة » (٥/٣٢٣) .

قلت : اعلم أن مغفرة الذنب لا تكون إلَّا بعد وقوعه فلا تتعلّق المغفرة حقيقة بذنب لم يقع . نعم إن أُريد بمغفرته أنه غير مؤاخذ به ، أو أنه يقع مغفوراً صح تعلق المغفرة به ، لكن لا يخفى أن هذا ليس بمدلول حقيقى للفظ ، ثم إن الفرق بين كونه غير مؤاخذ به ، وبين وقوعه مغفوراً أن الأول يقع مؤثماً لكنه لا يؤاخذ به ، والثانى يقع مجرداً عن الإثم ، ولا يخفى أن الجواب الأوّل غير ظاهر إذ المغفرة فيه إنما تعلَّقَتْ بالذَّنب بعد وقوعه ، فلا يصح أن يكون جواباً عن الإشكال هذا ، وقد وقع **لولد ابن المقرى** أنه وقع منه هفوة فقطع والده ما كان يجريه له من النفقة ، فكتب الولد لأبيه :

لَا تَقْطَعن عَادَةَ بـرّ وَلَا ... تَجْعل عِقَاب المَرْء فى رِزْقه
فَإِنَّ أَمر الإِفْك من مِسْطَح ... يحط قَدْر النَّجم من أفقه
وَقَد جَرى منه الَّذى قَدْ جرى ... وَعُوتب الصدِّيق فى حَقّه

فكتب إليه والده :

قَدْ يُمنع المضْطر من ميتة ... إذ عَصَى بالسّير فى طرقه
لأنه يقوى على توبة ... تُوجب إِيصالًا إلى رزقه
لَو لم يتب مِسْطَح مِنْ ذَنبه ... ما عُوتب الصِّدِّيق فى حَقِّه

انتهى ، وفى الحديث : « إنَّ الله لَا يُعَذِّبُ بقَطْع الرِّزق »[1] هو بمعناه عند **الطبرانى** فى « الصغير » مرفوعاً ، وأصله عند **ابن أبى الدنيا** مرفوعاً : « إنَّ الرِّزق ليطلب العَبد كما يطلبه أَجله »[2] .

ويدل على اشتهار هذا ما يُحكى : أن **كسرى** غضب على بعض مرازبته فاستؤمر فى قطع عطائه ، فقال : يحط عن مرتبته ، ولا يقطع من صلته ، فإن الملوك تؤدّب بالهجران ولا تعاقب بالحرمان .

---

(١) انظر : « كشف الخفاء » (٨٦/١ ، ٢٧٩) ، و« الأسرار المرفوعة » (٣٢٠) .

(٢) قال الهيثمى فى « المجمع » (٧٢/٤) : رواه الطبرانى فى « الصغير » وفيه عطية العوفى ، وهو ضعيف .

وقال الفضيل بن عياض فى قوله تعالى : ﴿ ... واللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ [1] . المخلوق يُرْزَق ، فإذا سخط قُطعَ رزقه ، والله تعالى يسخط ولا يقطع رزقه . انتهى (ص) :

كَصَـوم يَوم موقف وَقَـدْ وَرَدَ   تَكْفِـير ذَا عَـامَيْن فهـو مُنْتَقِـد

(ش) أشرت بهذا الحديث ذكره **الحافظ السيوطى** فى الكتاب المتقدّم ذكره ونصه : وأخرج **أبو سعيد النقَّاش الحافظ** فى « أماليه » عن **ابن عمر** (رضى الله عنهما) قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ صَامَ يَوْم عَرفَة غُفرَ لهُ ما تقدّم مِنْ ذَنْبه وما تأَخَّر » [2] . انتهى .

ولما ظهر لى من مخالفة هذا الحديث لحديث : « إِنَّ صَومةُ يُكَفِّرُ السَّنَة التى قبلهُ والسَّنَة التى بعدهُ » [3] أشرت له بقولى : فهو منتقد : أى لأن ظاهر أحدهما يخالف ظاهر الآخر ، وحمل لفظ : « ما تقدّم وما تأَخَّر » على عام قبله ، وعام بعده خلاف ظاهره لكن رأيت للشيخ **محمد الحطاب** فى « رسالته » التى ألفها فيما يُكَفِّر الذُّنوب المتقدِّمة والمتأخرة بعد ما ذكر نحو ما ذكره السيوطى عند **النقاش** ما نصه : فى « مسند » **عبد الرحمن بن زيد قال الحافظ ابن حجر** : ضعيف لكن ثبت فى « صحيح مسلم » [4] من حديث **أبى قتادة** : « إِنَّ صيَام يَوْم عَرَفَة يُكَفِّر ذُنُوب سنتين : سنة ماضية ، وسنة آتية » [5] ، قيل : إن ذلك هو المراد من قوله : « ما تقدَّم وما تأَخَّر » . انتهى .

وقوله : « قيل : إِنَّ ذَلكَ ... إلخ » : الذى ينبغى الجزم بهذا ، حيث أُريد التوفيق بين الروايتين ، وفى « الجامع الكبير » للسيوطى : « مَنْ صَام أَيَّام العَشْر كتَبَ الله لهُ بكُلِّ يوم صَوْم سَنَة غير يَوم عَرفَة ، فإنهُ مَنْ صَامَ يَوم عَرفَة كتَبَ

---

(١) سورة الجمعة ، الآية (١١) .   (٢) تقدم تخريجه .

(٣) أخرجه مسلم (١١٦٢) ، والترمذى (٧٤٩) .

(٤) فى (خ) : حديث مسلم .

(٥) أخرجه مسلم (١١٦٢) .

لهُ صَوم سنتين »[1] ابن النجار[2] عن **جابر** (رضى الله عنه) **(ص)** :

كَقَارئ تَـلو صَـلَاةِ الـجُمُعَـة فاتحة سَـبْعاً بِغَـيْر مـرية
كَـذَا قـواقـل وَذَا قَبـيـل مَـا يُـشـنى رجْليـه حَقِيقـاً فاعلمـا

(ش) أشرت به لقوله فى الكتاب المذكور : أخرج **أبو سعيد والقشيرى** فى الأربعين عن **أنس** (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قَرأَ إِذَا سَلَّم الإمام يَوم الـجُمُعَة قبل أن يُثنى رجْلَيه : فاتحة الكتاب ، و﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ﴾ ، و﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ** ﴾ ، و﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ** ﴾ سبعاً سبعاً ، غُفرَ لهُ ما تقدَّم مِنْ ذَنْبه وما تأَخَّر » ، ونحوه فى « الجامع الصغير »[3] .

وَحفظَ مَنْ يَقرأ عَقِيب الجُمُعَة قَوَاقلا سـبعاً لمثلها اثبـت

وقولى : « بمثلها » : متعلق بحفظ ، **وقولى** : « أثبت » بوصل همزة القطع : أى أنه ثابت لثبوته فى الرواية ، وليس فى هذا التقييد بقوله : « قبل أن يثنى رجليه » ، وأشرت به لحديث فى « الجامع الصغير » ونصه : « مَنْ قَرَأ بَعد صَلَاة الجُمُعَة ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ﴾ ، و﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ** ﴾ ، و﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ** ﴾ سبع مرَّات أعـاذهُ الله بها مِنَ السُّوء إِلى الـجُمُعَة الأُخرى »[4] **ابن السنى** عن **عائشة** (رضى الله عنها) .

قلت : والظاهر أنه يحصل الحفظ بقراءة القواقل الحاصلة مع الفاتحة ، ولا يتوقف الحفظ المذكور بها على إعادة قراءتها سبعاً .

تنبيه ، ما يُكَفِّر الذُّنُوب :

ذكر **الحافظ السيوطى** ما يُكَفِّر الذُّنوب المتقدّمة والمتأخِّرة فى أبيات من بحر السلسة[5] **فقال** :

---

(١) انظر : « كنز العمال » (٢٤٢٦٥) . (٢) فى (خ) : ابن البخارى .

(٣) انظر : « فيض القدير » شرح الجامع الصغير (٨٩٥٥) ، وحسنه السيوطى من حديث أنس (رضى الله عنه) .

(٤) ذكره السيوطى فى « الجامع الصغير » (٦٩٥٤) وحسنه .

(٥) هكذا بالأصل ، والصواب : السِّلْسِلَة ، وهو نوع من الشعر العربى الموزون . انظر : قاموس المصطلحات اللغوية .

قَدْ جاء عن الهَادى وَهُوَ خَير نَبىّ ... أَخبار مسانيد قَدْ رُوِيت بإيصال
فى فَضل خصال وغافرات ذنوب ... مَا قَدَّم أواخر للممات بأفضال
حجّ وَوُضوء قيام لَيْلَة قَـدْر ... والشَّهر وَصَوْم له وَوَقْفة إقبال
آمين وقَارئ الحَشْر تم وَمَنْ قَاد ... أَعْمى وَشَهيد إذ المؤذِّن قَدْ قال
سَعى لأخ والضُّحى وَعِنْد لباس ... حَمد وَمَجىء مَنْ إيلياء بإهلال
فى الجُمُعَة يقرأ قواقلا وصَفاحا ... مع ذكر صلاة على النَّبِىّ مع الآل

انتهى .

وقوله : « والشهر » : عطف على ليلة قدر .

وقوله : « ووقفة » : عطف على الضمير المجرور باللام . فالمعنى : وصوم لوقفة عرفة .

وقوله : « تم » : أى تمام الحشر : أى آخرها من قوله : « هو الله » ، ولو قال بدل قوله : « وقارئ ... إلخ » ما نصه : « آمين » ، وقارئ » المتم للحشر ، ومن قاد أو قال : « آمين وقارى » : متمم لحشر ، ومن « قاد ... إلخ » بسكون آخر قارى لكان أولى .

وقوله : « قواقلا » : سكت فيه عن قراءة الفاتحة .

قلت : ولم يذكر « من حج ولم يرفث ، ولم يفسق » ، وقد يقال : إنه أدخله فى قوله : « حج » ، ولم يذكر أيضاً فى هذا النظم الحمد بعد فراغه من الأكل مع أنه ذكره فيما ذكره من الأحاديث ، [وكذا] [1] ولم يذكر حكاية الأذان ، ورأيت فى بعض الكتب أن من ذلك من قال : ﴿ **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ** ﴾ ، وأشار **الحافظ السيوطى** للأحاديث الدَّالة على ما ذكره ، فقال : أخرج ابن أبى شيبة فى « مسنده ومصنفه » ، وأبو بكر المروزى فى « مسنده » ، والبزار عن عثمان بن عفان [2] (رضى الله عنه) سمعت رسول الله ﷺ يقول :

---

(١) هذه الزيادة من (خ) .

(٢) هو : أبو عبد الله ، وقيل : أبو عمر ، عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس =

« لَا يسبغ عَبد الوُضُوء إِلَّا غُفرَ لَهُ ما تقدَّم مِنْ ذَنْبه وَمَا تأَخَّر »[1].

وأخرج أبو عوانة فى « صحيحه » عن سعد بن أبى وقاص[2] (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمعُ المُؤَذِّن : أَشْهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا الله ، وَحدهُ لَا شَرِيكَ لهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عبدهُ وَرَسُولهُ ، رَضيت بالله رَبًّا ، وَبالإِسلَام ديناً ، وبمحَمَّد ﷺ نَبيًا ، وفى لفظ : (رَسُولًا) غُفرَ لهُ ما تقدَّم مِنْ ذَنبه وَمَا تأَخَّر »[3].

وأخرج ابن وهب فى « مصنفه » عن أبى هريرة (رضى الله عنه) سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « إِذَا أَمَّن الإمام فَأَمِّنُوا ، فَإِنَّ المَلَائكَة تُؤَمِّن ، فَمَنْ وَافق تَأْمينهُ تَأْمين الملائكَة غُفرَ لهُ ما تقدَّم من ذنبه ، وَمَا تَأَخَّر »[4].

وأخرج آدم بن أبى إياس فى كتاب « الثواب » عن على بن أبى طالب[5] (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ صَلَّى الضُّحى ركعتين إيماناً

= القرشى الأموى ، أمير المؤمنين ، وكان يلقب بذى النورين ، لأنه تزوج ابنتى الرسول ﷺ : رقية وأم كلثوم (رضى الله عنهما) ، أسلم قديماً ، وقد بشره رسول الله ﷺ بالجنة ، وعنه قال الرسول ﷺ : « لكل نبى رفيق ورفيقى فى الجنة عثمان » . ولد بعد الفيل بست سنين ، وتوفى سنة (٣٥ هـ) .
انظر : « الإصابة » (٣٧٧) .

(١) أخرجه ابن أبى شيبة (١/١٥) بلفظ : « ما من رجل يتوضأ فيحسن الوضوء إلا غفر له ما بينه وبين الصلاة الأخرى » .

(٢) هو : أبو إسحاق ، سعد بن أبى وقاص مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب الزهرى ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأول من رَمَى بسهم فى سبيل الله ، ويقال له : فارس الإسلام . ولد سنة (٢٣) قبل الهجرة ، وتوفى سنة (٥٥ هـ) .
انظر : « التقريب » (ص ٢٣٢) .

(٣) تقدم تخريجه .

(٤) أخرجه البخارى (٧٨٠) ، ومسلم (٤١٠) ، والترمذى (٢٥٠) من حديث أبى هريرة (رضى الله عنه) .

(٥) هو : أبو الحسن ، على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمى ، ابن عم رسول الله ﷺ ، وزوج ابنته ، من السابقين ، وأنه أول من أسلم ، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة . ولد سنة (٣٣) قبل الهجرة ، وتوفى سنة (٤٠ هـ) .

واحتساباً غُفِرَتْ ذُنوبه كُلها ما تقدَّم منها وما تأَخَّر إِلَّا القِصَاص »[١] .

وأخرج **أبو سعيد** ، **والقشيرى** فى الأربعين عن أنس (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قَرأَ إِذَا سَلَّم الإمام يَوم الجُمُعَة قبل أن يُثنى رجْلَيه : فاتحة الكتاب ، و﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ﴾ ، و﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ** ﴾ ، و﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ** ﴾ سبعاً سبعاً ، غُفِرَ لهُ ما تقدَّم مِنْ ذَنْبه وما تأَخَّر »[٢] .

وأخرج **أحمد** عن أبى هريرة (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ صَام رمَضَان إِيماناً واحتساباً غُفِرَ لهُ ما تقدَّم من ذنبه وما تأَخَّر »[٣] .

وأخرج **النسائى** فى « الكبير » ، **وقاسم بن أسبغ** فى « مصنفه »[٤] عن أبى هريرة (رضى الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ قامَ شَهْر رَمضَان إِيماناً واحتساباً غُفِرَ لهُ ما تقدَّم من ذنبه وما تأَخَّر ، وَمَنْ قام لَيلَة القَدْر إِيماناً واحتساباً غُفِرَ لهُ ما تقدَّم من ذَنبه وما تأَخَّر »[٥] .

وأخرج **أبو سعيد النقاش الحافظ** فى « أماليه » عن ابن عمر (رضى الله عنهما) قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ صَام يَوْم عَرفَة غُفِرَ لهُ ما تقدَّم من ذَنبه وما تأَخَّر »[٦] .

وأخرج **أبو داود** ، **والبيهقى** فى « الشعب » عن أُم سلمة[٧] (رضى الله

---

(١) لم نعثر عليه بهذا اللفظ ، ولكن ورد فى صلاة الضحى أحاديث كثيرة ، منها ما أخرجه الترمذى (٤٧٣) عن رسول الله ﷺ قال : « من صلى الضحى ثنتى عشرة ركعة بنى الله له قصراً من ذهب » .

(٢) تقدم تخريجه .

(٣) تقدم تخريجه .

(٤) فى (خ) : تصنيفه .

(٥) ، (٦) تقدم تخريجهما .

(٧) هى : أم سلمة ، هند بنت سهيل القرشية المخزومية ، من زوجات النبى ﷺ ، تزوجها فى السنة الرابعة للهجرة ، وكانت من أكمل النساء عقلاً ، وخلقاً ، عمّرت طويلًا ، واختلفوا فى سنة =

عنها) أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ أَهلَّ بحَجّ أَو عُمْرَة مِنَ المَسْجِد الأَقْصى إِلَى المَسْجد الحَرَام غُفرَ لهُ ما تقدَّم مِنْ ذَنبه وما تأَخَّر »[1] .

وأخرج **أبو نعيم** فى « الحلية » عن عبد الله هو ابن مسعود (رضى الله عنه) سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ جَاءَ حَاجًّا يُريد وَجْه الله غُفرَ لهُ ما تقدَّم من ذَنبه وما تأَخَّر »[2] .

وأخرج **أحمد بن منيع** ، **وأبو يعلى** فى « مسنديهما » عن جابر بن عبد الله (رضى الله عنهما) قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قَضَى نُسكه وسَلمَ المسلمونَ من لسَانه ويَده غُفرَ لهُ ما تقدَّم من دنبه وما تأَخَّر »[3] .

وأخرج **الثعلبى**[4] فى « تفسيره » عن أنس (رضى الله عنه) قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ قَرأَ سورة الحشر غُفرَ لهُ ما تقدَّم من ذنبه وما تأَخَّر »[5] .

= وفاتها ، وبلغ ما روته من الحديث (٣٧٨) حديثاً ، وكانت وفاتها بالمدينة ، ولدت سنة (٢٨) قبل الهجرة ، وتوفيت سنة (٦٢ هـ) .

انظر : « الأعلام » (٨/٩٧) .

(١) أخرجه البيهقى فى « شعب الإيمان » (٤٠٢٦) بلفظ : « من أهل بالحج والعمرة ... » .

(٢) قال ابن حجر فى « الخصال المكفرة » : أخرجه أبو نعيم فى « الحلية » .

(٣) ذكر ابن حجر فى « المطالب العالية » (١٠٨٧) ، ونسبه لابن قنيع ، وفيه موسى بن عبيدة ، وهو ضعيف .

(٤) هو : أبو إسحاق ، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبى : مفسر ، من أهل نيسابور ، له اشتغال بالتاريخ ، من كتبه : « عرائس المجالس » و « الكشف والبيان فى تفسير القرآن » ، توفى سنة (٤٢٧ هـ) .

انظر : « الأعلام » (١/٢١٢) .

(٥) ذكره القرطبى فى « تفسيره » من حديث أنس بن مالك (رضى الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال : « من قرأ سورة الحشر غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » .

انظر : « التفسير » (١٨/٣٣) .

وأخرج **أبو عبد اللَّه بن منده** فى « أماليه » عن ابن عمر [1] (رضى الله عنهما) قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قَاد مَكفُوفاً أَربعين خُطوة غُفرَ لهُ ما تقدَّم من ذنبه وما تأَخَّر » [2] .

وأخرج **أبو أحمد النَّاصح** فى « فوائده » عن ابن عباس [3] (رضى الله عنهما) قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ سَعَى لأَخيه المُسْلم فى حَاجَة غُفرَ لهُ ما تقدَّم من ذَنبه وما تأَخَّر » [4] .

وأخرج **أحمد بن سفيان ، وأبو يعلى** فى « مسنديهما » عن أنس (رضى الله عنه) عن النَّبىّ ﷺ قال : « ما مِنْ عَبدَيْن يَلْتقيَان فَيتَصَافحَان ، ويُصَلِّيان علَى النَّبىّ ﷺ لم يفْترقا حتى تُغفر لهما ذُنوبهما ما تقدَّم منها وما تأَخَّر » [5] .

وأخرج **أبو داود** عن معاذ بن أنس (رضى الله عنهما) أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ أَكلَ طَعاماً ، ثمَّ قالَ : الحَمْد لله الَّذى أَطْعَمَنى هذَا الطَّعَام وَرَزَقنيه مِنْ غَير حَول منِّى وَلَا قُوَّة غُفرَ لهُ ما تقدَّم من ذنبه وما تأَخَّر ، [وَمَنْ

---

(١) هو : أبو عبد الرحمن ، عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوى (رضى الله عنه) ، ولد بعد المبعث بيسير ، واستصغر يوم (أُحد) ، وهو ابن أربع عشرة ، وهو أحد المكثرين من الصحابة والعبادلة ، وكان من أشد الناس اتباعاً للأثر ، له فى كتب الحديث (٢٦٣٠) حديثاً . ولد سنة (١٠) قبل الهجرة ، وتوفى سنة (٧٣ هـ) . انظر : « التقريب » (ص ٣١٥) .

(٢) ذكره السيوطى فى « الجامع الصغير » (٨٨٩٤) وضعفه .

(٣) هو : أبو العباس ، عبد الله بن عباس بن عبد المطلب (رضى الله عنهما) القرشى الهاشمى ، حبر الأمة ، الصحابى الجليل ، ولد بمكة ونشأ فى بدء عصر النّبوة وروى عن الرسول ﷺ أحاديث صحيحة وعددها (١٦٦٠) ، ولُقِّب بحَبْر الأُمَّة وتُرجمان القرآن . ولد سنة (٣) قبل الهجرة ، وتوفى سنة (٦٨ هـ) . انظر : « الأعلام » (٩٥/٤) .

(٤) ذكره الفتنى فى « تذكرة الموضوعات » (ص ٦٩) ، وقال عنه الخطيب : باطل .

(٥) رواه أبو يعلى (٢٩٦٠/٥) ، وقال : إسناده ضعيف .

لبسَ ثَوباً فقالَ : الحَمْد لله الَّذى كَسَانى هذَا وَرزَقنيه مِنْ غَير حَـول منِّى وَلَا قُوَّة غُفرَ لهُ ما تقدَّم من ذنبه وما تأَخَّر] »[1].

وقد تلخص من هـذا ست عشرة خصلة ، وقد تقدّمت كلها فى النظم . انتهى كلام **السيوطى** (رحمه الله تعالى) ، وقد أشرت لبعض هذه الخصال عند ذكرى للنظم المتعلق بهما ، وبقى خصال أُخَر تُكَفِّر الذنوب المتقدّمة والمتأخرة ، وقد ذكرها **الشيخ محمد الحطاب**[2] فى مقدّمته التى ألفها فى ذلك (ص) :

الصِّيامُ يَشْفَع كالقُرآن :

وَيَشْـفَعُ الصِّيَام كالقُـرْآن فى ... مَنْ صَام والقَارى حَقيقاً فاعْرف

هكذا فى نسخة وقلت بدله :

وَيَشْفَع الصِّيام فيمَن صَام كالقـ ... ـرآن فى القَـارى لـه بـلا زلل

وأشرت بهذا لَمَّا جاء عن ابن عمر (رضى الله عنهما) عنه (عليهِ الصَّلَاةُ والسَّلَام) من قوله : « الصّيام والقُرآن يَشْفعَان للعَبْـد يَوم القيَامَة ، يقُول الصِّيام : رب مَنَعتهُ الطَّعَام والشَّرَاب والشَّهَوات بالنَّهَار ، فَشَفِّعنى فيه ، ويقُول القُرآن : رَب مَنعَتهُ النَّوم باللَّيل فَشَفِّعْنى فيه فيشفعان فيه »[3]. انتهى ، وظاهره يشمل صوم النَّفل فيشفع فى صائمه .

قلت : ومفاد قوله فى الحديث : « ويَقُول القُرآن ... » إلخ : أن القرآن الذى لا يمنع قارئه من النـوم ليلًا لا يشفع فيه ، وفى الحديث : « القُرآن شَافع

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٠٢٣) ، والترمذى (٣٤٥٨) ، وابن ماجه (٣٢٨٥) .

(٢) هو : أبو عبد الله ، محمد بن محمد بن عبد الرحمن الرعينى ، المعروف بالحطاب ، فقيه مالكى ، من علماء المتصوفين ، أصله من المغرب . ولد واشتهر بمكة ، ومات فى طرابلس الغرب ، من كتبه : « تفريج القلوب بالخصال المكفرة لما تقدم وما تأخر من الذنوب » . ولد سنة (٩٠٢ هـ) ، وتوفى سنة (٩٥٤ هـ) . انظر : « الأعلام » (٥٨/٧) .

(٣) أخرجه أحمد (١٧٤/٢) .

وَمُشَفَّع وصَادق مُصَدّق ، مَنْ لَمْ يَشْفَع لهُ القُرآن يَوم القيَامَة ، كَبَّهُ [1] الله فى النَّار على وجهه » [2] ، وظاهره مشكل إذ يقتضى أن سلامة كلّ إنسان من كبّه على وجهه فى النار ، إنما يكون بشفاعة القرآن ، وليس كذلك فإن حمل على أنه فى أهل القرآن خاصة كان قريباً .

وعن **أبى أُمامة** [3] (رضى الله عنه) قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اقرؤا القُرآن ، فإنهُ يأتى شَفيعاً يوم القيَامَة لأصحابه » [4] رواه مسلم .

وعن **النَّواس بن سمعان** [5] (رضى الله عنه) قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يُؤتَى بالقُرآن يَوْم القيامَة وَأَهله الَّذينَ كانُوا يَعمَلُونَ بهِ فى الدُّنيا تُقدّمه البقرة ، وآل عمران يحاجان عن صَاحبهما » [6] رواه مسلم أيضاً .

وعن **ابن مسعود** [7] (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ « مَنْ قَرأ حَرفاً مِنْ كتابِ الله فلهُ حَسَنة ، والحَسَنة بعشر أَمثالها ، لَا أقول : الٓمٓ حرف ، ولكن أَلفٌ حرف ، ولَامٌ حرف ، وميمٌ حرف » [8] . انتهى .

وهذا فيمن يقرؤه على غير طهارة ، وأما من يقرؤه [وهو] [9] عليها فله بكلِّ حرف خمسون حسنة إن لم يكن فى حال صلاته قائماً ، وإلَّا فله بكلِّ

---

(١) فى (خ) : أكبه .
(٢) أخرجه أبو عوانة (١/٢٢٣) .
(٣) هو : أبو أمامة الباهلى ، ابن عجلان ، صحابى مشهور ، سكن الشام ، ومات بها سنة (٨٦ هـ) . انظر : « التقريب » (ص ٢٧٦) .
(٤) أخرجه مسلم (٨٠٤) ، وأحمد (٥/٢٥٥) ، والبيهقى (٢/٣٩٥) .
(٥) هو : ابن سمعان بن خالد الكِلابى النواس ، أو الأنصارى ، صحابى مشهور ، سكن الشام . انظر : « التقريب » (٥٦٦) .
(٦) أخرجه مسلم (٨٠٤) .
(٧) هو : أبو عبد الرحمن ، عبد الله بن مسعود (رضى الله عنه) ، أسلم قديماً ، ويقال : سادس من أسلم ، وكان صاحب سر رسول الله ﷺ ، وروى (٨٨٤) حديثاً ، ومات بالمدينة سنة (٣٣ هـ) ، وهو ابن بضع وستين سنة ، ودفن بالبقيع .
(٨) أخرجه الترمذى (٢٩١٠) .
(٩) زيادة فى (ع) .

حرف مائة حسنة ذكر ذلك الشيخ **محمد التتائى**[1] فى « شرح الرِّسالة » فقال ما نصه : « وجاء مَنْ قرأ القرآن على غير طهارة كان له بكلِّ حَرْف عشر حَسَنات ، ومن قرأه على طهارة فى غير الصلاة كانَ له بكل حرف خمسون [حسنة][2] ، وإن قرأه فى الصلاة قاعداً كان [له][3] بكلِّ حرف خمسون حسنة ، وإن كان فى الصلاة قائماً كان له بكل حرف مائة حسنة والقرآن[4] فى المصحف أفضل من هذا كله » . انتهى .

قلت : وظاهر ما ذكره السيوطى أن من قرأه فى غير الصلاة له بكلِّ حرف عشر حسنات ، ولو متوضيًّا ونصه سيأتى بعد ذلك بقليل[5] .

والحاصل : أن ما هنا ، وما يأتى عن « الجامع الكبير » متفقان على أن لقارئ القرآن فى الصلاة قائماً بكلّ حرف مائة حَسَنة ، وأنَّ لقارئه فى الصَّلاة قاعداً بكل حرف خمسين حسنة ، وأن لقارئه فى غير الصلاة على غير وضوء بكل حرف عشر حسنات ، ومختلفان فى قارئه متوضئاً فى غير الصلاة ، هل له بكل حرف خمسون حسنة ؟ وهو ما ذكره **التتائى** أو عشر حسنات ، وهو ما يفيده فى الجامع المذكور ، والظاهر أن الخمسين التى فى الصلاة قاعداً أفضل[6] كيفية من الخمسين التى فى غير الصلاة لقارئه متوضيًّا ، وفى غير ما ورد فيه : أنه يعدل نصف القرآن أو ثلثه أو ربعه ، أو غير ذلك ، وفى غير ما يقرأ فى رمضان ؛ لأن الخصلة فيه من خصال الخير تعدل فريضة فى غيره والفريضة[7] تعدل سبعين نافلة . انتهى .

---

(١) هو : عبد الله ، شمس الدين ، محمد بن إبراهيم التتائى ، قاضى القضاة الإمام الفقيه العالم القدوة الفاضل ، أخذ عن السنهورى والبرهان اللقانى ، له : « شرح المحلى على جمع الجوامع » و « شرح على الرسالة » ، وله تأليف فى « الفرائض والحساب والميقات وفهرسة » ، وتوفى سنة (٩٤٢ هـ) .
انظر : « شجرة النور الزكية » (ص ٢٧٢) .

(٢) زيادة فى (ع) .
(٣) زيادة فى (ع) .
(٤) فى (خ) : والقراءة .
(٥) فى (خ) : بعد ثلاث ورقات
(٦) فى (خ) : أعظم .
(٧) فى (خ) : والفريضة فيه تعدل .

فـائـدةٌ ، فى حَـال الأَئمَّـة فى رَمضَـان :

ذكر **الحافظ ابن حجر** [1] عن **ابن عبد الحكم** [2] أنه قال : كان الإمام مالك بن أنس (رضى الله عنه) : « إذا دخلَ رمضَان نفر من قراءة الحديث ومُجالَسَة أهل العلْم ، وأقبل على قراءة القرآن فى المصحف ، وذكر عن جماعة غيره نحو ذلك كالزّهرى [3] ، وأنَّ **الشّافعى** [4] (رضى الله عنه) كانَ يقرأ فى رمضان ستين ختمة فى غير صلاة ، وكذا عن **أبى حنيفة** [5] (رضى الله عنه) نحوه ... إلى أن قال : وأما ما ورد من النَّهى عن قراءة القرآن فى أقلّ من ثلاثة أيام ، فمحمول على مداومة ذلك ، فأما فى الأوقات المفضَّلة كشَهْر رمضان خصوصاً اللَّيالى التى يُطلب فيها ليلة القَدْر ، والأماكن المفضَّلة كمكة لمن

---

(١) هو : أبو الفضل ، شهاب الدين أحمد بن على بن محمد الكنانى العسقلانى ابن حجر ، من أئمة العلم والتاريخ ، أصله من عسقلان بفلسطين ، ومولده ووفاته بالقاهرة ، كان فصيح اللسان ، صبيح الوجه ، له مؤلفات كثيرة ، منها : « الإصابة فى تمييز أسماء الصحابة » ، وتهذيب التهذيب » . ولد سنة (٧٧٣ هـ) ، وتوفى سنة (٨٥٢ هـ) . انظر : « الأعلام » (١٧٨/١) .

(٢) هو : أبو محمد ، عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث بن رافع : فقيه مصرى ، من العلماء ، كان من أجلة أصحاب مالك ، له مصنفات فى الفقه وغيره ، منها « سيرة عمر بن عبد العزيز » . ولد سنة (١٥٠ هـ) ، وتوفى سنة (٢١٤ هـ) . انظر : « الأعلام » (٩٥/٤) .

(٣) هو : أبو يحيى ، هارون بن عبد الله بن محمد الزهرى ، من ذرية عبد الرحمن بن عوف : فقيه مالكى من القضاة ، من أهل مكة ، نزل بغداد ، وولاه المأمون قضاء مصر . توفى سنة (٢٣٢ هـ) . انظر : « الأعلام » (٦١/٨) .

(٤) هو : أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمى القرشى المطلبى ، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة ، وإليه نسبة الشافعية كافة ، ولد فى غزة بفلسطين ، وتوفى بمصر ، له تصانيف كثيرة أشهرها كتاب « الأم » ، و« المسند فى الحديث » ، ولد سنة (١٥٠ هـ) ، وتوفى سنة (٢٠٤ هـ) . انظر : « الأعلام » (٢٦/٦) .

(٥) هو : أبو حنيفة النعمان بن ثابت ، التيمى بالولاء ، الكوفى ، إمام الحنفية ، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة ، ولد ونشأ بالكوفة ، وكان قوى الحجة ، من أحسن الناس منطقاً ، عَرض عليه عمر بن هبيرة أمير العراقيين القضاء فامتنع ، ثم بعد ذلك عرض عليه المنصور القضاء فأبى فحبسه إلى أن مات ، وقال عنه الشافعى : الناس عيال فى الفقه على أبى حنيفة ، ولد سنة (٨٠ هـ) ، وتوفى سنة (١٥٠ هـ) . انظر : « الأعلام » (٣٦/٨) .

دخلها من غير أهلها ، فَيستحبّ الإكثار فيها من تلاوة القرآن اغتناماً للزّمان والمكان ، وهذا قول **أحمد وإسحاق** وغيرهما من الأئمة ، وعليه يدل عمل غيرهم كما سبق ذكره » . انتهى .

وقال في « الرسالة » وروى : « أَنَّ النَّبىّ ﷺ لم يَقرأ القُرآن فى أَقلّ مِنْ ثلاث [1] » [2] . **قال شارحها** : روى أصحاب السنن أَنَّ النَّبىّ ﷺ قال : « لم يفقه مَنْ قَرأ القُرآن فى أَقلّ مِنْ ثَلَاث [3] » [4] . انتهى . فيخص ذلك بما تقدّم ، وقد يقال : إن كونه [5] لم يفقه لا ينافى كثرة الثواب هذا .

وأخرج **الطبرانى** فى « المعجم الكبير » من حديث **الجرجانى** عن وفد ابن عباس (رضى الله عنهما) قال : قال رسول الله ﷺ : « أَشراف أُمَّتى حَمَلة القُرآن » [6] ، **وللبيهقى** : « أَشْرَف أُمَّتى » [7] ، وهو الصحيح : أى من جهة الرواية ، وفى القرآن العزيز ما يوافقهما ، وهو قوله تعالى : ﴿ **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ** ... إلى ... **لُغُوبٌ** ﴾ [8] .

قال الجلال : المراد بـ ﴿ **الْكِتَابَ** ﴾ : القرآن ، والمراد بالعباد فى قوله تعالى : ﴿ **عِبَادِنَا** ﴾ : أُمة محمد ﷺ ، ﴿ **فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ** ﴾ : أى بالتقصير فى

---

(١) فى (ح) : ثلاثة .

(٢) وروى معنى ذلك فى أحاديث كثيرة منها : « اقرأ القرآن فى كل ثلاث » .

(٣) فى (خ) : لم يقرأ القرآن فى أقل من ثلاثة .

(٤) أخرجه الترمذى (٢٩٤٦) ، وابن ماجه (١٣٤٧) .

(٥) فى (خ) : أن قوله .

(٦) أخرجه ابن عساكر (٢/٢٢٥) .

(٧) أخرجه البيهقى (٢٧٠٣) بلفظ : « أشراف أمتى حملة القرآن » من حديث ابن عباس (رضى الله عنهما) .

(٨) سورة فاطر ، الآيات (٣٢ - ٣٥) .

العمل ، ﴿ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ﴾ يعمل [به] [١] فى أغلب [٢] الأوقات ، ﴿ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ يضم إلى العمل به التعليم ، والإرشاد . انتهى .

قلت : وبقى قسم رابع ، وهو من يعمل به : أى دائماً ، ولا يضم إلى ذلك التعليم ، والإرشاد المذكورين ، وهو من المصطفين أيضاً ، وفى « تفسير الأخوين » ما يفيده ، ويفيد : أن حامل القرآن لا يعذب بالنار ، ويأتى **للقرطبى** ما يوافقه فإنهما قالا : أى الأخوان عقب قوله تعالى : ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ﴾ [أى [٣]] المجرم فيحبسون طول المحشر ، ثم يرحمون ، وفيه أيضاً قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ﴾ خلط العملين : أى ولم تُكَفِّر حسناته سيئاته فيحاسبون حساباً يسيراً ، وفيه أيضاً عقب قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ﴾ : أى بالطاعات ، وهو [٤] من حسناته تُكَفِّر سيئاته [٥] ، فيدخل الجنة بلا حساب وترتيبهم تقديم الأكثر فالأكثر ، وفيه عقب قوله تعالى : ﴿ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ : أى بأمره . انتهى المراد منه .

قلت : وما قالاه حكاه **البيضاوى** بقيل فقال بعد ما صدّر فى تفسير الآية بنحو ما تقدّم عن **الجلال** ما نصه : « وقيل الظَّالم المجرم والمقتصد الذى خَلَط الصَّالح بالسَّيئ ، والسابق الذى ترَّجحت حسناته بحيث صارت سيئاته مكفرة ، وهو معنى قوله (عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام) : « أَمَّا [٦] الَّذينَ سَبَقُوا فيدخلُونَ [٧] الجَنَّة بغَير حسَاب ، وَأَمَّا الَّذِينَ اقتصدوا فأُولئك يحاسبون حساباً يَسيراً ، وأَمَّا الَّذينَ ظَلَمُوا أَنفُسهم فأُولئكَ يحبسون طول المحشر، ثم يَتلقَّاهُم الله برحمته » [٨] انتهى .

---

(١) هذه الزيادة من (ع) .
(٢) فى (خ) : غالب .
(٣) هذه الزيادة من (خ) .
(٤) فى (خ) : ومنهم .
(٥) فى (خ) : السيئات .
(٦) فى (خ) : أما .
(٧) فى (خ) : فأولئك .
(٨) أخرجه أحمد (١٩٨/٥) ، والطبرانى فى « الكبير » (١٨/ ٨٠) .

وكلامهما وما يوافقه من كلام **البيضاوى** يفيد أن كلًّا من ظالم نفسه ، ومن المقصد ليس له حسنات تُكَفِّر سيئاته ، وينظر حينئذ وجه افتراقهما ، ولعله هو أن :

الأوّل : لاحسنات له أو له حسنات قليلة فى نفسها لكنها لا تُكَفِّر سيئاته .

والثانى : له حسنات كثيرة فى نفسها ، ولا تُكَفِّر سيئاته أيضاً ، وحينئذ يقال : ما وجه نجاتهما من العذاب مع أن كلًّا عاص ، فليس كمن هو على صفتهما ، وليس من أهل الكبائر[1] [ولعله لكونهما من أهل الكبائر][2] ، وليس فى « حاشية البيضاوى » للشيخ زاده[3] تعرض لهذا وذكر فيها ما نصه : روى ابن عباس (رضى الله عنهما) قال : الظَّالم لنفسه هُوَ مَنْ مات على كبيرة ولم يَتُبْ منها ، والمقتصد هو الَّذى لَمْ يَمُتْ عَلَى كبيرة كما قال تعالى : ﴿ ... **فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ** ... ﴾[4] : أى على طريق الحقّ غير حائد عنه ، ﴿ **وَمِنْهُمْ سَابِقٌ** ﴾ : أى سبق[5] الظَّالم ، والمقتصد فى الدرجات بسبب الخيرات الذى عملها ، **وقال الحسن**[6] : الظَّالم الذى ترجحت[7] سيئاته على حسناته ، والمقتصد الذى استوت حسناته وسيئاته ، والسابق من رجحت حسناته .

وروى **أسامة بن زيد**[8] (رضى الله عنهما) عن النَّبىّ ﷺ أنه قال فى هذه الآية : « **كُلهُم مِنْ هَذه الأُمَّة** »[9] .

---

(١) فى (ع) : الكتاب . (٢) هذه زيادة من (ع) .

(٣) هو : أحمد بن مصطفى بن خليل الرومى الحنفى المعروف بطاشكبرى زاده ، عالم مشارك فى كثير من العلوم ، له مصنفات كثيرة منها : « مفتاح السعادة » . توفى سنة (٩٦٨ هـ) . انظر : « معجم المؤلفين » (٣٠٨/١) .

(٤) سورة لقمان ، الآية (٣٢) . (٥) فى (خ) : على .

(٦) فى (خ) : الحلبى . (٧) فى (خ) : ترجح .

(٨) هو : الصحابى الجليل أسامة بن زيد بن حارثة (رضى الله عنهما) ، أبو محمد ، ولد بمكة ونشأ على الإسلام ، وكان حبّ رسول الله ﷺ وابن حبه . توفى بالجرف فى أواخر خلافة معاوية سنة (٥٤ هـ) . انظر : « الأعلام » (٢٩١/١) .

(٩) ذكره ابن كثير (٤٧٣/٣) .

وعنه ﷺ قال : « السَّابق مِنْ هَذِهِ الأُمَّة يَدخُل الجَنَّة ، والظَّالِمُ يُحْبَس فى طُول المحشر حتَّى يظُنّ أَنَهُ لن يَنْجُو[1] فَتَنالهُم الرَّحمَة ، ويدخلُونَ الجَنَّة ، وهُم الَّذينَ قالُوا : الحَمْد لله الَّذى أَذْهَب عَنَّا الحَزَن »[2] .

وعن **ابن عباس** (رضى الله عنهما) : « الظَّالِمُ أهل الإِجرام يغفر لَهُم ، والمقتصد أَصحاب اليمين يُحاسبون حساباً يَسيراً ، والسَّابق يدخُلُونَ الجَنَّة بغير حساب » . انتهى .

تنبيهٌ فى تفسير قول اللَّه تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ ﴾ :

ما ذكره فى « تفسير الأخوين » يوافق ما ذكره القرطبى فى المسألة الرابعة فى تفسير[3] قوله تعالى : ﴿ **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ** ... ﴾[4] الآية كما أشرنا إليه فإنه **قال أبو ثابت**[5] : دخل رجل المسجد فقال : اللهم ارحم غربتى ، وآنِسْ وحْدَتى ويَسِّر لى جليساً صالحاً **فقال أبو الدرداء**[6] : لئن كنت صادقاً فلأنا أسعد بذلك منك ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : ﴿ **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا**

---

(١) فى (خ) : لم ينج .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ، سورة فاطر (٣٢ - ٣٥) .

(٣) ذكره فى « الجامع لأحكام القرآن » (ج ٢٢٤/١٤) ، وأصله عند ابن جرير فى « تفسيره » (٩٠/٢٢) ، وذكره السيوطى فى « الدر المنثور » (٤٧٢/٥) ، وابن كثير فى « تفسيره » (٥٣٤/٦) .

(٤) سورة فاطر ، الآية (٣٢) .

(٥) أبو ثابت : لعلّه أبو ثابت التغلبى الكوفى أيمن بن ثابت تابعى صدوق ، وذكر الهيثمى : أن الأعمش قال مرة ثابت ، ومرة أبو ثابت ، وصوَّب الهيثمى أنه « ثابت بن عبيد » وهو ثقة من رجال الصحيح . انظر : « مجمع الزوائد » (٩٨/٧)، و « تهذيب التهذيب » (٢٩/٢)، و « تهذيب الكمال » (٣٦٢/٣) ، و « الكاشف » للذهبى (١٧١/١) ، (٣٢٠/٣) .

(٦) أبو الدرداء : هو عُويمر ، وقيل : عامر بن زيد بن قيس الأنصارى أحد الصحابة الأجلاء كان فقيهاً حكيماً زاهداً ، شهد ما بعد أحد من المشاهد ، ولى قضاء دمشق فى خلافة عثمان ، توفى سنة (٣٢ هـ) . انظر : « تهذيب الأسماء » للنووى (٢٢٨/٢) ، و « الهداية والإرشاد » (٥٩٢/٢) ، و « تهذيب التهذيب » (١٢٥/٨) ، و « حلية الأولياء » (٢٠٨/١) ، و « تذكرة الحفاظ » (٢٤/١) .

مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ... ﴾[1] قال : يجيء هذا السابق ، فيدخل الجنة بغير حساب ، أما المقتصد فيحاسب حساباً يسيراً ، وأما الظالم لنفسه فيحبس في المقام ، ويوبخ ويقرع ، ثم يدخل الجنة فهم : أي الظالمون لأنفسهم ﴿ وَقَالُواْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾[2][3].

وفى لفظ[4] آخر : وأما الذين ظلموا أنفسهم ، فأولئك يحبسون في طول المحشر ، ثم هم الذين يتلقاهم الله برحمته فهم الذين يقولون : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ... ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ لُغُوبٌ ﴾[5].

قال الثعلبى : وهذا التأويل أشبه بالظاهر أى أشبه من قول إن الظالم لنفسه هو الكافر والمنافق ، كما قال بعضهم : لأنه تعالى قال : ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونها ﴾ ، ولقوله : ﴿ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ والكافر والمنافق لم يصطفوا .

قلت : وهذا هو الصحيح ، وقد قال ﷺ : « مثل المنافق الذى يقرأ القرآن مثل الرّيحانة ريحها طيب وطعمها مر »[6] فأخبر أن المنافق يقرؤه ، وأخبر تعالى

---

(١) سورة فاطر ، الآية (٣٢) .

(٢) سورة فاطر ، الآية (٣٤) .

(٣) رواه أحمد فى « مسنده » (٢٣٥/٥ - رقم ٢١٧٨٥) ، وابن جرير فى « تفسيره » (ج ٩٠/٢٢) وابن أبى حاتم وابن المنذر ، والطبرانى وابن مردويه ، والبيهقى كما فى « الدر المنثور » (ج ٤٧٢/٥) للسيوطى ، وذكره الهيثمى فى « المجمع » (٩٨/٨) وعزاه إلى أحمد والطبرانى وقال : رجاله رجال الصحيح ، وقال البيهقى : للحديث أصلٌ ، ورواه البغوى فى « تفسيره » (٥٧٠/٣) .

(٤) هذا اللفظ الآخر مذكور عن جماعة من السلف منهم ابن عباس (رضى الله عنهما) عند عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم . انظر : « الدر المنثور » (٤٧٥/٥) ، و« تفسير ابن كثير » (٥٣٢/٦) ، و« تفسير البغوى » (٥٧١/٣) ، و« زاد المسير » لابن الجوزى (ج ٤٨٩/٦) .

(٥) سورة فاطر ، الآيتان (٣٤ ، ٣٥) .

(٦) حديث رواه البخارى ك : فضائل القرآن (٢٣٥/٦) ، ومسلم ك : صلاة المسافرين (٢٦٢٨) ، والترمذى ك : الأمثال (٢٨٦٥) ، والنسائى (١٢٥/٨) ، وأحمد (٤٠٤/٤) ، والبغوى فى « شرح السنة » (١١٧٥) .

﴿ إِنَّ الْـمُنَافِقِيـنَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ... ﴾ [1] وكثيراً من كفار اليهود والنصارى يقرؤونه فى زماننا ، **وقال مالك** : قد يقرأ القرآن من لا خير فيه . انتهى المراد منه .

فالمراد بالذين اصطفينا من عبادنا صحيح الإيمان منهم ، وقد تقدّم فى كلام **الجلال** [2] بأن المراد بالعباد فى قوله : ﴿ **مِنْ عِبَادِنَا** ﴾ أمّة محمد ﷺ وذكره **القرطبى** [3] عن ابن عباس (رضى الله عنهما) وغيره وعلى هذا يأتى ما رواه **عمر بن الخطاب** (رضى الله عنه) عن النبى ﷺ فإنه قال بعد أن قرأ هذه الآية : قال رسول الله ﷺ : « سابقنا سابق [4] ، ومقتصدنا ناج ، وظالمنا مغفور له » [5] .

حَمَلَةُ القُرْآنِ من أُمَّـة مُحَمَّـد ﷺ لا يُعَـذَّبُونَ بالنَّـار :

قلت : فيستفاد من هذا ومما قبله أن حَمَلة القرآن من أمّة محمد ﷺ لا يُعَذَّبون بالنار ، وفى كلام **الجلال المحلى** فى قوله تعالى فى سورة الانشقاق : ﴿ **فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ * يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً** ﴾ [6] قال بعد ما فسر من أُوتِىَ كتابه بيمينه بالمؤمن عقب قوله : حساباً يسيراً ما نصه : هو عرض عمله عليه كما فسر فى حديث « الصحيحين » وفيه « من « نُوقش الحسَاب

---

(١) سورة النساء ، الآية (١٤٥) .

(٢) راجع : « تفسير الجلال » ص (٥٧٥) الجزء الثانى والعشرون .

(٣) « تفسير القرطبى » (ج ٢٢٢/١٤) ، وانظر : « الدر المنثور » (٤٧٢/٥) فقد ذكره من رواية ابن عباس (رضى الله عنهما) عند ابن جرير وابن المنذر والبيهقى فى « البعث » .

(٤) فى خ : سابق سابق وهو خطأ ، والصواب فى المطبوعة ، وهو الذى فى كتب الحديث .

(٥) ضعيف : رواه البغوى فى « تفسيره » (٥٧١/٤) ، العقيلى فى « الضعفاء » (٤٤٣/٣) ، وعزاه السيوطى فى « الدر المنثور » (٤٧٣/٥) إلى : ابن أبى شيبة والبيهقى فى « البعث » وابن لال ، وذكره المناوى فى « فيض القدير » (ج ٧٩/٤) ، ونقل تضعيف ابن معين ، والذهبى والعقيلى لهذا الحديث ، وعلته الفضل بن عميرة ، قال العقيلى : لا يتابع على حديثه وَرَجَّح ابن حجر وقفه على عمر (رضى الله عنه) فى « تخريج الكشاف » (١٣٩) .

(٦) سورة الانشقاق ، الآيتان : (٧ ، ٨) .

هَلَك »[1] وبعد العرض يتجاوز عنه . انتهى .

وليس فى هذا دلالة على أن من أُوتِيَ كتابه بيمينه لا يعذب ، بل فيه دلالة على أن بعضهم يعذب ، وبعضهم لا يعذب كما ستقف عليه ففى البخارى ومسلم عن عائشة (رضى الله تعالى عنها) قالت : قال رسول الله ﷺ « مَنْ حُوسِبَ يَوْم القيامة عُذِّب » ، فقلت : أليس قد قال الله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ **فَسَوْفَ يُحَاسبُ حِسَاباً يَسِيراً** ﴾ ؟ فقال : « ليس ذلك الحساب إنما ذاك[2] العرض ، مَنْ نُوقش الحساب عُذِّب[3] فقوله : « مَنْ حُوسِب عُذِّب » : أى مَنْ نُوقِشَ الحِسَاب [عُذِّبَ] بدليل آخر [الحديث] ، ثم إن مفاد هذا الحديث أن من يؤتى كتابه بيمينه بعضهم لا يعذب ويحاسب حساباً يسيراً ، والمراد بحسابه عرض عمله عليه كما فى الحديث ، وبعضهم يُعَذَّب ويُحَاسب : أى يناقش الحساب ، فقد بان بهذا أن كلًّا من القسمين يحاسب ، وأن معنى الحساب بالنسبة لأحدهما غير معنى الحساب بالنسبة للآخر ، وقد أشار شيخ شيوخنا **العلقمى**[4] فى « حاشية الجامع » لما يفيد ذلك بقوله : قال بعضهم : وجه المعارضة أن لفظ الحديث عام فى تعذيب كل من حُوسب ، ولفظ الآية دال على أن بعض من يُحاسب لا يُعَذّب ، وطريق الجمع أن المراد بالحساب فى الآية العرض ، وهو إبراز الأعمال وإظهارها ، فيعرف صاحبها بذنوبه ، ثم يتجاوز

---

(١) هو بهذا اللفظ عند مسلم ك : صفة الجنة ٨٠ - (٢٨٧٦) ، والترمذى ك : صفة القيامة (٢٤٢٦) ، وأحمد فى « مسنده » (٢٠٦/٦) ، وابن أبى عاصم فى « السنة » (٤٢٩/٢) ، الحاكم فى « المستدرك » ك : الأموال (٥٨٠/٤) .

(٢) فى (خ) : ذلك .

(٣) رواه البخارى (١٣٩/٨) ، ومسلم ك : صفة الجنة ٧٩ - (٢٨٧٦) ، وأبو داود ك : الجنائز (٣٠٩٣) ، وأحمد فى « مسنده » (١٢٧/٦) ، والبغوى فى « شرح السنة » (٤٣١٩) .

(٤) **العلقمى** : هو محمد بن عبد الرحمن العلقمى القاهرى ، فقيه محدث ، تتلمذ على يد الإمام السيوطى ، ومن مؤلفاته : « الكوكب المنير فى شرح الجامع الصغير للسيوطى » ، توفى سنة (٩٦٣ هـ) . انظر : « شذرات الذهب » (٣٣٨/٨) ، و« هداية العارفين » للبغدادى (٢٤٤/٢) .

عنه ، وقوله : « من نوقش » هو من النقش ، وهو استخراج الشوكة ، والمراد بالمناقشة الاستقصاء فى المحاسبة ، والمطالبة بالجليل والحقير ، وترك المسامحة ، يقال : انقشت منه حقى استقصيته انتهى [١] .

وقوله : « عُذِّب » : يحتمل أن يريد بتعذيبه المناقشة المذكورة ويحتمل [أن يريد] أن المناقشة المذكورة مفضية لتعذيبه وهذا الثانى هو اختيار [**النووى**] [٢] ، وفى **البغوى** [٣] عُذِّب بذلك وهو محتمل للاحتمالين بجعل الباء صلة عذب أو سببية ، وقد أشار شيخ شيوخنا للاحتمالين المذكورين بقوله **قال عياض** : قوله : عُذِّب له معنيان : **أحدهما** : أن نفس مناقشة الحساب وعرض الذنوب والتوقيف على قبيح ما سبق منه ، والتوبيخ تعذيب ، **والثانى** : أنه يفضى إلى استحقاق العذاب ، ويؤيد هذا الثانى قوله فى الرواية الأخرى من نوقش المحاسبة هلك ، وصحح **النووى** التأويل الثانى ، انتهى [٤] باختصار .

وما تقدم **للأخوين** من قولهما وترتيبهم [٥] بتقديم الأكثر فالأكثر ذكره **القرطبى** مع زيادة فقال : الثالثة : أى من المسائل الأربع تكلم الناس فى تقديم الظالم على المقتصد والسابق ، فقيل : التقديم فى الذِّكر لا يقتضى تشريفاً لقوله تعالى : ﴿ **لَايَسْتَوِى أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ** ﴾ [٦] ، **وقيل** : قدّم الظالم لكثرة الفاسقين وغلبتهم ، وأن المقتصد قليل

---

(١) جاء هذا المعنى فى « شرح السنة » للبغوى (ج ١٣٢/١٥) .

(٢) انظر : « شرح مسلم » للنووى (ج ٢١٣/١٨) .

(٣) هو الحسين بن مسعود البغوى ، أحد أئمة الحديث والتفسير ، ومن كبار علماء الشافعية ، ولد سنة (٤٣٦ هـ) ، وتوفى سنة (٥١٦ هـ) ، من مؤلفاته : « شرح السنة » ، و « معالم التنزيل فى تفسير القرآن » . انظر : « طبقات الشافعية » (٤٨/٤) ، و « تذكرة الحفاظ » (٥٢/٤) ، و « طبقات المفسرين » للداودى (٥٨) ، و « النجوم الزاهرة » لابن تغرى بردى (١٢٤/٥) .

(٤) نقل كلام القاضى عياض النووى فى « شرح مسلم » (٢١٤/١٨) ، والأُبِّى فى إكمال المُعْلِم (٢٣٥/٧ ، ٢٣٦) .

(٥) فى (خ) : وقربهم .

(٦) سورة الحشر ، الآية (٢٠) .

بالإضافة إليهم ، والسابقون أقل من القليل ذكره **الزمخشري**[1] ، ولم يذكره غيره .

وقيل : قدّم الظالم لتأكيد الرجاء في حقه إذ ليس له شيء مُتّكل عليه إلا رحمة ربه ، واتكل المقتصد على حسن ظنه ، والسابق اتكل على طاعته ، **وقيل** : قدّم الظالم ، لئلا ييئس من رحمة الله ، وأَخَّر السابق ، لئلا يعجب بعمله ، **وقال جعفر الصادق**[2] (رضى الله تعالى عنه) : قدّم الظَّالم ليخبر أنه لا يتقرب إليه إلا بصرف رحمته وكرمه ، وأنَّ الظالم[3] لا يؤثر في الاصطفائية إذا كانت ، ثم عنية ثم ثنى المقتصدين ، لأنهم بين الخوف والرّجا ، ثم ختم بالسابقين لئلا يأمن أحدهم[4] مكر الله .

وكلهم في الجنة بحرمة كلمة الإخلاص لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ﷺ . انتهى[5] .

وقوله تعالى : ﴿ **الَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ** ﴾ أخرج **الحاكم** في « صحيحه »[6] عن ابن عباس (رضى الله عنهما) حزن النار[7] وأخرج عنه أيضاً **ابن أبى حاتم** حزن ذنوب سلفت[8] ، وأُخْرِجَ عن **الشعبى** ، طلب الخبز غداء

---

(1) ذكر ذلك في تفسيره المسمى بـ « الكشاف عن حقائق التنزيل » (٣٠٩/٣) .

(2) **جعفر الصادق** : هو جعفر بن محمد بن على بن الحسن بن على بن أبى طالب (رضى الله عنهم) ، ثقة جليل ، من آل بيت النبى ﷺ قال أبو الحسن المدائنى : توفى سنة (١٤٨ هـ) .

انظر ترجمته في : « تهذيب التهذيب » (١٠٣/٢) ، و« شذرات الذهب » (٢٢٠/١) ، و« غاية النهاية في طبقات القراء » لابن الجزرى (١٩٦/١) ، و« تذكرة الحفاظ » (١٦٦/١) .

(3) في (خ) : والظلم .

(4) في (خ) : أحدُ .

(5) من « تفسير القرطبى » (ج ٢٢٣/١٤) .

(6) في (خ) : وصححه .

(7) ورواه عبد بن حميد ، وابن جرير وابن أبى حاتم كما في « الدر المنثور » (ج ٤٧٥/٥) ، وذكره البغوى في « تفسيره » (٥٧٢/٣) ،

(8) ذكره السيوطى في « الدر المنثور » (٤٧٥/٥) ، وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن جرير ، وعبد بن حميد .

وعشاء[1] ، وأخرج عن غيرهما الجوع . انتهى .

قلت : والأحسن أن يراد به ما يشمل الجميع ، والنَّصَب التعب واللغوب الإعياء من التعب ، وأشار إلى ذلك فى « تفسير الأخوين » مع زيادة[2] ، فقال : النصب الثقل واللغوب الكلال : أى من التعب وهذا تصريح[3] بما فهم للمبالغة ، **وأخرج ابن أبى حاتم**[4] **والبيهقى**[5] عن عبد الله بن أبى أوفى[6] (رضى الله عنه) قال رجل : يا رسول الله إنَّ النَّوم مما تقر به أَعْيننا فى دار الدُّنيا فهل فى الجنَّة نوم ؟ قال : لا ، النوم شريك الموت ، وليس فى الجنة موت قال : فما راحتهم ؟ فعظم ذلك على النبى ﷺ وقال : « ليس فيها » لغُوب كل أمرهم [راحة] فنزل ﴿ **لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ** ... ﴾[7] الآية انتهى[8] .

---

(١) فى هذا اللفظ بعض الاختصار ...

ولفظ ما جاء عن الشعبى فى « تفسير » (الحزن) هو : الحزن : طلب الخبز فى الدنيا فلا نهتم له كاهتمامنا له فى الدنيا طلب الغداء والعشاء ذكره فى « الدر المنثور » (٤٧٦/٥) ، وعزاه إلى ابن أبى حاتم فى « تفسيره » ، وذكره البغوى فى « تفسيره » (٥٧٢/٣) ، وعزاه إلى سعيد بن جُبَيْر .

(٢) فى (خ) : زيادته . (٣) فى (خ) : وهذا صريح .

(٤) **ابن أبى حاتم** : هو : الحافظ الناقد شيخ الإسلام عبد الرحمن بن أبى حاتم ، محدث جليل ، من كبار علماء الحديث ، قال أبو يعلى الخليلى : كان بحراً فى العلوم ومعرفة الرجال ، توفى سنة (٣٢٧ هـ) . انظر : « تذكرة الحفاظ » (٨٢٩/٣) ، و« طبقات الشافعية » لابن السبكى (٢٣٤/٣) ، و « البداية والنهاية » لابن كثير (١٩١/١١) .

(٥) **البيهقى** : هو الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين بن على البيهقى ، أحد أعلام المحدثين الفقهاء ، توفى سنة (٤٥٨ هـ) .

انظر : « طبقات الشافعية » لابن السبكى (٢١٤/٤) ، و« تذكرة الحفاظ » للذهبى (١١٣٢/٣) ، و « البداية والنهاية » (٩٤/١٢) .

(٦) **عبد الله بن أبى أوفى** : اسمه علقمة بن خالد بن الحارث ، وهو صحابى جليل ، قال عمر بن مرة : كان من أصحاب الشجرة ، توفى سنة (٨٠ هـ) بالكوفة ، وكان آخر من مات بها من الصحابة .

انظر : « الإصابة » لابن حجر (١٦/٤) ، و « تهذيب التهذيب » (١٥١/٥) ، و « طبقات الحفاظ » (٤٤/١) .

(٧) الحجر ، الآية (٤٨) .

(٨) هذا الحديث ذكره السيوطى فى « الدر المنثور » (٤٧٦/٥) ، وعزاه إلى ابن أبى حاتم =

فَضْـلُ قِـرَاءَةِ القُـرْآن :

وفى الحديث : « اقرؤا القرآن فإن الله لا يعـذب قلباً وعى القرآن »[١] . انتهى .

قلت : والمرد بقوله : « اقرؤ القرآن » : احفظوه بدليل ما بعده ، وعن بريدة (رضى الله عنه) قال : كنت عند النّبىّ ﷺ فسمعته يقول : « إن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين يشقّ عنه القَبْر كالرَّجل الصَّاحب يقول له : هل تعرفنى ؟ فيقـول : ما أعرفك ، فيقول : أنا صـاحبك أظْمأتك فى الهَواجر وأَسْهَرتك[٢] ليلك إلى أن قال [فيه] ويوضع على رأسه تاج الوقار ، ويكسى والداه حلتين لا يقوم لهما أهل الدنيا ، فيقولان : بم كُسِينَا هذا ؟ فيقال : لهما بأخذ ولدكما القرآن ، ثم يقال : اقرأ واصعد فى درج الجنة وغرفها ، فهو فى صعود ما دام يقرأ هـدراً[٣] كان أو ترتيلًا[٤] وقال (عليه الصلاة والسلام) : « إن درج الجنة على عدد آيات القرآن[٥] [فيقال لقارئ القرآن : اقرأ وارق

= والبيهقى فى « البعث » ، وابن مردويه ، ورواه أبو نعيم فى « صفة الجنة » ، وفى سنده عندهم نفيع ابن الحارث وهو ضعيف جدًّا ، وللحديث شواهد من رواية جابر (رضى الله عنه) بلفظ : « النوم أخو الموت ، ولا ينام أهل الجنة » رواه أبو نعيم فى « الحلية » (٩٠/٧) ، والعقيلى (٣٠١/٢) ، والبزار « كشف الأستار » ١٩٣/٤) ، والطبرانى فى « الأوسط » كما فى « مجمع الزوائد » (ج ٤١٥/١٠) ، وقال الهيثمى : رجال البزار رجال الصحيح ، وحسنه الألبانى بطرقه فى « الصحيحة » (١٠٨٧) .

(١) ذكره السيوطى بهذا اللفظ فى « جمع الجوامع » (٣٩٣١) ، وذكره الهندى فى « كنز العمال » (٥٣٦/١) بلفظ : « لا يُعذب الله قلباً وعى القرآن » . وعزاه إلى الحكيم الترمذى ، والديلمى ، وكذا فى « كشف الخفا » (٥٠٣/٢) ، ورواه تمام فى « فوائده » كما فى « كنز العمال » (٢٢٧١) .

(٢) فى (خ) : وأسهرت ليلك .

(٣) فى (خ) : حدراً ، والحدر : هو الإسراع فى القراءة كما فى « المعجم الوسيط ١٦٧/١) .

(٤) الحديث بطوله رواه محمد بن نصر ، وابن الضريس فى « فضائل القرآن » عن بريدة وابن أبى شيبة كما فى « كنز العمال » (٥٥٢/٢ - رقم ٢٤٧٥) .

(٥) رواه ابن مردويه عن عائشة (رضى الله عنها) ، والديلمى عن ابن عباس (رضى الله عنهما) كما فى « كنز العمال » للهندى (٥٤١/١ رقمى ٢٤٢٤ ، ٢٤٢٥) .

ورتل كما كنت ترتل فى دار الدُّنيا ، فإنَّ منزلتكَ عند آخر آية كنت تقْرؤها [1]] [2] انتهى .

ويأتى مقدار عدد درج الجنَّة ، ثم إن هذا يفيد أن من [3] يقرأ القرآن كله تكون منزلته فى الدرجة العليا فيكون فى درجته (عليه الصلاة والسلام) ، وهذا يرده ما ورد من قوله ﷺ : « سَلُوا الله لى الوَسيلَة أَعلَى درجة فى الجنَّة لا ينالها إلا رجلٌ واحد ، وأرجُو أنْ أكون أنا هو » [4] (ت) .

عن **أبى هريرة** [5] (رضى الله عنه) اللهم إلا أن يقال : إن آى القرآن بعدد الدرج [أى] التى للمؤمنين غير الأنبياء ودرج الأنبياء، فوق ذلك ، ويفيد أيضاً أن من قرأ فى دار الدنيا من القرآن بعضه ، وقرأ فى البرزخ باقيه ، لما ورد أن أولاد المؤمنين يعلمون القرآن فى البرزخ على ما ذكره شيخنا **محمد الرملى** [6]

---

(١) فى (خ) : تقرؤها فى دار الدنيا .

(٢) ما بين القوسين حديث آخر صحيح ، رواه الترمذى ك : فضائل القرآن (٢٩١٤) ، وأبوداود ك : الصلاة (١٤٦٤) ، وأحمد فى « مسنده » (١٩٢/٢) ، وابن حبان فى « صحيحه » (الإحسان) (٧١/٢) ، والبيهقى فى « السنن » (٥٣/٢ ك : الصلاة) ، والحاكم ك : فضائل القرآن (٥٥٣/١) ، وصححه وأقره الذهبى وصححه الترمذى .

(٣) فى (خ) : من قرأ

(٤) رواه الترمذى ك : المناقب (٣٦١٢) وضعفه ، والمتن صحيح ثابت من حديث عبد الله بن عمرو (رضى الله عنهما) رواه الترمذى (٣٦١٤) ، ورواه مسلم ك : الصلاة (٣٨٤) ، والترمذى ك : المناقب (٣٦١٤) ، وأبوعوانة فى « صحيحه » (٣٣٦/١) ، والبيهقى فى « السنن الكبرى » (٤٠٩/١) ، والطحاوى فى « معانى الآثار » (١٤٣/١) .

(٥) **أبو هريرة** : عبد الرحمن بن صخر الدَّوسى اليَمانى ، أسلم سنة (٧ هـ) ، وحَمَل عن النبى ﷺ وعن كبار الصحابة - كأبى بكر وعمر (رضى الله عنهما) - علماً كثيراً . قال الشافعى : أبوهريرة أحفظ من روى الحديث فى دهره بلغ مسنده ٥٣٢٦ حديثاً .

انظر : « حلية الأولياء » (٣٧٦/١) ، و« رجال صحيح البخارى » للكلاباذى (٤٩١/٢ - رقم ٧٥٤) ، و « تهذيب التهذيب » (٢٦٢/١٢) .

(٦) **محمد الرَّمْلى** : هو محمد بن أحمد بن حمزة الرملى المنوفى الشافعى ، فقيه عالم ، من تصانيفه : « الفتاوى » ، و« نهاية المحتاج فى شرح المنهاج » ، و« شرح العقود فى النحو » ، ولد سنة (٩١٩ هـ) ، وتوفى سنة (١٠٠٤ هـ) . انظر : « إيضاح المكنون » (١٢١/٢) ، و « معجم المؤلفين » (٦١/٣) ، و « الأعلام » للزركلى (٢٣٥/٦) .

في فتوى له ، وهي عندي بخطه ، ولكن لم أره لغيره أنه لا يرقى بقراءة ما قرأه في البرزخ درج الجنة ، ثم إن هذا لا يعارض ما ورد أن أهل الجنة لا يقرءون فيها غير طه ويس ، لأنه محمول على ما يكون من القراءة بعد قراءة الرقى ، وقد جاء في مدح قارئه : أي القرآن من المؤمنين ، وذم قارئه من غيرهم حديث : « مَثَلُ المؤْمن الَّذِي يَقْرَأ القُرْآن كَمَثَلِ الأُتْرُجَّة [1] ريحُها طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ ، وَمَثَلُ المُؤْمن الذى لا يقرأ القرآن كَمَثَلِ التَّمْرَة لا ريحَ لها وَطَعْمُها حُلو ، ومَثَلُ المُنَافِق الَّذِي يقرأ القُرْآن كَمَثَلِ الرَّيْحَانة ريحها طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُر ، وَمَثَل المُنَافق الَّذِي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر » [2] (حم ق عد) .

[عن أبي موسى [3]] (رضى الله عنه) . انتهى ، ومن « الجامع الكبير للسيوطي » : « مَنْ قَرَأ القُرآن في صَلاةٍ قائماً كان له بِكُلِّ حرف مائة حسنة ، ومن قرأ قاعداً كان له بكُلِّ حرف خمسون حسنة ، ومَنْ قرأه في غير صلاة كان له بكل حرْف عشر حسنات ، ومن استمع إلى كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ كان له بكل حرف حسنة » الديلمي عن أنس (رضى الله عنه) انتهى [4] وقوله :

---

(١) **الأُتْـرُجَّة : الأُتْرُجُّ** : شجر ناعم الأغصان والورق ، وثمره كالليمون الكبار ، وهو ذهبي اللون ، ذكيُّ الرائحة ، قال ابن حجر : والحكمة في تخصيص الأترجة بالتمثيل دون غيرها من الفاكهة التي تجمع طيب الطعم والريح كالتفاحة ، لأنه يتداوى بقشرها ، ويستخرج من حبها دهن له منافع ، وغلاف حبه أبيض فيناسب قلب المؤمن .

انظر : « فتح الباري » (٦٨٤/٨) ، و« المعجم الوسيط » (٤/١) .

(٢) رواه البخاري ك : فضائل القرآن [٥٠٢٠] ، ومسلم ك : صلاة المسافرين (٢٤٣) ، وأبو داود ك : الأدب : (٤٨٢٩) ، والترمذي (٢٨٦٥) ، وأحمد (٣٩٧/٤) .

(٣) **أبو موسى** : هو عبد الله بن قيس بن سليم الأشعري صاحب رسول الله ﷺ ولزمه وجاهد معه ، وأرسله مع معاذ بن جبل رضى الله عنه والياً على مخلاف من اليمن توفى سنة (٤٤ هـ) .

انظر : « غاية النهاية » (٤٤٢/١) ، و« حلية الأولياء » (٢٥٦/١) ، و« الطبقات الكبرى » لابن سعد (٣٠٢/٧) ، و« تهذيب الأسماء » للنووي (٢٩٨/٢ - رقم ٤٣٠) .

(٤) ذكره المتقى الهندى في « كنز العمال » (٥٤١/١ - ٥٤٢) ، وعزاه إلى الديلمي في « فردوس الأخيار » .

« من[1] استمع » إلخ مخالف لما ذكره فى مقدّمة من يؤتى أجره مرتين فإنه ذكر فيها أن لمستمع القرآن مثل أجر القارئ مرتين .

فائدةٌ ، فى فَضْلِ الأُتْـرُج :

قال الشيخ عبد الوهاب الشعرانى[2] فى مناقب الشيخ العارف بالله تعالى سيدى **محمد الحنفى**[3] ما نصه : وكانت أم سيدى محمود زوجة الشيخ (رضى اللَّه تعالى عنه) تقول : أهدت لنا امرأة أُتْرُجَّة صفراء فوضعناها عندنا فى طبق فانقطع الجان الذى كانوا يقرؤون على سيدى ، فلما أكلناها جاءوا فقال لهم سيدى : ما قطعكم عن المجيء ؟ فقالوا : لا نقدر على رائحة الأُتْرُج ، ولا نقدر أن ندخل بيتاً هو فيه ، فكان سيدى محمد يأمر مَنْ نزل عنده الجان بأن يضع فى بيته الأُترج[4] ويعمل من حبه[5] سبحاً ويحفظها عنده لمن عرض له عارض فى غير زمن الأترج ، والأُترج بضم الهمزة وتشديد الجيم : فاكهة معروفة ، الواحدة أترجة ، وفى لغة ضعيفة ترنج .

قال الأزهرى[6] : والأولى هى التى تكلم عليها الفصحاء ، وارتضاها

---

(١) فى (خ) : ومن .

(٢) **الشعرانى** : هو : عبد الوهاب بن أحمد بن على الشعرانى ، فقيه أصولى ، محدث من أئمة الصوفية ، ولد فى قلقشندة بمصر ، وله مؤلفات كثيرة منها : « شرح جمع الجوامع للسبكى » ، و « الطبقات الكبرى » ، و « الميزان » ، وغيرها ، توفى سنة (٩٧٣ هـ) . انظر : « هداية العارفين » (٦٤/١) ، و « الأعلام » (٣٣١/٤) ، و « معجم المؤلفين » (٣٣٩/٢) .

(٣) **محمد الحنفى** : هو محمد بن الحسن بن على البكرى المصرى الحنفى ، صوفى فقيه ، شاعر من أهل القاهرة ، من تصانيفه : « الروض النسيق فى علم الطريق » ، ولد سنة (٧٦٧ هـ) ، وتوفى سنة (٨٤٧ هـ) .

انظر : « الأعلام » (٣١٩/٦) ، و « معجم المؤلفين » (٢٢٥/٢) .

(٤) ذكر نحو هذا الحافظ ابن حجر فى « فتح البارى » (٦٨٤/٨) فقال : وقيل : إن الجن لا تقرب البيت الذى فيه الأترج فناسب أن يمثل به القرآن الذى لا تقربه الشياطين .

(٥) فى (خ) : منه سبحاً .

(٦) فى (خ) : الزهرى وهو خطأ .

النحويون قاله فى « الصحاح » [1] ، وإنما شبه النبى ﷺ المؤمن الخاص بالأترجة ؛ لأن الشيطان يهرب عن قلب المؤمن القارئ للقرآن كما أن الجن تهرب [2] من المحل الذى فيه الأُترج ، فناسب ضرب المثل [به] بخلاف سائر الفواكه ، ثم إن واقعة الشيخ محمد الحنفى هذه تقدّمت لمن قبله ، فقد ذكر صاحب « حياة الحيوان » فى الكلام على الجن : لا يدخل الجن بيتاً فيه الأُترج ، روينا عن الإمام **أبى الحسن على بن الحسين الخلعى** [3] نسبة إلى بيع الخِلَع وهو من أصحاب الشافعى وقبره معروف بالقرافة بإجابة الدعاء ، وكان يقال له : قاضى الجن أنه أخبر أنهم كانوا يأتون إليه ويقرؤون عليه ، وأنهم أبطئوا عليه جُمعة ثم أتوه فسألهم عن ذلك ، فقالوا : كان فى بيتك شىء من الأترج وإنا لا ندخل بيتاً هو فيه .

قال الحافظ أبو طاهر السِّلفى [4] : وكان الخلعى إذا أسمع عليهم الحديث يختم مجالسه بهذا الدعاء : اللهم ما مننت به فتممه ، وما أنعمت به فلا تسلبه ، وما سترته فلا تهتكه ، وما علمته فاغفره وتوفى فى شوال سنة ثمان وأربعين وأربعمائة انتهى .

---

(١) فى (خ) : المصباح .

(٢) فى (خ) : يهربون .

(٣) **الخلعى** : هو على بن الحسن بن الحسين الموصلى الشافعى الخلعى ، محدث جليل من كبار علماء الحديث ، من تصانيفه : « فوائد الحديث » ، و« خلعيات فى الحديث » فى عشرين جزءًا توفى سنة (٤٩٢ هـ) . انظر : « شذرات الذهب » (٢/٢٠٥) ، و « هداية العارفين » (١/٦٩٤) ، و« طبقات الشافعية » (٢/٨٢) .

(٤) **السِّلفى** : هو الحافظ العلامة أبو طاهر عماد الدين أحمد بن محمد بن أحمد الأصبهانى ، وسِلَفَه جده أحمد ، ومعناه الغليظ الشفة ، كان حافظاً ناقداً له « معجم شيوخ أصبهان » و« معجم السفر » ، توفى سنة (٥٧٦ هـ) .

انظر : « تذكرة الحفاظ » للذهبى (٤/١٢٩٨) ، و« شذرات الذهب » (٤/٢٥٥) ، و« طبقات الشافعية » (٦/٣٢) ، و« طبقات الحفاظ » للسيوطى (٤٦٩) .

وقال فى « التبيان فى آداب [1] حملة القرآن » ما نصه [2] : وعن أبى سعيد الخدرى [3] (رضى الله تعالى عنه) عن النَّبىّ ﷺ قال : « يقُول الرَّب سُبحَانهُ وتَعالى : « مَنْ شَغلهُ القرآن وذكرى عن مسألتى أعطيتهُ أفْضَلَ ما أُعطى السَّائلين ، وفَضْل كلَام الله تعالى على سَائر الكلام كَفَضْل الله تعالى على سائر خَلْقه » رواه الترمذى [4] وقال : حديث حسن .

وهذا بظاهر يخالف ما رواه **سعد بن أبى** [5] **مالك** عنه ﷺ قال : جاء أعرابى إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول علمنى كلاماً أقوله ، قال : قل : لا إلٰه إلَّا الله ، وحده لا شريك له ، الله أكبر كبيراً [والحمد لله كثيراً] ، وسبحان الله رب العالمين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم ، قال : هؤلاء لربى فما لى ؟ قال : قل اللَّهُمَّ اغْفر لى وارْحَمنى واهْدنى وارزُقنى » [6] حديث حسن صحيح .

---

(١) سقطت هذه اللفظة من (خ) ، والكتاب من مؤلفات الإمام النووى - رحمه الله - .

(٢) ص (١٠) من التبيان للنووى - رحمه الله - .

(٣) **أبو سعيد الخدرى** : سعد بن مالك بن سِنان ، شهد الخندق وبيعة الرضوان ، وكان من المكثرين للرواية عن رسول الله ﷺ بلغ ما رواه ١١٧٠ حديثاً ، توفى سنة (٧٤ هـ) .
انظر : « حلية الأولياء » (٣٦٩/١) ، و« تذكرة الحفاظ » (٤٤/١) ، و« تهذيب الكمال » (٢٩٥/١٠) ، و« رجال صحيح مسلم » لابن منجويه (٢٣٢/١) .

(٤) رواه الترمذى ك : فضائل القرآن (٢٩٢٦) ، والدارمى فى « السنن » (٤٤١/٢) ، والبيهقى فى « الأسماء والصفات » (٢٣٨) ، وفى « شعب الإيمان » ، والقضاعى فى « مسند الشهاب » (٣٤١/١) ، وأبو نعيم فى « الحلية » (١٠٦/٥) ، وقال ابن حجر فى « الفتح » (١٣٤/١١) : « رجاله ثقات إلَّا عطية العوفى ففيه ضعف » ، ونقل السيوطى فى « اللآلئ » عن ابن حجر تحسينه لهذا الحديث ، وحسنه النووى والترمذى « تنزيه الشريعة » (٣٢٣/٢) .

(٥) فى (خ) : سعد بن مالك : والذى فى كتب الحديث : سعد بن أبى وقاص : وهو مالك بن أُهَيْب ، ويقال : وُهَيْب بن عبد مناف ، صحابى جليل ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، توفى سنة (٥٤ هـ) على قول الأكثرين . انظر : « حلية الأولياء » (٩٢/١) ، و« تذكرة الحفاظ » (٢٢/١) ، و« تهذيب الكمال » (٣٠٩/١٠) ، و« تهذيب التهذيب » (٤٨٣/٣) .

(٦) رواه مسلم ك : الذكر والدعاء ٣٣ - (٢٦٩٦) ، وأحمد فى « مسنده » (١٨٠/١ ، ١٨٥) رقمى (١٥٦١ ، ١٦١١) عن سعد بن أبى وقاص (رضى الله عنه) .

وقد أشار إلى بيان المعارضة والجمع **الإمام المقدسى** [1] فى كتابه « الأربعين حديثاً عن الأربعين شيخاً لأربعين صحابيًا » [2] ، فقال : وهذا : أى حديث سعد بن أبى مالك يدل على أن الثناء على الله تعالى لا يكتفى به عن المسألة ؛ لأن الثناء عليه يقصد به تحصيل مثوبته مطلقاً والدعاء يتعين به مطلوب الداعى .

وقد قال تعالى : ﴿ ... **ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ** ... ﴾ [3] الآية إلا أنه ينبغى للداعى أن يبتدى بالثناء على الله تعالى والصلاة والسلام على نبيه محمد ﷺ ، ثم يدعو كما جاء فى الحديث : « أنهُ سمعَ رجلًا يدعُو لم يحمد الله ، ولم يُصَلِّ على نبيه ﷺ فقال : عجل هذا » [4] أى أتى بدعاء خال عن شرطه ، ثم دعاه فعلمه الحديث ، وهو حديث حسن صحيح [5] ، وقد احتج **ابن عيينة** [6]

---

(١) **المقدسى** : هو الإمام نصر بن إبراهيم المقدسى الشافعى أبو الفتح ، محدث ، فقيه حافظ ، من تصانيفه : « الحجة على تارك المحجة » ، « التهذيب فى الفقه الشافعى » ، توفى سنة (٤٩٠ هـ) .
انظر : « تهذيب الأسماء » (١٢٥/٢) للنووى ، « شذرات الذهب » (٣٩٥/٣) ، و« كشف الظنون » لحاجى خليفة (٥٨/١) .

(٢) من تصانيفه فى الحديث ، ذكره حاجى خليفة فى « كشف الظنون » ونسبه للمقدسى (٥٨/١) ، وانظر : « فهرس الفهارس » للكتانى (٤٧٣/١)

(٣) سورة غافر ، الآية (٦٠) .

(٤) حديث صحيح رواه أبو داود ك : الصلاة (١٤٨١) ، والترمذى ك : الدعوات (٣٤٧٧) ، وابن خزيمة ك : الصلاة (٣٥١/١) ، وابن حبان « موارد » (٥١٠) ، والحاكم (٢٣٠/١) ، والبيهقى ك : الصلاة (١٤٨/٢) وصححه الترمذى وابن حبان ، والذهبى وقال : على شرط مسلم .

(٥) قاله الترمذى فى السنن (ج ٥١٧/٥) .

(٦) **ابن عيينة** : هو سفيان بن عيينة ، أحد أئمة المحدثين الأفذاذ ، قال الشافعى : لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز ، توفى (١٩٣ هـ) .
انظر : « حلية الأولياء » (٢٧٠/٧) ، و« طبقات القراء » (٣٠٨/١) ، و « تذكرة الحفاظ » للذهبى (٢٦٢/١) .

فى « الشِّفاء »[1] عن المسألة بالثناء بحديث **مالك**[2] **بن حارث** : « مَنْ شَغلهُ ذِكْرِى عن مَسألتى عَطيتهُ أَفضل ما أُعطى السَّائلين »[3] وأنشد يقول الشاعر :

أأذكر حاجتى أم قد كفَانى ... وفاؤك إن شيمتك الوفاء
إذا أثنى عليك المرء يوماً ... كفاه من تعرضك الثناء

وطريق الجمع بينهما أنه إذا شغل [نفسه][4] بالثناء قاصداً به التعرّض للدُّعَاء قام مقامه ونابَ منابه ، وكان أبلغ منه ، وإن قَصَد بالثناء ثوابه كان له الثواب ، ولم يدل بمطلقه على أن له مطلوباً معيناً دنيويًّا كان أو أخرويًّا ، ولهذا[5] قال القائل للنّبىّ ﷺ : « هؤُلاءِ لربِّى فَمَا لى ؟ » : أى أن هؤلاء الكلمات لتعظيم الرَّبّ فما يكون مطلوبى ؟ فعلمه الكلمات الأُخَر[6] انتهى .

واعلم أنه إذا لم يقصد السَّائل شيئاً خاصًّا فإنه يعطى أفضل ما يعطى [السائلون ، وإن قصد شيئاً خاصًّا فإنه يعطى أفضل ما يكون][7] من نوع الشيء الخاص .

خاتمةٌ ، فى قوله تعالى : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ ﴾ :

قال بعض المفسرين فى قوله تعالى : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ ... ﴾[8]

---

(١) فى (خ) : الشفا ، ولعله يقصد كتاب « الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ » للقاضى عياض المالكى .

(٢) ذكر ابن حجر فى « الإصابة » (٢١٣/٦) ترجمة (٨٣٦٢) ، (٨٣٦٣) صحابيًّا بهذا الاسم فقال : « مالك بن الحارث بن عمرو له إدراك قال ابن الكلبى ... » ولم يذكر أحد من الحفاظ أن مالك بن الحارث روى هذا الحديث ، وقد استقصى السيوطى رواته من الصحابة وهم : عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) ، كما فى « التمهيد » لابن عبد البر (٤٦/٦) ، وجابر بن عبد الله (رضى الله عنهما) ، وحذيفة (رضى الله عنه) ، وانظر : « مسند الشهاب » (٣٤٠/١) (٣٤١) .

(٣) رواه القضاعى بهذا اللفظ فى « مسند الشهاب » (٣٢٦/٢) عن عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) والبخارى فى « أفعال العباد » (٢٠٥) ، وابن عبد البر فى « التمهيد » (٤٦/٦) ، وحسنه ابن حجر فى « أماليه » من هذا الطريق .

(٤) سقطت هذه اللفظة من (خ) .

(٥) فى (خ) : ولذلك .

(٦) فى (خ) : إلى آخره .

(٧) ما بين القوسين ساقط من (خ) .

(٨) سورة الأنبياء ، الآية (٨٣) .

الآية فيه اللُّطف فى السؤال حيث ذكر نفسه بما يوجب الرَّحمة ، وربه بغاية الرحمة ولم يصرح بالمطلوب .

ويحكى أن عجوزاً تعرَّضَتْ لسليمان بن عبد الملك [1] فقالت : يا أمير المؤمنين مشت جرذان بيتى على العصا ، فقال لها : ألطفت بالسؤال لا جرم لأردَّنها تثب وثب الفهود وملأ بيتها حبًّا . انتهى .

والجرذان بالذال المعجمة : جمع جرذ بوزن صرد : ضرب من الفأر قاله فى « القاموس » [2] .

وقوله : « على العصا » متعلّق بمقدار أى تتوكأ على العصا ، ولا شك أن مثل هذا بل أحرى يجرى فى قول يونس (عليه السلام) فى قوله تعالى : ﴿ ... **فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [3] وقد روى [4] ابن عباس (رضى الله عنهما) عنه (عليه الصلاة والسلام) قال : « لَقَد كانَ دُعَاء أَخي يُونس عَجباً أَوّلهُ تَهْليل ، وأَوْسَطهُ [5] تَسْبيح ، وآخرهُ إقرار بالذَّنْب لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالمين ما دَعَا به مَهْمومٌ ولا مَغْموم ولا مكرُوب ولا مَدْيُون فى يوم ثلاث مرَّات إلَّا اسْتُجيبَ لهُ » انتهى [6] .

وهنا فائدتان :

الأولى : قال معاوية [7] لابن عباس (رضى الله عنهما) أغرقتنى آيات

---

(١) **سليمان بن عبد الملك** : ابن مروان الخليفة الأموى ، ولد فى دمشق ، وولى الخلافة يوم وفاة أخيه الوليد سنة (٩٦ هـ) ، وكان عاقلًا فصيحاً طموحاً إلى الفتح توفى سنة (٩٩ هـ) .
انظر : « الأعلام » (١٣٠/٣) ، و« تاريخ ابن خلدون » (٨٢/٣) .

(٢) انظر : « القاموس المحيط » (٣٦٤/١) ، و« المصباح المنير » (٩٦/١) .

(٣) سورة الأنبياء ، الآية (٨٧) .

(٤) فى (خ) : وقد روى عن ابن عباس (رضى الله عنهما) . (٥) فى (خ) : ووسطه .

(٦) رواه الديلمى فى « مسند الفردوس » عن عبد الرحمن بن عوف (رضى الله عنه) بهذا اللفظ كما فى « كنز العمال » (١٢١/٢) رقم (٣٤٢٨) .

(٧) **معاوية** : ابن أبى سفيان الصحابى الجليل ، ومؤسس دولة بنى أمية ، ولد قبل البعثة بخمس سنين ، وقيل بسبع ، وتوفى سنة (٦٠ هـ) على الأصح . =

القرآن ولا نجاة لى إلّا بك يا ابن عباس كيف يقول الله تعالى عن يونس (عليه السلام) : ﴿ ... **فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ** ... ﴾ [(١)] .

فأجابه بقوله : هو من القدر لا [(٢)] من القدرة : أى (فَظَنَّ أَن لَن نُقَدِّرَ عَلَيْهِ) بضم النون وتشديد الدال الثانية « مَنْ قال فى مرضه : لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبحَانكَ إِنِى كُنتُ مِنَ الظَّالمين أَربعين مرَّة ، فإِنهُ إِنْ ماتَ من مرضهِ ذلكَ ماتَ شَهِيداً ، وَإِن صح غُفرت ذنوبه ، وصَلَّى عليه سبعون ألف مَلَك » [(٣)] ، وقد أشرت لذلك فى نظمى للشهداء بقولى :

وَمَنْ يقول دعا ذى النون فى مَرض	بعد ميم وغفراً أن يصح لقى
مع أن يُصلى عليه من ملائكة	سَبْعُون ألفاً بذا جاء الحديث ثق [(٤)]

تتمـــة :

قد عُلم ممَّا تقدّم أن الأعلى خير ممَّا دونه ، وهو خلاف ما ذكره فى قوله تعالى : ﴿ **وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيًّا** ﴾ [(٥)] من أن الأوسط خير ممَّا دونه ، وممَّا فوقه إلَّا أن يخصّ بما عدا درج الجنة .

فوائدٌ ، فى نُور القُرْآن ، والصِّيام ، واسْتمَاع الـمَلَائكَة للقُرآن ، وإزالة الدَّاء بالقُـرْآن ، وفَضْـل التَّغَنى بـهِ ، ومحاجته للعبَاد :

الأُولى : روى [(٦)] **عبـد اللّـه بن عمر** (رضى الله تعالى عنهما) عن النَّبىّ

= انظر : « الإصابة » لابن حجر (١٢٠/٦ - رقم ٨٠٨٧) ، و« حلية الأولياء » (٨٤/١) ، و« صفة الصفوة » (٦٧٦/١) .

(١) سورة الأنبياء ، الآية (٨٧) .

(٢) ذكر القرطبى هذا الوجه فقال : « وقيل : هو من القَدَر الذى هو القضاء والحُكْم : أى فظن أن لن نقضى عليه بالعقوبة ؛ قاله قتادة ، ومجاهد ، والفراء . مأخوذ من القَدَر وهو الحُكم دون القُدرة والاستطاعة » ، ونقله عن أبى العباس أحمد بن يحيى ثعلب .

انظر : « تفسير القرطبى » (٢١٩/١١) ، و« زاد المسير » لابن الجوزى (٣٨٢/٥) ، و« فتح القدير » للشوكانى (٤٢٤/٣) ، و« الدر المنثور » (٥٩٧/٤) .

(٣) لم أقف عليه فيما بين يدى من مصادر .

(٤) فى (خ) : يفى .

(٥) سورة مريم ، الآية (٥٧) .

(٦) فى (خ) : روى عن .

ﷺ أنه قال: « إنَّ الله تبارَك وتَعالَى قالَ لموسى أعطيت أُمَّة مُحَمَّد ﷺ نُورَيْن لا يضرهما ظلمتان ، قال : يَارَبِّ مَا النُّوران ؟ قالَ الله ـــ عَزَّ وَجَلَّ ـــ : نُور رَمَضَان ، وَنُور القُرآن ، قال : يَارَبِّ ، فَما الظُّلمتان ؟ قالَ الله - عَزَّ وَجَلَّ ـــ : ظُلمة القَبْر ، وظُلمَة القيامَة »[1] .

الثانية : قال شيخ شيوخنا **ابن حجر الهيثمى**[2] : قال بعض أكابر أئمتنا : إن الملائكة لم يعطوا فضيلة حفظ القرآن لكنهم حريصون على استماعه من غيرهم . انتهى ، ولا يخالف هذا ما ورد من مدارسته[3] ﷺ مع جبريل (عليه السلام) للقرآن التى أشار إليها **الشاطبى**[4] فى رائيته[5] بقوله :

وكُلّ عام على جبريل يعرضه   وقيل آخر عام مَرَّتين قرا

لأنه كان يعيد على المصطفى ﷺ ما سمعه من المصطفى ﷺ بقراءة المصطفى ﷺ عليه ، وهذا لا يستلزم دوام حفظه : أى جبريل (عليه السلام) له ، وسنشير إلى هذا بقولنا بعد ويقرأ الرسول ﷺ ... إلخ ، ثم إن المدارسة الجائزة المدارسة الواقعة فى زماننا كما يفيده كلام « التبيان » ، وقد كان بعض أشياخى يتردّد فى جوازها وكراهتها ونص « التبيان[6] » فى آداب حملة القرآن .

فَصلٌ فى الإدارة بالقُرآن

وهى أن يجتمع جماعة يقرأ بعضهم عشراً أو جزءًا أو غير ذلك ، ثم يسكت ويقرأ الآخر من حيث انتهى الأول ، ثم يقرأ الآخر وهكذا ، وهذا جائز حَسَن ، وقد سُئِلَ مالك (رضى الله عنه) ، فقال : « لا بأس به » .

---

(١) لم أقف عليه .   (٢) فى (خ) : الهيتمى ، وهو الأصح .

(٣) يشير - رحمه الله - إلى ما رواه ابن عباس (رضى الله عنهما) قال : « كان جبريل (عليه السلام) يلقاه فى كل ليلةٍ فى رمضان ، فيعرض عليه النبى ﷺ القرآن » .

رواه البخارى ك : بدء الوحى (٣٠/١) ، ومسلم ك : الفضائل (٥٠ - ٢٣٠٨) .

(٤) **الشاطبى** : القاسم بن فِيُرَّة بن خلف الأندلسى أحد أئمة القراء نحوى مفسر محدث . ولد بشاطبة إحدى قرى الأندلس سنة (٥٣٨ هـ) ، وتوفى بالقاهرة سنة (٥٩٠ هـ) . انظر : « طبقات الشافعية » (٢٩٧/٤) ، و« طبقات القراء » (٢٠/٢) ، و« شذرات الذهب » (٣٠١/٤) .

(٥) فى (خ) : روايته .   (٦) انظر : « التبيان » للنووى (ص ١٨) .

انتهى : أى أنه جائز ، كما يدل عليه ما ذكره بعده عن **مالك** (رضى الله عنه) .

الثالثة : قال العلماء : لم ينزل من السماء شفاء قطّ أَعمّ ، ولا أنفع ولا أَجْمَع فى إزالة الدَّاء من القرآن ، فهو للدَّاء شفاء ، وللقلوب جلاء كما قال تعالى : ﴿ **وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ...** ﴾ (١) .

قال الفخر الرازى (٢) **وغيره** : من ليست للتبعيض ، بل للجنس ، والمعنى : وننزل من هذا الجنس الذى هو القرآن ما هو شفاء من الأمراض الرُّوحانيّة كالاعتقادات الفاسدة فى **الألوهية والنبوة** (٣) فى القرآن من النصوص القاطعة ما ينفى ذلك ، وكالأخلاق المذمومة الجسمانية بقراءته عليها لكن مع الخلوص وفراغ القلب من الأغيار ، وقربه وإقباله على الله بكليته ، وعدم أكل الحرام ، وعدم رين الذنوب ، وعدم استيلاء الغفلة على القلب ، وصح حديث : « إِنَّ الله لَا يَقْبَلُ الدُّعَاء من قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ » (٤) ، وقراءته مِمَّن هذه حالته على أى مرض تبرئه وإن أعيا الأطباء .

ومن ثم قال بعض الأئمة : من تخلَّف عنه الشِّفاء فهو إما لتلبس الفاعل بشىء من ضدّ ما سبق ، وإما لعدم قبول المحل المنفعل ، وإما لمانع قوى أن ينجع فيه الدَّوَاء كما يكون ذلك فى الأدوية الحِسِّيَّة .

---

(١) سورة الإسراء ، الآية (٨٢) .

(٢) **الفخر الرازى** : هو الإمام المفسر أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين الطبرستانى الرازى الملقب بـ (فخر الدين) ، والمعروف بابن الخطيب الشافعى ، ولد سنة (٥٤٤ هـ) ، وكان فريد عصره ، ومتكلم زمانه ، نبغ فى علم التفسير والكلام والأصول . انظر : « وفيات الأعيان » (٢/٢٦٥) ، و « شذرات الذهب » (٥/٢١) ، و « كشف الظنون » (٢/٢٩٩) .

وما ذكره عنه المصنف موجود فى « تفسيره الكبير » (ج ٢١/٢٩) .

(٣) فى (خ) : النبوية والمعاد .

(٤) رواه الترمذى ك : الدعوات (٣٤٧٩) ، والحاكم فى « المستدرك » ك : الدعوات (١/٤٩٣) ، وابن أبى حاتم فى « تفسيره » كما فى « الدر المنثور » (١/٣٥٤) ، والخطيب فى « تاريخ بغداد » (٤/٣٥٦) ، وقال الحاكم : مستقيم الإسناد ، وضعفه الذهبى بصالح المرى .

وقد روى حديث : « مَنْ لَمْ يَسْتَشْفِ بالقُرآن لَا شَفَاه الله تَعالى »[1] .

وروى أيضاً أنه ﷺ قال : « خَيرُ الدَّوَاء القُرْآن »[2] .

وعن العارف بالله تعالى **الإمام القشيرى**[3] : أَنَّ ولدهُ اشتدّ به مرض ، فانزعج عليه ، فرأى النَّبىّ ﷺ فشَكَى إليه ما بولده ، فقال له : أَيْنَ أَنتَ مِنْ آيَاتِ الشِّفَاء ، وهى ست آيات مشْهُورات فكتبها ومحاها بماء وسقاها له ، فكأنما نَشَط من عقال . انتهى .

الرابعة : حديث : « لَيْسَ منَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنّ بالقُرْآن »[4] ، اختلف فى تأويله ، وأحسن ما فيه أن معناه ليس منا من لم يلتذ بسماع القرآن لرقة قلبه وشَوْقه إلى ما عند ربه كما يلتذ أهل الغوانى بسماع غوانيهم ، وانظر ما للعلقمى من حديث : « اقْرَءُوا القُرآن بلُحُون العَرَب »[5] ، وفى حديث : « مَا بَعَثَ الله نَبيًّا إِلَّا حَسَن الوجه حَسَن الصَّوْت ، وكانَ نَبيُّكُم حَسَن الوجه حَسَن الصَّوت ، وكانَ لَا يُرجِّع »[6] .

---

(١) ضعيف رواه الدارقطنى فى « الأفراد » ، وعبد الباقى بن قانع ، وذكره المناوى فى « فيض القدير » (٤٩١/١) وقال : أشار الذهبى فى « تاريخ الصحابة » إلى عدم صحة هذا الخبر ، وانظر « كنز العمال » (٢٨١٠٤ ، ٢٨١٠٦) ، و« الدر المنثور » (٧/١) .

(٢) رواه ابن‌ماجه ك : الطب (٣٥٠١) ، (٣٥٣٣) ، وأبو نعيم فى « أخبار أصفهان » (٢٥٦/١) ، وذكره البوصيرى فى « زوائده » (١٣٢/٣) ، وضعفه بعبد الله الأعور ، وقال : له شاهد من حديث ابن مسعود (رضى الله عنه) ، ورواه الحاكم مرفوعاً وموقوفاً ، وانظر « كشف الخفا » (١٠٧/١) .

(٣) **القُشيرى** : أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيرى النيسابورى الشافعى صاحب « الرسالة القشيرية » ، ولد سنة (٣٧٦ هـ) ، وتوفى سنة (٤٦٥ هـ) .

انظر : « مقدمة الرسالة القشيرية » (١٨/١ - ٢٣) ، و« طبقات الشافعية » (٢٤٣/٣) ، و« طبقات المفسرين » للسيوطى (٢٢٢١) .

(٤) رواه البخارى (١٨٨/٩) ، وأبو داود ك : الصلاة (١٤٦٩ ، ١٤٧١) ، وأحمد فى « مسنده » (١٧٥/١) ، والحميدى (٤١/١) ، والبيهقى ك : الصلاة (٥٤/٢) .

(٥) رواه ابن الجوزى فى « العلل المتناهية » (١١١/١) ، والطبرانى فى « الأوسط » كما فى « المجمع » (١٧٢/٧) ، وقال الهيثمى : فيه راو لم يسمَّ ، وبقية (ابن الوليد) مدلس .

انظر : « مشكاة المصابيح » (٢٢٠٧) .

(٦) رواه الترمذى كما فى « فتح البارى » (٢٥٠/٧) ، وابن عدى فى « الكامل » (٤٨٠/٢) ، =

قال فى « شرح الشمائل » : أى كان يترك الترجيع [1] فى كثير من الأحيان أو لبيان أن الأمر واسع فى فعله وتركه ، ولا يخالف حديث : « أَنهُ ﷺ قَرَأَ وَرَجّع » [2] .

وقوله : « حَسَن الصَّوت حَسَن الوَجْه » فى رواية : « كانَ نَبيُّكم أَحْسَنهُم وَجهاً ، وأَحْسَنهُم صَوتاً » ، وهذا بظاهره يخالف حديث المعراج الذى قال فيه فى يوسف (عليه السلام) : « فَإِذَا أَنا برجُل أَحْسَن ما خَلَق الله ، قد فَضَل النَّاس بالحُسْن كالقَمَر لَيلَةَ البَدْر على سائر الكواكب » [3] .

والجواب : أن المراد أحسن ما خلق الله بعد محمد ﷺ جمعاً [4] بين الحديثين على أن لنا قولًا عليه جماعة من الأصوليين أن المتكلم لا يدخل فى عموم كلامه ، وفى رواية : أنه أعطى شطر حسن نبينا (عليهما أفضل الصلاة والسلام) : أى أعطى مثل شطر حسنه لا أن الحسن قسم بينهما كما قال **البوصيرى** [5] :

= وذكره الذهبى فى « الميزان » (٤٧٧/١) ، وضعفه لحسام بن مِصَك ، ورواه الترمذى فى « الشمائل » عن قتادة مرسلًا (٢٧٤) .

(١) **الترجيع** : هو تقارب ضروب الحركات ، وأصله الترديد ، وترجيع الصوت ترديده فى الحلق ، وقال الشيخ أبو محمد بن أبى جمرة ، **ومعنى الترجيع** : « تحسين التلاوة لا ترجيع الغناء ، لأن القراءة بترجيع الغناء تنافى الخشوع الذى هو مقصود التلاوة » . انظر : « فتح البارى » (٧٠٩/٨) .

(٢) حديث صحيح رواه البخارى ك : فضائل القرآن (٥٠٤٧) ، ومسلم ك : الصلاة ، وأبو داود ك : الصلاة (١٤٦٧) ، والترمذى فى « الشمائل » (٢٧٣) .

(٣) رواه البزار (كشف الأستار ٣٨/١ - رقم ٣٨ - ب : الإسراء) ، والطبرانى فى « معجمه » ، وابن عائذ كما فى « فتح البارى » (٢٥٠/٧) ، كلهم عن أبى هريرة (رضى الله عنه) ، وذكره الهيثمى فى « مجمع الزوائد » (٦٧/١) وقال : رواه البزار ، ورجاله موثقون إلا أن الربيع بن أنس قال عنه أبو العالية أوغيره فتابعيه مجهول .

(٤) وقد أيد هذا الجمع الحافظ ابن حجر ، ونقله عن ابن المنير ، ولفظه : حمله ابن المنير على أن المراد أن يوسف (عليه السلام) أُعطى شطر الحسن الذى أوتيه نبينا ﷺ .

انظر : « فتح البارى » (٢٥١/٧) .

(٥) **البوصيرى** : هو محمد بن سعيد بن حماد البوصيرى المصرى أحد أئمة الصوفية صاحب البردة المشهورة فى المدائح النبوية ، ولد سنة (٦٠٨ هـ) ، وتوفى سنة (٦٩٦ هـ) .

مُـنَـزَّهٌ عن شريك فى مَحَاسِــنه فجوهر الحُسْن فيه غير مُنْقَسم[1]

الخامسة : قال فى « فتاوى الحافظ ابن حجر » : وسئل أيضاً عن حديث **عبد الرحمن بن عوف**[2] (رضى الله عنه) : « ثَلاثة تحت العَرْش يَوم القيَامَة : القُرآن يحاج[3] للعباد لهُ ظَهْر وبَطْن ، والأَمَانَة ، والرَّحم تنادى : ألا مَنْ وصَلَنى وَصَلهُ الله ، ومَنْ قَطَعنِى قَطَعهُ الله »[4] ، فأجاب بما يفيد وروده مع ضعفه :

حُـرُوف القُـرْآن ، والـحُـور العين :

ثُمَّ القُـرآن ألف ألف حـرف وسـبعة أيضـاً وعشـرون تفى
ألفـاً مِنَ الحُرُوف وَالقَارئ لَـهُ أى صـابراً محتسـباً ينـاله
بكُلِّ حَـرف زَوْجـة حَـوْرَاء طَـاهِرة نَقِيـة حَسْـنَاء

(ش) أشرت به إلى ما ذكره فى « الإتقان »[5] ونصه : أخرج الطبرانى عن **عمر بن الخطاب** (رضى الله عنه) مرفوعاً : « القُرآن ألف ألف حَرْف وسبعة وعشرون ألف حرف ، فَمَنْ قَرَأهُ صَابراً مُحتسباً كانَ لهُ بكُلِّ حَرْف زَوْجة مِنَ الحُور العين »[6] رجاله ثقات إلَّا شيخ الطبرى **محمد بن عبيد بن**

---

(١) انظر : « البردة » (ص ٣٧) طبع دار الفضيلة .

(٢) **عبد الرحمن بن عوف** : أبو محمد الزهرى القرشى الصحابى الجليل أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد الستة أصحاب الشورى .

انظر : « حلية الأولياء » (٩٨/١) ، و« صفة الصفوة » (١٣٥/١) .

(٣) فى (خ) : نجاح .

(٤) رواه البغوى فى « شرح السنة » (٣٤٣٣) ، وذكره السيوطى فى « الجامع الصغير » ، ونسبه إلى الحكيم الترمذى فى « نوادره » ، وابن نصر فى « فوائده » ، وضعفه العقيلى ، والمناوى .

انظر : « فيض القدير » (٣١٧/٣) ، و« شرح السنة » (٢٣/١٣) .

(٥) **الإتقان** : يقصد كتاب الإمام السيوطى : « الإتقان فى علوم القرآن » وفيه ما ذكره المصنف (ج ٢٣٠/١) .

(٦) ذكره الهيثمى فى « المجمع » (١٦٦/٧) ، والسيوطى فى « الدر المنثور » (٤٢٢/٦) ، وأعلَّه الهيثمى بالراوى المذكور ، وعزاه الذهبى إلى الطبرانى فى « الأوسط » فى « الميزان » (٨٥/٥) ، وقال : خبر باطل .

آدم بن أبى إياس تكلم فيه الذهبى[1] **بهذا الحديث** ، وقد حُمل ذلك على ما نُسخ رسمه من القرآن أيضاً ، إذ الموجود الآن لا يبلغ هذا العدد . انتهى .

ثم قال عَقِبَهُ .

فـائـدةٌ ، للقُـرآن أَنصَـاف باعتبَـارَات :

قال بعض القُـراء : القرآن العظيم له أنصاف باعتبارات ، فنصفه بالحروف النون من نُكْراً فى الكهف ، والكاف من النصف الثانى ، ونصفه من الآيات يأفكون من سورة الشعراء .

وقوله : ﴿ **فَأُلْقِـىَ السَّحَرَةُ ...** ﴾[2] من النصف الثانى ، ونصفه من عـدد السور آخر الحديد والمجادلة من النصف الثـانى ، وهـو عشـرة : أى القرآن بالأحزاب ، **وقيل** : النصف بالحروف الكاف من نُكْراً ، **وقيل** : الفاء من قوله : وَلْيَتَلَطَّفْ . انتهى ، ونظمت ما أشار إليه فى الفائدة المذكورة **فقلت** :

وَنِصْـفُ مـا فيـه مِنَ الحُـرُوف ... النُّـون من نُكْراً بكهف يُوفى

وَقيـل كَافه وقيـل الفـاء من ... وليتلطـف ذى ثلاث يا فَطن

وَنِصْـفـه آيـات يَأفكـونـا ... فى الشُّـعراء فاسـمع التبيينـا

وَنِصْف عَـدّ السّـور الحـديد ... والبَـاقى عشـر مِنـه لا مزيد[3]

والضمير فى قولى : منه للقرآن كما يدل عليه الكلام قبله لا لعدد آى القرآن ، لأنه ينافى ما قبله وأحسن منه .

والنّصف من حُروفه والنُّون فى ... نُكْراً مِنَ الكَهْفِ وَهَذَا ما اصْطَفَى

وقيـل كافـه وقيـل الفـاء فى ... وَلْيَتَلَطَّـفْ ذى ثَلَاث فاعـرف

ونصـف آيـاتـه يـأفـكـونـا ... فى الشُّـعراء فاسـمع التبيينا

---

(١) فى « ميزان الاعتدال » ترجمة ٧٩١٨ (٥/٨٦) وقال : محمد بن عبيد بن آدم بن أبى إياس العسقلانى ، تفرد بخبر باطل .

(٢) سورة طه ، الآية (٧٠) .

(٣) فى (خ) : بلا مزيد .

وَنِصف عدّ سور له الحَدِيد　　والباق عَشر حزبه بِلَا مَزِيد

وفى نُسْخة عِشر أحزابه بهمزة وصل بدل همزة القطع .

وآيه من الأُلوف سِتّة　　مَعَ خَمْسَةٍ مِنَ المئين تثبت

وَقِيلَ بَل مع ما يتين وَيُضَاف　　لتين نيف فَقَدْ جاء الخِلَاف

وَدَرج الجنَّة عدّها كعدّ　　آى كِتَاب الله هَكَذا وَرَدَ

(ش) أشرت به إلى ما نقله **البرزلى**[1] فى مسائل الباب الجامع ، وهو مسألة عن **الطرطوشى**[2] : أن القرآن ستة آلاف آية وخمسائة آية ، منها خمسة آلاف فى التوحيد ، ونقل **أبو إسحاق** : أن القرآن ستة آلاف آية ومائتا آية ونيف . انتهى .

قلت : ولم يذكر فى « الإتقان »[3] القول الأوّل من هذين القولين ، فإنه قال [عن] ابن عباس (رضى الله عنهما) : جميع آى القرآن ستة آلاف آية وستمائة آية وست عشرة آية إلى أن قال الثانى : أجمعوا[4] على أن عدد آيات القرآن ستة آلاف آية ، ثم اختلفوا فيما زاد على ذلك ، فمنهم من لم يزد ، ومنهم من قال : ومائتا آية وأربع آيات ، **وقيل** : وأربع عشرة ، **وقيل** : وتسع عشرة ، **وقيل** : وخمس وعشرون ، **وقيل** : وست وثلاثون .

قلت : أخرج **الديلمى**[5] فى « مسند الفردوس » من طريق **الفيض بن**

---

(١) **البُرْزُلى** : أبو القاسم بن أحمد بن المعتل التونسى المالكى ، فقيه ، مالكى ، من آثاره : « الديوان الكبير فى الفقه » ، و« النوازل » ، ولد سنة (٧٤٠ هـ) ، وتوفى سنة (٨٤٤ هـ) .
انظر : « معجم المؤلفين » (٦٣٧/٢) .

(٢) **الطرطوشى** : محمد بن الوليد بن محمد بن خلف المالكى المعروف بالطرطوشى ، فقيه ، مالكى ، أصولى ، محدث ، مفسر ، ونشأ فى طرطوشة بالأندلس ، من تصانيفه : « سراج الملوك » ، و« البدع » وغيرها . انظر : « شذرات الذهب » (٦٢/٤) ، و« الديباج المذهب فى معرفة علماء المذهب » لابن فرحون (٢٤٤/٢) ، و« هداية العارفين » (٨٥/٢) .

(٣) انظر : « الإتقان » للسيوطى (٢٣٢/١) .

(٤) نقل السيوطى هذا الإجماع عن أبى عمرو الدانى « الإتقان » (٢٣١/١) .

(٥) **الديلمى** : شَهْرَدَار بن شِيرويه الشافعى ، أحد الحفَّاظ العارفين بالحديث ، خرج أسانيد =

وثيق[1] عن **فرات بن سليمان**[2] عن **ميمون بن مهران**[3] عن ابن عباس (رضى الله عنهما) : درج الجنَّة على قدر آى القرآن بكل درجة ، فتلك ستة آلاف [آية] ومائتا آية وست عشرة آية بين كلّ درجتين ما بين السماء والأرض . « الفيض » ، **قال فيه ابن معين**[4] : كذاب خبيث ، وفى « الشُّعَب » للبيهقى من حديث عائشة (رضى الله عنها) مرفوعاً : « عدد درج الجنَّة عدد آى القُرآن ، ومَنْ دخلَ الجنَّة مِنْ أهلِ القُرآن فليسَ فوقهُ درجة »[5]. **قال الحاكم** : إسناده صحيح لكنه شاذ .

وأخرجه **الآجرى**[6] فى « حملة القرآن »[7] من وجه آخر موقوفاً ، وأشرت بقولى : ودرج الجنَّة إلى ما تقدّم فى الكلام على ما يتعلق من حديث : « إنَّ درج الجنَّة بعَدَد آى القُرآن » .

وَيقرأ الرَّسـول فى شـهر الصِّـيام ... عَلى الأمين ذكر ربى كُلّ عَـام

ثُمَّ الذى قرأ عَلَيْـه المُصْـطَفَى ... يَعِيـده عـلى إمـام الحُنفـا

= كتاب « الفردوس » لوالده وسمَّاه « الفردوس الكبير » توفى سنة (٥٥٨ هـ) .
انظر : « شذرات الذهب » (١٨٢/٤) ، و« الوافى » للصفدى (٤٧/١٤) .

(١) **الفيض بن وثيق** : ذكره الذهبى فى « الميزان » (٢٨٦/٤ - ترجمة ٦٧٨٧) وقال : روى عنه أبو عوانة وغيره . قال ابن معين : كذَّاب خبيث ، قال الذهبى قد روى عنه أبو زرعة ، وأبو حاتم ، وهو مُقارب الحال إن شاء الله .

(٢) **فرات بن سليمان** : يروى عنه القاسم بن محمد ، والأعمش ، وروى عنه أيوب بن سُويد ، وغيره . قال ابن عدى : لم أرهم صرحوا بضعفِه وأرجو أنه لا بأس به .
انظر : « ميزان الاعتدال » (٢٦٢/٤ - ٦٦٩٠) .

(٣) **ميمون بن مهران** : الجزرى أبو أيوب الرقى الفقيه ، نشأ بالكوفة ، تابعى ثقة ذكره أبو عروبة فى الطبقة الأولى من التابعين . انظر : « تهذيب التهذيب » (٣٩٠/١٠) .

(٤) ذكره الذهبى ولم يرتضيه ، وصوَّب أنه مقارب الحديث .

(٥) سبق تخريجه .

(٦) **الآجرى** : محمد بن الحسين الآجرى نسبه لآجر من قرى بغداد محدث كبير ، وفقيه شافعى جليل ، من تصانيفه : « الشريعة والنصيحة » ، توفى سنة (٣٦٠ هـ) . انظر : « طبقات الشافعية » (١٥٠/٢) ، و« تذكرة الحفاظ » (١٣٩/٣) ، و« شذرات الذهب » (٣٥/٣) .

(٧) يقصد كتابه « أخلاق حملة القرآن » ، من تصانيفه . انظر : « كشف الظنون » لحاجى خليفة (٢٨/١) .

وَقِيل كانَ العَرْض فى العام الأخير عَـلَى الأمـين مَرَّتـين يا خبـير

قد تقدّم عن الرائية :

وَكُلّ عـام على جبريل يَعْرِضُـهُ وَقِيل : آخـر عـام مرتـين قرأ

وَهَل لا ملاك ثـواب فى القـرب أم لا وعـز الـدين للثـانى ذهب

ما ذهب إليه الشيخ **عز الدين يخالف** ظاهره ما يأتى فى حديث : « مَنْ قَرَأَ ثلاث آيَاتٍ مِنْ أول سُورَة الأَنعام تلو صَـلَاة الغَـداة »[1] ، و [فى] حـديث : « صَلَاة المَلَائكَة التى يؤمّهُم فيها ميكائيل ، ويكون المُؤَذِّن فيها جبريل »[2] .

فَضْـلُ مَنْ فَطَّـر صَـائماً :

وَمَنْ يُفَطِّـر صَـائماً ولـو بمَـا يُعْطَى نَظِـير أَجْـره مُتَمِّمـاً

وجاء مع ذا عِتْقه مِنَ الجحيم وَغَفْـر ذَنْبـه وذا فَضْـل عَظِـيم

وَمَـنْ يُفَطِّـر صَائماً فيما سِـوَاه يُعْطى نَظِـير أجـره بلا اشْـتباه

أى مَنْ فَطَّر صائماً فى رمضان أو فى غيره فإن له مثل أجره ، ويزيد أجر مفطر صائم رمضان بمغفرة ذنوبه وعتق رقبته من النار ، وهـذا الثانى مستفاد ممَّا تقـدّم فى خطبته (عليه الصلاة والسلام) ، وممَّا ذكره الشيخ **الشعرانى** فى « كشف الغمـة » كما يأتى ، والأوّل مستفاد ممَّا ذكره فيه أيضاً ونصـه : فيهما وكان ﷺ يحث على إطعـام الصائم ، ويقول : « مَنْ فَطَّر صَائماً كانَ لهُ مثل أجره غـير أنهُ لا ينقص من أَجْر الصَّائم شىء »[3] .

---

(١) ذكره السيوطى فى « الدر المنثور » (٣/٥) بلفظ : « من قرأ إذا صلى الغداة ثلاث آيات من أول سورة الأنعام إلى قوله : ﴿ ... وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ [الأنعـام : ٣] نزل إليه يكتب له مثـل أعمالهم ... وعزاه إلى السلفى بسند واهٍ عن ابن عباس (رضى الله عنهما) ، وذكره من طريق أبى الشيخ من قول حبيب أبى محمد العابد ، ومن طريق ابن الضريس عن أبى محمد الفارسى ، وذكره القرطبى عن تفسير الثعلبى « تفسير القرطبى » (٦/٣٨٣) .

(٢) لم أقف عليه بهـذا اللفظ .

(٣) أخرجه بلفظه الطبرانى فى « معجمه » (٥/٢٩٥) ، وفى سنده ضعف كما فى « المجمع » (٣/١٥٧) ، ومعناه ثابت من حديث زيد بن خالد بلفظ : « من فَطَّر صائماً أو جَهَّز غازياً فله مثل =

وكان ﷺ كثيراً ما يقول : « مَنْ فَطَّر صائماً فى رمَضَان كانَ مَغْفرة لذنُوبه ، وعتق رقبته مِنَ النَّار »[1] . انتهى .

وقولى : بما بالقصر من غير تنوين كما هو أحد اللغتين فى الماء ، وقولى يعطى جواب من :

وَجَاءَ فى إطعامِهِ وَسُقْيه ... فى فِطْره أن من حلال سَعيه
صلاة الأملاك عليه فى جَمِيع ... سَاعات شَهر حقًّا يا سَمِيع
كَذَا له جِبْريل لَيْلَة القَدْر ... مُصَافح فَيَاله من فَخر
فتَحْصل الرِّقة فى فُؤَاده ... وَتَكثر الدُّموع من وِدَادِه

الضمير فى فطره للصائم ، وفى نسخة فى فطر صائم من خلال سعيه بإسكان ميم صائم بنية الوقف وإدغامها فيما بعدها وأشرت به لما ذكره **الشعرانى** فى « كشف الغمة » ونصه : وفى رواية « مَنْ فَطَّر صائماً مِنْ طعَامٍ وشَرابٍ [من] حلَال صَلَّتْ عليهِ الملائكة فى ساعات شَهْره ، وصافحه جبريل فى ليلة القَدْر ، ومَنْ صافحه جبريل رقّ قلبه ، وذرفت دموعه »[2] . انتهى المراد منه .

وقد جاء عن **عبد الله بن عمرو بن العاص** (رضى الله عنهما) : « لأَنْ أَدْمَع دمعة من خَشْيَة الله تعالى أَحبّ إِلىّ من التَّصدّق بألف » .

= أجره » رواه البيهقى (٤/٢٤٠) ، والبغوى فى « شرح السنة » (١٨١٩) ، وصححه ، وبنحوه عند أحمد (٤/١١٦) ، وابن خزيمة فى « صحيحه » ك : الصيام (٣/٢٧٧) ، وابن حبان فى « صحيحه » (٨٩٥) .

(١) رواه ابن خزيمة فى « صحيحه » (٣/١٩١ - رقم ١٨٨٧ - ك الصيام) ، وقال البنا فى « الفتح الربانى » (٩/٢٣٣) : قال ابن خزيمة : إن صح الخبر ، ورواه أبو الشيخ ابن حيان فى الثواب ، وفيه على بن زيد وهو ضعيف ، ورواه ابن أبى أسامة « زوائده » (٣١٨) بإسناد فيه جهالة .

(٢) ذكره المنذرى فى « الترغيب » (٢/٩٥) بهذا اللفظ ، وعزاه إلى أبى الشيخ فى « الثواب » وقال : فى سنده على بن زيد بن جدعان ، وهو ضعيف ، وانظر : « كنز العمال » (٢٣٦٥٨) .

فائـدتان ، فى الدُّعَاء عندَ الفطْر ، والدُّعَاء لـمَنْ أفْطر عندَه :

الأولى : كان ﷺ يقول إذا أفطر : « اللَّهُمَّ لَكَ صُمْت ، وبِكَ آمَنْت ، وعَلَى رِزْقكَ أَفْطَرْت ، ذَهَبَ الظَّمَأ ، وابتلَّت العُرُوق ، وثبت الأَجْر إن شَاء الله تعـالى »[1] ذكره فى « كشف الغمة » ، وهـو ظاهر فى أنه يقـول ذلك بعد الفطر بالماء .

وعن **عليّ [بن أبى طالب]** (رضى الله تعالى عنه) أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يَا عليّ إِذَا أَمْسَيْت صَائماً صَوْم شَهْر رمَضَان فقل عندَ إِفْطَارِكَ : اللَّهُمَّ لكَ صُمْت ، وَبِكَ آمَنْت ، وعَلَيكَ تَوَكَّلْت ، وعلَى رِزْقكَ أَفْطَرت ، يكتب لك مثل أَجْر كُلّ مَنْ صَام منْ غير أَنْ يَنقص من أُجُورهم شيء »[2] .

وعن **أنس بن مالك** (رضى الله عنه) [قال] (عليه الصلاة والسلام) : « مَا مِنْ مُسْلم يَصُوم فيقـول عندَ إِفْطَارِهِ : يَا عَظيم يا عَظيم ، أَنتَ إِلٰهي لا إِلٰهَ غَيرك اغْفِر لِى الذَّنْب العَظيم ، فإِنهُ لَا يَغْفر الذَّنْب العَظيم إِلَّا العَظيم إِلَّا خرجَ من ذُنُوبه كيوم ولدتهُ أُمّه ، قالَ رسول الله ﷺ عَلِّمُوهَا عقبكم فإِنَّها كلمة يحبها الله ورسوله ، ويُصْلح بهَا أَمر الدُّنيا والآخرة »[3] . انتهى ، وقد نظمت هذا الأخير فقلت :

وَمَنْ يَقُلْ حالة فِطْره يا عظـيم ... يكـررنـه مـرة يا مُسْـتَقيم
أَنْتَ إِلٰهى لَا إِلٰـهَ غـيركا ... اغْفِـر لى الذَّنبَ العظيم المهلكا

(١) رواه أبو داود ك : الصيام (٣٩٦٨) ، وابن أبى شيبة (١٠٠/٣) ، والبغوى فى « شرح السنة » (١٧٤١) ، وابن السنى (٢٧٣) ، والدارقطنى ك : الصيام (١٨٥/٢) ، والحديث مرسل وله طرق لا تخلو من ضعفٍ .

(٢) رواه الحارث بن أبى أُسامة ، كما فى « المطالب العالية » (٢٩١/١ - رقم ٩٩٥) ، وضعفه البوصيرى بحماد بن عمرو وقال : واهى الحديث .

(٣) رواه ابن عساكر فى « تاريخه » كما فى « الكنز » (٦١٤/٨) ، وضعفه السيوطى ، ونقل عن ابن عساكر وقال : فى إسناده مجاهيل ، وانظر : « تذكرة الموضوعات » (٥٥) ، و « تنزيه الشريعة » (٣٣٥/٢) .

فإنه لَا يَغْفر الذَّنبَ العظيما   إلَّا العظيم ينل الجَسيما
خُروجه مِنْ ذَنْبه كيوم   ميلاده وربنا العظيم
وَيُصْلح اللهُ لهُ دُنْياه   كَذَا لَهُ يفعل فى أُخْراه

وقولى : « فطره » بالسكون على نيّة الوقف ، **وقولى** : « الجسيما » : أى الثواب الجسيم ، **وقولى** : « خروجه من ذنبه » بدل من الجسيما ، **وقولى** : « وربنا العظيم[1] » : قسم فى نسخة من ربنا الكريم ، وهو متعلّق بينل .

الثانية : ذكر فى « كشف الغمة » أيضاً أنه ﷺ كان يدعو لمن أفطر عنده ، قال : قال أنس (رضى الله عنه) : « أَفْطَرنَا معَ رَسُول الله ﷺ فَقَرَّبُوا إليه زَبيباً فأَكلَ منهُ وَأَكلْنَا [معه] ، فلما فَرَغْنَا[2] قال : أَكلَ طَعَامَكُم الأَبْرَار ، وصَلَّت عَليكُم الملائكة ، وأَفْطَر عندَكُم الصَّائِمُونَ »[3] . انتهى .

وفى رواية **مسلم** : « كانَ ﷺ إِذَا أَكلَ عندَ قَوم لا يخرج حتَّى يَدعُو لَهُم فدعَا فى منزل عبد الله بن بشير[4] (رضى الله عنه) بقوله : اللَّهُمَّ بَارِك لَهُم فيمَا رَزَقْتهُم ، وَاغْفِر لَهُم وَارْحَمهُم »[5] .

وروى **أبو داود** : « أنه دعا فى منزل سعد (رضى الله عنه) بقوله : « أَفْطَر عندَكُم الصَّائمُونَ ، وأَكلَ طَعَامكُم الأَبرار ، وصَلَّت عَلَيكُم الملائكة »[6] .

---

(١) فى (خ) : الكريم .   (٢) فى (خ) : فرغ .

(٣) رواه ابن ماجه ك : الصيام (١٧٤٧) ، ورواه أحمد فى « مسنده » (١٣٨/٣) ، والبيهقى ك : الصداق (٢٨٧/٧) ، والطحاوى (٤٩٨/١) ، والبغوى فى « شرح السنة » (٣٣٢٠) ، وصححه العراقى ، وانظر : « تلخيص الحبير » (١٩٩/٣) .

(٤) فى (خ) : بشر .

(٥) رواه مسلم ك : الأشربة (١٦١٦) ، وأبو داود ك : الأطعمة (٣٧٢٩) ، وأحمد (١٨٨/٤) ، والبيهقى ك : الصداق (٢٧٣/٧) ، والطيالسى فى « مسنده » (منحة ٢٥٥١) .

(٦) رواه أبو داود ك : الأطعمة (٣٨٥٤) ، وابن ماجه ك الزكاة : (١٨١٨) ، وأحمد (١١٨/٣) ، والبيهقى (٢٣٩/٤) ، وابن حبان فى « صحيحه » (موارد - ١٣٥٣) ، وابن السنى فى « عمل اليوم » (٤٧٦) ، وصححه ابن حبان .

ثُمَّ ثَواب مَـنْ بـه تَصَـدّقا | كأَجْر مَنْ قَد صَـامهُ فحققا
إذ هـو معين صَائماً على الصِّيام | كمن يُعـين قَائِماً علَى القِيَـام
وَمَـن يُعـين فَاعـلًا للقُـربة | يُعْطَى نظـير أَجْـره فاستثبت
كَمخلف مَغـازياً فى أَهْـلِهِ | فَذَا لـه نظـير أَجْـر فعـله
كَذَاك مَنْ جَهَّـز غَـازياً كَمَا | جَاء به الحـديث حَقًّـا فاعْلمـا

أشرت بهـذه الأبيات لما فى الترمذى عن أنس (رضى الله عنه) مرفوعاً : « أَفْضَلُ الصَّدَقَاتِ صَدَقَة رَمَضَان » [(١)] ، والتَّصدّق فى رمضان معين للصائمين والقائمين والذَّاكرين على طاعاتهم [(٢)] فيستوجب المعين لهم مثل أجرهم ، كما أن من جَهَّز غازياً فقد غزا ، ومن خَلَفه فى أهله فقد غزا . انتهى من « التبيان » .

وَقَدْ أتى الأمر مبسـطاً لنفقـة | فيـه كذا فاجْـزِمْ به وحققـه
وأجـر مـا ينفـق فيـه مثـل مـا | ينفـق فى سـبيل خالق السـما

أشرت بما [(٣)] ذكر لما فى « كشف الغمة » من قوله : وكان ﷺ يقول : « أَبسطُوا النَّفقَة فى شَهْر رمَضَان ، فإِنَّ النَّفقَة فيه كالنَّفقَة فى سبيل الله » [(٤)] . انتهى .

تنبيـهٌ ، فَضْـل النَّـفقَة فى رَمضَـان :

قد تقدّم أن النافلة فيه بمنزلة الفرض فى غيره ، وذكر هنا أن النفقة فيه كالنفقة فى سبيل الله [والنفقة فى سبيل الله] بسبعمائة ضعف أو أكثر ، والفرض ثوابه دون ذلك ، فإن ثواب الفريضة كثواب سبعين نافلة كما ذكره المحلى فى « شرح جمع الجوامع » فى أثناء شرح قول المصنف مسألة الأمر بواحـد ... إلخ ، فإن فعل الكل ، فقيل الواجب : أى المثاب عليه ثواب الواجب

---

(١) رواه البيهقى فى « الشعب » ، والخطيب فى « تاريخه » (٣١٥/١٣) ، وعزاه السيوطى إلى سليم الرازى فى « حديثه » كما فى « الكنز » (١٦٢٤٩) ، وضعفه المناوى فى « الفيض » (٣٨/٢) .

(٢) فى (خ) : طاعتهم .

(٣) فى (خ) : فيما .

(٤) رواه ابن أبى الدنيا فى « فضل رمضان » عن ضمرة بن سعد مرسلًا « كنز العمال » (٤٦٤/٨ - رقم ٢٣٦٧٢) .

الذى هو كثواب سبعين مندوباً أخذاً من حديث [1] رواه ابن خزيمة والبيهقى فى « شعب الإيمان » أعلاه ... إلخ . انتهى ، ويبقى النظر فى قوله : « إِنَّ ثَوَاب الفَرْض كثَواب سبعين مندوباً » لا يخفى[2] أن المندوب عندهم يشمل المندوب المؤكد الذى يطلق عليه [مندوباً] عندنا سُنَّة أو رغيبة ، فهل الفرض يعدل المؤكد [من ثواب سبعين أو من غير المؤكد ؟] .

وفى « الجامع الصغير » ما يخالف ما تقدّم أيضاً ، فإنه قال : « رَمضَان بمكة أَفْضَل مِنْ أَلف رمضَان بغَير مكة » [3] البزار عن ابن عمر (رضى الله عنهما) .

وفيه أيضاً : « رَمضَان بالمدينة خَيرٌ مِنْ أَلف رمضَان فيما سَواها من البلْدَان [وجُمُعَة بالمدينة خَيرٌ من أَلف جُمُعة فيما سَواها من البلْدَان » [4] (طب) والضياء عن بلال بن حارث المزنى .

ومشبع الصِّيام فيه يشرب   من حَوْض أَحمد فلا يُعذب
بظمأ إلى دخول الجنَّة   مَعَ كَونه كَمُعْتق للرَّقْبة

أشرت بذلك لما فى الخطبة السابقة من قوله ﷺ فيهَا : « مَنْ أَشْبَع [5] فيه صَائماً ... » إلخ ، والرَّقْبة بسكون القاف لضرورة الشعر ، كما أنه يجوز تخفيف المشدّد لضرورة الشعر ، كما فى قول ابن البنا مهما ترقى مادة الموضوع بتخفيف دال مادة [الموضوع] للضرورة :

وتُفْتَح أَبواب الجِنَان فيه   أَوّل يَومٍ منهُ خُذْ تَنْبيهى

---

(1) فى (خ) : الحديث .   (2) فى (خ) : ولا يخفى .

(3) رواه البزار كما فى « كنز العمال » (٣٤٦٤٣) ، وذكره المناوى (٣٩/٣) ، والهيثمى فى « المجمع » ، وأعلَّه بعاصم بن عمرو وهو ضعيف . انظر : « مجمع الزوائد » (١٤٥/٣) .

(4) رواه الطبرانى ، وابن عساكر ، وأبو نعيم فى « أخبار أصبهان » (٣٣٧/٢) ، وضعفه الهيثمى فى « المجمع » (١٤٥/٣) ، والمناوى فى « فيض القدير » (٣٩/٣) بعبد الله بن كثير وهو ضعيف ، وانظر : « الترغيب والترهيب » (٢١٦/٢) .

(5) فى (خ) : ومن أشبع .

والثَّانى فيه تُغْلق أَبواب الجحيم　　نَعُوذُ منها بإلٰهنَا العَظيم
وثالث منه تُغلّ المردَه　　فيه وتُلقى فى البحار مُصَفَّده
ممَّن يغلّ فيه إبْليس الرّجيم　　نَعُوذُ من كُلّ بمولاَنا الرَّحيم
ثُمَّ الغُلول فعل جبريل الرَّسُول　　بأَمره يَنْزِل الأَرض للغُلول
وذَكر ابن ماجه والتّرمذى　　وَغَيْر دين أن فعل كلّ ذى
يَكون فى أَوّل لَيلة كَمَا　　به يَكُون فَتْح[1] أَبواب السَّما

(ش) أشرت بالأبيات الثلاثة الأُوَل لما ذكره صاحب « التبيان » من جملة حديث طويل ، ونص المراد منه : « ويقُول الجَليل جَلَّ جَلالهُ : يا رضْوَان افتح أَبْواب الجنَان للصَّائمين والقَائمين من أُمَّة حَبيبى مُحَمَّد ﷺ ولا تَغلقها حَتَّى يَنقضى شَهْرهم هذا ، فَإِذَا كانَ اليوم الثَّانى أَوحَى الله تعالى إِلى مالك خَازِن النَّار يَا مالك أَغْلق أَبواب النِّيران عَنِ الصَّائمين والقَائمين من أُمَّة حَبيبى مُحَمَّد[2] ولَا تفتحها حتَّى يَنقضى شَهْرهم ، فإِذَا كانَ اليَوم الثالث[3] أَمَر الله جبريل أَن اهْبط إِلى الأَرض فَصَفِّد مردّة الشَّياطين وعُتاة الجِنّ وغلّهم فى الأَغلال ، ثُمَّ اقذف بهم فى لُجج البحار كى لَا يُفسدُوا على أُمَّة حَبيبى محمد ﷺ صيامهم »[4] . انتهى .

وقولى : ممَّن يغلّ البيت ذكره جمع منهم [ابن رجب[5] وغيره ، **وقولى** : وذكر ابن ماجه ... إلخ هو خلاف ما تقدّم فى الأبيات الثلاثة ، وهو

---

(١) فى (خ) : فيه تفتح .　　(٢) فى (خ) : محمد ﷺ .

(٣) فى (خ) : يوم الثالث .

(٤) لم يذكر النووى فى « التبيان » حديثاً بهذا المعنى ، وذكر نحوه السيوطى فى « الأحاديث الموضوعة » (ج ٢/٩٨) .

(٥) هو : الإمام الحافظ زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن البغدادى الدمشقى الشهير بابن رجب ، وهو لقب جده عبد الرحمن حافظ كبير ومحدث فقيه ، ولد سنة (٧٣٦ هـ) ، وتوفى سنة (٧٩٥ هـ) . انظر : « الرد الوافر » لابن ناصر (١٧٦) ، و « الدرر الكامنة » (٢/٣٢٢) ، و « شذرات الذهب » (٦/٣٣٩) .

الموافق لما ذكره] ابن رجب فإنه قال : وفى **الترمذى** ، **وابن ماجه** : « إِذَا كانَ أَوّل لَيلَة من شَهْر رمضَان صُفِّدَتْ الشَّياطين ، والمردة وغُلِّقت أَبواب النَّار فلم يُفتحْ منها باب ، ويُنَادى مُنادٍ : يَا باغى الخَير أَقْبل ، ويا يَاغى الشَّر أَقصر ، ولله عُتَقاء من النَّار ، وذلكَ كُلّ لَيلَة »[1] . انتهى ، ولما تقدّم فى أوّل الكلام ، ولما تقدّم أيضاً من أنه فى أوّل ليلة منهُ تُفتح أبواب السَّماء ، ولعلّ فائدة فتح أبواب الجنان وغَلْق أبواب النيران ، وتَصْفيد[2] المردة[3] أن فى هذه مزية عن وقوعها فى غيره لكثرة ثوابه أو كثرة قبوله ، وإلّا فلا يظهر لما ذكر فائدة فتأمّله ، فإن قيل: لا يخفى أن يحصل فى رمضان ما يحصل فى غيره من ارتكاب المنهيّات ، فكيف هذا مع ما تقدّم من أن مَرَدة الشياطين ، وعُتاة الجِنّ تُغلّ فيه ؟

قلت : ما يحصل فى رمضان من ارتكاب المنْهيَّات من النَّفس كما ذكره فى « تاج العروس » ، وهى أنَّ النَّفس أشدّ من الشيطان فى الكَيْد بدليل قوله تعالى : ﴿ ... **إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً** ﴾[4] ، وقال [تعالى] فى النفس : ﴿ ... **إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ** ... ﴾[5] ، وفى كلام الغزالى : والنَّفس أَخْبَث من سبعين شيطاناً ، ونص ما فى « تاج العروس »[6] مع زيادة : واحذَر نفْسك التى بينَ جَنْبيك ، فهىَ التى تحط عليك ، ولا تُفارق صاحبها إلى الممات ، والشيطان يُفارق فى رمضان ؛ لأنه يُغلّ فيه [كما تقدّم] ، وربما نجد فى النَّاس مَنْ يَقْتُل ، ويَسْرق فى رمضَان ، فهذا من النَّفس . انتهى المراد منه (**ص**) :

---

(١) رواه الترمذى ك : الصوم (٦٨٢) ، وابن ماجه (١٦٤٢) ، والحاكم فى « المستدرك » ك : الصوم (٤٢١/١) ، والبغوى فى « شرح السنة » (١٧٠٥) ، والبيهقى (٣٠٣/٤) ، وأبو نعيم (٣٠٦/٨) ، وصححه الحاكم ، وله شاهد عند أحمد (٣١١/٤) ، والنسائى (١٣٠/٤) .

(٢) **التصفيد** : التقيد .

(٣) **المردة** : أى العصاة المتمردون منهم .

(٤) سورة النساء ، الآية (٧٦) . (٥) سورة يوسف ، الآية (٥٣) .

(٦) « تاج العروس فى شرح القاموس » للإمام الزبيدى .

دَفْعُ الفَتَّان فى رَمضَان :

كَذَا حُضُوره لكلّ مُؤْمن ... يَمُوت جَا ذا فى حَديث بين
لدَفْعه لفِتْنَة الفتَّان ... عَنْه بِفَضْل الخَالِق المَنَّان
وَهَل لمن مَات عَلَى طَهَارَة ... أَو مُطْلَقًا وَجَاءَ فى رواية
وَكلّ ذَا رَدٌّ لِقَول مَنْ يَقُول ... بَعيد طَه ما لجبريل نَزول
وتَحضر الأملاك حرب الأُمَّة ... أعداهم خُصوا بذِى المزية

(**ش**) الإشارة **بقولى** : كَذَا **لقولى** قبله : والذى يَغِلّ ... إلخ : أى أن جبريل (عليه السلام) هو الذى يفعل بهم الغل المذكورة ، وأنه ينزل من السَّماء بعد موت نبينا محمد ﷺ خلافاً لما ذكر فى بعض الأحاديث من أَنَّ جبريل (عليه السلام) لا ينزل بعد نبينا محمد ﷺ ، وممَّا يؤيده [1] أيضاً ما ذكره **السيوطى** فى « تزيين الأرائك » فى الدليل الخامس من أنه ﷺ أُعطى من الملائكة أموراً لم يُعْطها أحد من الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) إلى أنْ قال : ومنها أنَّ الملائكة تحضر أُمته إذا قاتلت العدوّ فى سبيل الله تعالى لنُصْرة دينه خصوصيّة مستمرّة إلى يوم القيامة .

ومنها : أَنَّ جبريل (عليه السلام) يَحضر مَنْ مات من أُمته ليطْرد عنهُم الشيطان فى تلكَ الحالة . انتهى . وفى « **الحبائك** » [2] نحو هذا ، وفيها ما يُفيد أنه مُختص بمن يموت على طهارة . انتهى .

مِنْ هذه باب إِلى الرَّيَّان ... أُضيفَ ذا للصَّائم الدَّيّان
لَا يَدْخُلَنّ مِنْه سِوَى مَنْ يصم ... كما أَتَى ذَا عن شَفيع الأُمم
أى مَنْ يَصوم فريضَة والثَّانى ... مُكثر نَفْل قاله الكرمانى

أى أَنَّ من أبواب الجنان باباً يقال له : الرّيان لا يدخل [3] منهُ إِلَّا الصَّائم : أى مَنْ يَصُوم الفَرْض ، أَو يُكثر صَوْم النَّفْل قاله **الكرمانى** ، ثم إنَّ ظاهر الحديث

---

(١) فى (خ) : يرده . (٢) « الحبائك فى أخبار الملائك » للإمام السيوطى ط : مكتبة القرآن .
(٣) فى (خ) : ولا يدخل .

شموله للصائمين من غير هذه الأُمّة »، فإن قيل : هذا يعارض حديث مسلم : « مَا منكُم مِنْ أَحد يَتَوَضَّأ فيُسبغ أو فليسبغ الوُضُوء ، ثم يقول : أَشْهَد أَن لَا إِلَٰهَ إِلَّا الله ، وَأَن مُحَمَّداً عَبدهُ وَرَسُوله إِلَّا فُتحَتْ لهُ أَبواب الجَنَّة الثمانية يَدْخُل من أَيها شاء »[1] .

قلت : لا يعارضه ، لأن المراد بفتح أبواب الجنَّة تسهيل أبواب[2] الطاعة الموصّلة للجنة أو المراد الفتح حقيقة ، وهذا لا يستلزم الدخول منه ، لأن الله قد يزهده فيه ؛ ويُزين له غيره ، ثم إِن حديث مسلم ليس فيه التقيد برفْع الطَّرف إلى السَّماء ، ولا بأَحسن الوضُوء ، ولا بزيادة « وَحدَهُ لَا شَريكَ لهُ » ، ولا بزيادة « أَشْهَدُ » مع قوله : « أَنَّ مُحَمَّداً » فهو خلاف ما ذكره صاحب « الرسالة » حيث قال : وقد قال رسول الله ﷺ : « مَنْ تَوَضَّأ فَأَحْسَنَ الوُضُوء ، ثم رَفَعَ طَرفه إِلَى السَّماء ، فقال : أَشْهَد أَن لَا إِلَٰهَ إِلَّا الله ، وَحدهُ لَا شَريكَ لهُ ، وَأَشهدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبدهُ وَرَسُوله ، فُتحَتْ لهُ أَبواب الجَنَّة الثمانية يَدْخُل من أَيّها شاء »[3] ، والمراد « بأَحْسَن الوُضُوء » : أن يأتى بما يطلب فيه من فرض وغيره ، وقد ذكرنا فى « شرح الرسالة » المذكورة ما هو أتم من هذا .

ثُمَّ عَلَى مُسْتَعمل السّحُور صَلَاة الأَملَاك مَعَ الغَفُور

(**ش**) السّحور بوزن الصّبور : ما يؤكل[4] وقت السحر ، والسحور بالضم : فعل الفاعل قاله فى « الصحاح »[5] ، وأشرت به لحديث : « أَنَّ الله

---

(١) رواه مسلم ك : الطهارة (٢٣٤) ، وأبو داود ك : الطهارة (١٦٩) ، وأبو عوانة فى « صحيحه » (٢٢٥/١) ، وابن خزيمة (٢٢٣) .

(٢) فى (خ) : أسباب .

(٣) رواه أبو داود ك : الطهارة (١٧٠) ، وأحمد فى « مسنده » (١٩/١) ، وابن السنى فى « عمل اليوم والليلة » (٢٩) ، والنسائى فى « عمل الليلة » (٨٤) عن عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) وفى سنده عندهم مجهول ، والحديث رواه مسلم بدون بلفظ : « رفع بصره إلى السماء » .

(٤) فى (خ) : يؤكل فيه .   (٥) فى (خ) : المصباح .

وَملائكتهُ يُصَلّونَ علَى المتسحرين »[1]، وورد أيضاً : « فصل ما بين صيامنا ، وصيام أَهْل الكتاب أَكْلة السّحور[2] »[3].

« فصل » بالصاد المهملة : أى فرق ما بين صيامنا وصيامهم ، و « أَكْلة » بفتح الهمزة : الأكل مرَّة واحدة ، وهو الأشبه هذا ، ويجوز الضم أيضاً ، ومعناه : اللُّقمَة الواحدة قاله فى « شرح الجامع » ، وقال ﷺ : « اسْتَعينُوا بطعَام السّحر على صيام النَّهار ، وبالقَيْلُولَة على قيامِ اللَّيل »[4].

وفى رواية : « مَنْ أَحبّ أَنْ يقْوى على الصِّيام فَلْيَتَسحَّر ، وليشمّ طيباً ، ويأْكل قبل أَن يَشْرب ، وليقل »[5].

وفى رواية : « أَربَع مَنْ فَعلَهنّ قوىَ على صيامِه : أَن يكونَ أَوّل فطْرِه على ماء ، ولَا يدَع السّحُور ، ولَا يَدع القَيلُولة ، وأَنْ يشمّ شيئاً من الطّيب »[6]. انتهى من « كشف الغُمَّة » .

وبين ظاهر هاتين الرِّوايتين تخالف ؛ إذ جعل فى الأُولى أن ممَّا يقوى على

---

(١) رواه أحمد فى « مسنده » (١٢/٣)، وابن حبان فى « صحيحه » : الإحسان (١٩٤/٥) ، وابن الشجرى (٢٩/٢) ، وصححه ابن حبان وذكر له الهيثمى فى « المجمع » (١٥٣/٣) أحاديث فى معناه تقويه ، وانظر : « تلخيص الحبير » (١٩٩/٢) .

(٢) فى (خ) : السحر .

(٣) رواه مسلم فى « صحيحه » ك : الصيام ب : فضل السحور (١٠٩٥ ، ١٠٩٦) ، وأحمد ، وابن حبان فى « صحيحه » ك : الصيام « الإحسان » (١٩٧/٥) عن عمرو بن العاص (رضى الله عنه) وصححه .

(٤) رواه ابن ماجه ك : الصيام (١٦٩٣) ، والحاكم فى « المستدرك » ك : الصيام (٤٢٥/١) ، وابن خزيمة فى « صحيحه » (٢١٤/٣) ، وأعلّه البوصيرى فقال : هذا إسناد فيه زمعة بن صالح وهو ضعيف « مصباح الزجاجة » (١٩/٢) ، وانظر : « الترغيب » للمنذرى (١٣٨/٢) ، و « التلخيص » لابن حجر (١٩٩/٢) .

(٥) ذكره فى « الكنز » (٥٢٥/٨ - رقم ٢٣٩٧٣) ، وعزاه إلى البيهقى عن أنس (رضى الله عنه) .

(٦) رواه الحاكم فى « تاريخه » ، والديلمى فى « مسنده » عن أنس (رضى الله عنه) كما فى « الكنز » (٥٢٥/٨ - رقم ٢٣٩٧١) .

الصَّوم الأكل قبل الشُّرب ، وعكس فى الثانية وقد يُجاب : بأنَّ الأُولى محمولة على حالة السّحر [(١)] لكن إنما يتمّ هذا بجعل ، ويأكل قبل أنْ يشرب بياناً لصفَة السّحور ، والثانية فى حالة الفِطْر ، وحديث : « مَنْ أكلَ قبل أَنْ يَشْرب ، ويتَسحّر ويمس شيئاً من الطّيب [(٢)] قوى على الصِّيام والقيام » موافق للأُولى بالتأويل السابق فلا تخالف بين الروايات [(٣)] هذا ، وفى نظم مقدّمة ابن رشد :

وَكَره القَاضى كثرةَ النَّوم لأنهُ يَنْقُص أَجْر الصَّوْم

وفى « بستان الواعظين » [(٤)] روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إنَّ العَبْد المؤْمن إِذَا قامَ فى رَمضَان إِلى السّحور فَتوضَّأ وَصَلَّى ركعتين جَعَلَ الله خَلْفه سَبْع صفُوف مِنَ الملائكة ، فَإِذَا فَرغَ أَمَّنُوا على دُعَائه ، ويكتب الله لهُ بعدَدهم حَسَنات ، ويَرفَع [(٥)] لهُ بعددهم فى الجَنَّة دَرجَات ، ويَمْحُ الله لهُ بعَدَدهم سيّئات ، ثُمَّ لَا يَزالُونَ يَدْعُونَ ويَسْتَغْفرُونَ لهُ إِلى يوم القيَامَة » [(٦)] . انتهى .

والأَفْضَل التَّأْخِير فيه قَدْر مَا يَقْرأ خَمْسُونَ من الآى اعلما
مَن فعلهُ إِلَى طلُوع الفَجْر جا فى البُخَارى حقيقًا فادر

(**ش**) أشرت به إلى ما فى البخارى عن زيد بن ثابت [(٧)] (رضى الله عنه) قال : « تَسَحَّرنَا معَ النَّبىّ ﷺ ، ثُمَّ قامَ إِلَى الصَّلاة ، قلت : كم بين

---

(١) فى (خ) : حال السحور . (٢) فى (خ) : ويمس طيباً .

(٣) فى (خ) : الروايتين .

(٤) « بستان الواعظين ، ورياض السامعين » لابن الجوزى ، بتحقيق السيد الجميلى (ص ٣١١) .

(٥) فى (خ) : وبرفع الله . (٦) لم أقف عليه بهذا النحو .

(٧) **زيد بن ثابت** : ابن الضحاك الأنصارى الخزرجى ، أحد الصحابة الفقهاء ، وهو الذى جمع القرآن فى عهد أبى بكر الصديق (رضى الله عنه) ، توفى سنة (٣٢ هـ) ، وقيل : سنة (٤٥ هـ) على قول الأكثر . انظر : « الإصابة » ترجمة (٢٨٨٧) (٢/٤٩٠) ، و« صفة الصفوة » (١/٧٠٤) ، و« غاية النهاية » لابن الجزرى (١/٢٩٦) .

الأَذَان والسّحُور ؟ قالَ زيد (رضى الله عنه) : قَدْر خمسين آية »[1] . انتهى ، وذكره فى « كشف الغُمَّة » مع زيادة .

وفى الثَّريد بَارك الله الشّكور كَذاك فى جَمَاعَة وَفِى السّحور

(ش) أشرت به إلى ما فى حديث البركة فى ثلاثة : السحور ، والثريد ، والجماعة ونصه على ما فى « كشف الغُمَّة » وكان ﷺ يقول : « البَرَكَة فى ثلاثة : الجَمَاعَة ، والثَّريد ، والسّحُور »[2] ونحوه فى « الجامع الصغير » .

قال شارحه : قوله : « فى الجماعة » : أى صلاة الجماعة أو لزم جماعة المسلمين ، **والثريد** : مرقة[3] اللَّحم بالخبز .

وقوله : « والسحور » : أى لأنه قوّة وزيادة قدرة على الصوم ، ففيه زيادة رفق وزيادة حياة ، إذ لولاه لكان نائماً ، والنوم موت واليقظة حياة . انتهى .

وقال غيره : فى الثريد المراد به الخبز المجعول فى المرق واللَّحم ، وقد أشار بعضهم إلى هذا بقوله :

إِذَا ما الخُبز تادمهُ بِلَحْم فَذَا وأَمانة الله الثَّريد

(ش) وقوله : « بلحم » : أى ومرق ، وقال فى « المصباح »[4] : الثريد فعيل بمعنى مفعول ، ويقال أيضاً : مثرود ، يقال : ثردت الخبز ثرداً من باب قتل ، وهو أن تفته وتبله بمرق والاسم الثردة .

وإن حلالًا يأكل الصَّائم أو مُرابطاً وفى سحور قد رووا

ليسَ عليهم فيه شىء من حساب كذلك[5] فضل الضيف مع نوع ارتياب

إذا العراقى نفى رؤية ما دل عليه من حديث فاعلما

---

(١) رواه البخارى ك : الصيام ب : قدر كم بين السحور وصلاة الفجر (١٦٤/٣) ، ومسلم ك : الصيام (١٠٩٧) ، والنسائى ك : الصيام (١٤٣/٤ - رقم ٢١٥٦) .

(٢) رواه الطبرانى بلفظه فى « الكبير » وفيه أبو عبد الله البصرى ، قال الذهبى : لا يعرف قاله فى « مجمع الزوائد » (١٥٤/٣) ، وذكره السيوطى فى « الجامع الصغير » (١٤٥/١) من طريق ابن شاذان وضعفه .

(٣) فى (خ) : مرق .

(٤) « المصباح المنير » (٨١/١) .

(٥) فى (خ) : كذا .

أشرت بالثلاث الأُوَل لما فى كتاب « كشف الغُمَّة » ونصه : قال (عليه الصلاة والسلام) : « ثَلَاثةٌ لَيْسَ عَلَيْهِم حِسَابٌ فيما طَعِمُوا إن شاء الله تعالى إِذَا كانَ حَلَالًا : الصَّائم ، وَالمُتَسَحّر ، والمُرَابط فى سَبيل الله »[1] ، وذكر **القسطلانى** ما نصه ، وفى حديث أبى هريرة (رضى الله عنه) ما ذكره فى « الفردوس » : « ثَلَاثةٌ لَا يُحاسَب عَلَيهَا العَبْد : أَكلة السّحور ، ومَا أَفْطر عليه ، وما أَكلَ معَ الإِخوان » . انتهى ، وزاد غيره رابعة ، وهى أكل فضلة[2] الضيف ، فقال ما نصه : « وكانَ بعض السَّلف إِذَا جاء[3] الأَضْياف يقدّم لهُم فى وقت واحد ما يقُوم بنفقته شَهْراً أو نحوه ، فيقال لهُ فى ذلك ، فيقول لهم : قد ورد أن بقية الضَّيف لا حساب على المرء فيها ، فكان لا يأكل إلَّا فَضْلَة الضُّيوف لأجل ذلك » . انتهى .

ولا يخفى ما بين هذا وما ذكره فى « كشف الغُمَّة » من التَّخالُف فإنه فى « كشف الغُمَّة » قال : إنهُ لا حسَاب فيما يأْكلهُ الصَّائم وهو شامل لما يُفطر عليه وغيره ، وفيما تقدّم عن **القسطلانى** فيه تخصيص ذلك بما يفطر عليه الصَّائم ، وزاد فى « كشف الغُمَّة » ما يأكلهُ المُرَابط ، وقد نظمت ما ذكره القسطلانى وما زاد غيره فقلت :

إِذ جاء لا حسَاب فى شىء فُطور ... لِصَائم كذاك أَكْل فى السُّحور
أَو معَ إِخوان وفَضْل الضَّيف قَدْ ... صَرَّح بعضٌ أن هـذا قد ورد
وللعـراقى نزاع فى الأَخير ... إذ قالَ ما رأَيت هذا يا خَبِير
كَذَا بِكَشْفِ الغُمَّة المـوَاهب ... وهُـو خِـلَافُ ما لذى المواهب

وقولى : « مع نَوع ارتياب إذ العراقى ... إلخ » أشرت به إلى ما للعراقى

---

(١) ذكره الهيثمى بهذا اللفظ فى « المجمع » (١٥٤/٣) ، وعزاه إلى الطبرانى فى « الأوسط » ، والبزار وقال : فيه عبد الله بن عصمة عن أبى الصباح وهما مجهولان ، وعزاه فى « الإتحاف » (٢٣٢/٥) إلى ابن عساكر .

(٢) فى (خ) : فضل .

(٣) فى (خ) : جاءه .

فى تخريج أحاديث « الإحياء » ونصه حديث « إِنَّ الإِخْوَان إِذَا رَفَعُوا أَيْدِيَهُم عن الطَّعَام لا يُحَاسَب مَنْ أَكَلَ من فَضْل ذلكَ الطَّعام » لم أقف له على أصل [١] ، ثم قال [حديث] : « ثَلاَثَةٌ لَا يُحاسَب عَلَيهم العَبد : أكلة السُّحور ، ومَا أَفْطر عَلَيه ، ومَا أَكَلَ معَ الإِخْوان » الأزدى فى « الضعفاء » من حديث [٢] جابر (رضى الله عنه) : « ثَلَاثَةٌ لَا يُسْأَلون عن النَّعيم : الصَّائم ، والمُتَسحّر ، والرَّجُل يَأْكل معَ ضَيْفه » [٣] أورده فى ترجمة **سليمان** [٤] **بن داود الجزرى** ، وقال فيه : منكر الحديث . انتهى .

فَضْـلُ خَلُوفِ فَم الصَّـائم :

وفى الحـديث لَخَلُوفُ الصَّـائم — أَطْيَب مِنْ ريح المسك فاعلم
أَى أَجْرُهُ يَفُوقُ أَجْر الطيب — بالمسك فى محله [٥] المطلُوب
كَجُمعٍ والعِيـد هذا ما ارتضاه — بونيهم كالنَّـووى ومن سـوَاه
فزيد طيب الرِّيح إن جاء من خَلُوف — معناه عِظَمُ الأَجر من رب رؤوف
وقيـل زِبد ريحـه طَيِّباً على — ريح لمسـك أَو عَلَيه حصـلا
خلف فقيـل ذا بدار الأخـرى — وهُـو لعزّ الدِّين من غـير مِرَا
وقيـل ذا فى دار دُنيـا يحصـل — وينبنى عَلَيه خُـلْف نَقَلُوا
هكذَا يشـم أو بقلْب يـدرك — فَحُبّـه لصَـائم لا يـترك
وأَوّل القَـولين مَخصُـوص بلا — ريب ببعض النَّـاس لا كل الملا
أَى أَنهُ يكونَ فى بعض فقـط — أَو كائن لبعضـهم بلا شـطط

---

(١) قال ذلك فى « تخريج الإحياء » (٦٥٩/١) ط : الشعب . (٢) « تخريج الإحياء » (٦٥٨/١) .
(٣) رواه الديلمى عن أبى هريرة (رضى الله عنه) كما فى « الكنز » (٤٥٦/٨ - رقم ٢٣٦٣٧) وهو حديث ضعيف جدًّا ، قال السيوطى فى « الذيل » : فيه مجاميع يضع الحديث .
انظر : « تذكرة الموضوعات » (٧٠) ، و « الفوائد المجموعة » للشوكانى (٩٠ ، ٩١) ، و « تنزيه الشريعة » لابن عراق (١٦٦/٢) .
(٤) ذكره فى « ميزان الاعتدال » (٣٩٦/٢ - رقم ٣٤٥٣) وقال : روى عن سالم ، ونافع ، وعنه قُرّة بن سليمان ، قال أبو زرعة : متروك .
(٥) فى (خ) : مخلقاً .

الخُلُوف ـــ بضم الخاء ـــ : إما اتفاقاً أو على الصحيح .

وقولي : **كالنووي** بالسكون بنيّة الوقْف ، **وقولي** : « ومن سـواه » : فى نسخة بلا اشتباه ، وأردت بمن سواه القدورى ، ومن وافقه كما يأتى ، **وقولي** : « فزيد ... إلخ » : أى فزيادة طيب الرَّائحة التى تحصل من الخلُوف على ريح المسك ، « فى محله المطلوب » معنـاه : عِظَمُ أَجْرِه عليه .

والحاصل : أنه اختلف فى المراد بقوله فى حديث : « لَخَلُوفُ فَمِ الصَّائم أَطْيب مِنْ ريح المسك » هل معناه أنَّ الثواب فيه أَعْظَم من الثواب الحاصل فى ريح المسك فى المحل الذى يُطلب فيه المسك : أى ونحوه كالجمعة والعيدين [1] وهـو ما عليـه **البـونى** [2] من **قُدماء المالكية** ، **والنـووى** من **أئمة الشـافعية** ، **والقدورى** [3] من **أئمـة الحنفيـة** ومن وافقهم كما سيأتى بيانه أو معنـاه : يفوق ريح المسك فى الطِّيب والحسن ، وإليه ذهب غير من ذكر ، وعلى هذا فهل هذا مختصّ بالآخرة ؟ وعليه **ابن عبـد السلام** ؛ لأن فى رواية مسلم : « أَطْيَب عنـدَ الله مِنْ ريح المسـك يَوم القيَـامَة » [4] ، وكذا فى **النسـائى** ، وروى **أبو الشيخ** [5] عن **أنس** (رضى الله عنه) مرفوعاً بإسناد فيه ضعف : « يَخرجُ الصَّائمُونَ مِنْ قُبورهم بريح أَفْوَاههم أَطْيَب عندَ الله من ريح المسْك » [6] .

---

(١) فى (خ) : والعيـد .

(٢) **البـونى** : هو مروان بن محمد الأندلسى البونى المالكى أحد الفقهاء المحدثين من أهل قرطبة ، توفى سنة (٤٤٠ هـ) ، من مؤلفاته : كتاب ضخم شرح فيه الموطأ .

انظر : « إيضاح المكنون » (٣١٠/١) ، و« الديباج المذهب » لابن فرحون (٣٣٩/٢) .

(٣) **القـدورى** : أحمد بن محمد بن جعفر بن حمدان الفقيه الحنفى ، وهو من شيوخ الخطيب البغدادى ، ولد سنة (٣٦٢ هـ) ، وتوفى سنة (٤٢٨ هـ) . انظر : « معجم المؤلفين » (٢٤٢/١) .

(٤) رواه مسلم ك : الصيام (١٦٣) ، والنسائى ك : الصيام (١٦٤/٤ - رقم ٢٢١٦) .

(٥) **أبو الشيخ** : هو الحافظ المحدث المتقن أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان المعروف بأبى الشيخ الأنصارى ، توفى سنة (٣٦٩ هـ) . انظر : « غاية النهاية » (٤٤٧/١) ، و« شذرات الذهب » (٩٦/٣) ، و« طبقات الحفاظ » للسيوطى (٣٢٩) ، و« تذكرة الحفاظ » للذهبى (٩٤٥/٣) .

(٦) ضعفه السيوطى فى « الجامع الكبير » .

وعن **مكحول**[1] : يُروّح أَهل الجَنَّة برائحة فيقولُونَ : رَبَّنَا ما وَجَدنَا ريحاً مُـذ دَخلنَا الجَنَّة أَطْيب من هـذَا الرِّيح ، فيقال : هـذه رَائحة أَفْوَاه الصُّيَّام[2] . انتهى ، أو أنَّ ذلك الطِّيب فى الدنيا ، وعليه **ابن الصلاح**[3] ، واستدل له بأشياء وكان **عبد اللّه بن غالب**[4] مجتهداً فى الصوم ، فَلَمَّا دُفِنَ كان يَفُوحُ من تُرابِ قَبْرِه رائحةُ المِسْكِ . انتهى ، وعلى هذا القول ، فهل يدرك بحاسة الشَّمّ أو تدركه قلوب المؤمنين ؟ فقيل: بسبب ذلك للصُّوَّام[5] وتحبهم خلاف ، وقد فسر قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا** ﴾[6] : أى بأن يحبهم[7] ويحببهم للناس ذكره **الغزالى** فى « منهاجه » ، وقد بينا ذلك فى [شرح] مختصر البخارى **لابن أبى جمرة**[8] ، **قلت** : والقول : بأنه يدرك بحاسة الشَّمّ ليس لعموم الناس كما يشهد به الوجدان ، بل لبعضهم ، ويحتمل أن يكون المراد أنه من بعضهم على ما نبيّنه هذا وعبارة بعضهم .

---

(١) **مكحول** : أبو عبد الله الهُذلى ، ثقة ، تابعى جليل ، قال ابن حجر : « ثقة ، فقيه كثير الإرسال مشهور » . انظر : « التهذيب » (٢٨٩/١٠) ، و« رجال صحيح مسلم » لابن منجويه (٢٧٥/٢) ، و« الكاشف » للذهبى (١٥٢/٣) .

(٢) فى (خ) : الصائمين .

(٣) انظر شرح الحديث وتفصيل هـذه الوجوه فى : « شرح مسلم » للنووى (ج ٢٧٨/٨) ، و« شرح السيوطى » على النسائى (١٦١/٤) ، و« فتح البارى » (١٢٧/٤) .

(٤) **عبـد اللّه بن غالب** : تابعى ، كوفى ، ثقة ذكره ابن حبان فى ثقات التابعين ، يروى عن حذيفة وسعيد بن زيد (رضى الله عنهم) ، وروى عنه أبو إسحاق السبيعى ، وهلال بن يساف . انظر : « تعجيل المنفعة » لابن حجر (ص ٢٣٢ ، ٢٣٣ - رقم ٥٧٥) ، و« تاريخ البخارى » (١٦٧/٥) .

(٥) فى (خ) : إلى الصُّوام .

(٦) سورة مريم ، الآية (٩٦) .

(٧) فسر الآية بذلك جماعة من السلف ، قال ابن عباس (رضى الله عنهما) : ﴿ **وُدًّا** ﴾ : أى محبة فى قلوب المؤمنين ، وفى رواية : محبة فى الناس فى الدنيا ، وفى رواية ابن أبى شيبة ، وعبد بن حميد ، قال : ﴿ **وُدًّا** ﴾ : يحبهم ويحبونه . انظر : « الدر المنثور » (٥١٢/٤) ، و« تفسير ابن كثير » (١٢٢/٣) ، والبغوى فى « تفسيره » (٢١٠/٣) .

(٨) **ابن أبى جمرة** : عبد الله بن أبى جمرة أبو محمد ، محدث ، مقرئ ، من آثاره : « مختصر الجامع الصحيح » للبخارى ، و« شرح بهجة النفوس » فى سفرين ، توفى سنة (٦٩٩ هـ) . انظر : « معجم المؤلفين » (٢٣٤/٢) .

وفى معنى كونه : « أَطْيب عندَ الله مِنْ ريح المسك » : خلافٌ نشأ من استحالة استطابة الرَّوَائح فى حقه تعالى ، فقيل : معناه أفضل عند الله من الرَّائحة الطَّيبة : أى فيما تطلب فيه قاله **القدورى** من الحنفية ، **والبونى** من قُدَماء المالكية ، **وقيل** : معناه الثناء على الصَّائم والرِّضَى بفعله ، لئلا يمتنع من الصوم ومن المواظبة عليه (١) الجالب للخَلُوف ، **والمعنى** : أن خَلُوف فَم الصَّائم أبلغ عندَ الله من ريح المسك عند أحدكم ، **وقيل** : إن ذلك فى حق الملائكة ، وأنهم يستطيبون ريحه على ريح المسك .

قلت : ويبحث فى هذا بقوله عند الله ؛ وما ذهب إليه **القدورى والبونى** ومن وافقهما من أن المعنى : أن الخَلُوف أكثر ثواباً عندَ الله من المسك المندوب إليه فى الجُمَع والأَعياد صححه **النووى** . انتهى ، وقد أشرنا إليه سابقاً ، وإلى الخلاف ، وما اختاره **النووى** ، ومن وافقه **كالبونى والقدورى** ، أشرت **بقولى** : أى أَجْره يَفُوق أَجْر الطيب ... إلخ .

قلت : والحاصل أن (٢) معنى كون الخلوف أطيب من ريح المسك عند الله يوم القيامة على ما اختاره **النووى** ، **والبونى** ، **والقدورى** ومن وافقهم أَنَّ أَجْره يَفُوق أَجْر الطيب المطلوب فعله فيما يطلب فيه ، وأما على القول بأن معنى : « أَطْيَب مِنْ ريح المسك » : أن رائحته أطيب من رائحة (٣) المسك ، فهل معناه : أن ريحه فى الآخرة يَفُوق ريح المسك فى اللَّذة ؟ أو معناه : أن ريحه فى الدُّنيا يَفُوق عندَ النَّاس ريح المسك : أى أن الله يجعل ريحه عند الناس فى الدنيا كذلك ، وعليه فهل يدركون بحاسة الشَّمّ ؟ ، ولا يخفى أن هذا إنما يكون لبعض أو من بعض أو تدركه قلوبهم بمعنى أن الله تعالى يوجد فيها ما هو أَطْيب من ريح المسك ، وهو موجب لمحبتهم لأهل الصوم هذا هو الذى يدل عليه كلامهم ، وإليه أشرت **بقولى** : أى أجره إلى آخر **قولى** : بلا شطط .

---

(١) فى (خ) : لئلا يمتنع من المواظبة على الصوم .

(٢) فى (خ) : أنه هل .   (٣) فى (خ) : ريح .

تنبيهٌ ، فى تَفْضيل خلُوف فَمِ الصَّائم على دَم الشَّهيد :

ورد فى الحديث : « أَنَّ دَم الشَّهِيد لونهُ لَون الدَّم ، وريحه ريح المسْك »[١] ، وهذا يقتضى أَنَّ خَلُوف فَمِ الصَّائم أَفضَل منه على أحد القولين فى معنى : أَطْيَب مِنْ ريح المسك :

وأَن لدى الصَّائم أَكْلُ يَحْصُلُ ... تُسَبِّحُ العِظَامُ مِنْهُ يَا فُل
بذَلِكَ الأَملَاك تَسْتَغْفر لهُ ... ما دَام الأكلُ قائماً لن تُهْمِلَهُ
والظَّاهر أَنْ شُربَ نحو القَهْوة ... كالأكل فى هذا بلَا تَفَاوُت

(ش) [الضمير فى **قولى** منه : للصائم ، **وقولى** : إن تهمله : أى لن تهمل الملائكة الاستغفار ما دام الأكل قائماً] أشرت بالأولين إلى حديث : « نَأْكُل أَرْزَاقَنا ، وفَضْل رِزْق بلَال فى الجَنَّة أَشعرت يا بلَال أَنَّ الصَّائم تُسَبِّح عِظَامه ، وَتَسْتَغْفر لهُ الأَملاك ما أَكلَ عندَه »[٢] **(هب)** عن بريدة[٣] (رضى الله عنه) . انتهى من « الجامع الكبير » ونحوه فى « الزوائد[٤] » .

---

(١) رواه البخارى (٢٢/٤) ، ومسلم ك : الإمارة (٢٨١٧) ، ومالك فى « الموطأ » (٤٦١) ، والنسائى (٢٨/٦) ، وابن ماجه ك : الجهاد (٢٧٩٥) ، والبيهقى ك : الجنائز (٦٧٩٩) (١١/٤) ، وابن المبارك فى « الجهاد » (٣٨) .

(٢) حديث ضعيف رواه ابن ماجه ك : الصيام (١٧٤٩) ، والبيهقى كما فى « الدر المنثور » (١٨١/١) ، وابن عساكر فى « تاريخه » ، وضعفه البوصيرى فى « الزوائد » (٣٧/٢) ، والمنذرى فى « الترغيب » (٢٤٦/٢) وقال : فيه محمد بن عبد الرحمن مجهول ، وبقية مدلس ، ولا ينفع تصريحه بالتحديث مع الجهالة .

(٣) فى (خ) : بريرة ، وهو خطأ ، وبريدة : هو بريدة بن الحُصيْب بن عبد الله الأسلمى ، صحابى من المهاجرين ، كنيته أبو عبد الله ، انتقل إلى البصرة ، ثم خرج إلى سجستان . مات بمرو سنة (٦٣ هـ) . انظر : « التهذيب » (٤٣٢/١) ، و« تهذيب الكمال » (٥٣/٤ - ٦١) ، و« تهذيب الأسماء » (١٣٣/١) ، و« رجال البخارى » (١٢٢/١) ، و« رجال صحيح مسلم » لابن منجويه (٩٧/١) .

(٤) « زوائد ابن ماجه » للبوصيرى ، ولكنه ضعفه كما سبق .
انظر : « الزوائد » (٣٧/٢) .

وقولي : « والظَّاهر ... إلخ » : تصوره ظاهر ، ودخل في قولنا نحو إلى آخره شرب ماء البطيخ **(ص)** :

وفيه قَدْ صَلَّى نَبيّ المَرْحَمَة ... قِيَامه بلَيْلَتَين فاعلمه
أَو بثَلاث ثُمَّ لم يخرج لهُ ... خَشْيَة أَن يفرض عليهم فِعْله
ثمت كانَ الجمع فيه من عمر ... لما وعاه عن على من خَبر
من أنهُ تَنْزل أَملاك كرام ... برمضان كُلّ عَام للقِيَام
فَمَن لَهُم قد مس أَو مسوه ... يسعد والشّقوة لا تعروه

(ش) أشرت بذلك لما في البخارى ومسلم : « أَنهُ ﷺ خَرجَ مِنْ جَوْف اللَّيل فَصَلَّى في المسجد فَصَلَّى رجالٌ بصَلَاته ، فأَصْبَح النَّاس يَتحَدَّثُونَ بذلك ، فاجتمعَ أَكثر منهُم ، فَخرجَ (عليه الصلاة والسلام) فى اللَّيلَة الثَّانية فَصَلَّى فَصلُّوا ، فلما أَصْبَح النَّاس يَذكرونَ ذلك فكثر أَهل المسجد فى اللَّيلَة الثَّالثة ، فَخَرجَ فَصلُّوا بصَلَاته ، فَلَمَّا كانَ فى اللَّيلَة الرابعة عَجز المسجد عن أهله فلم يَخرج إِليهم حتَّى خَرج لصَلَاة الفَجْر ، فلمَا قَضَى الفَجْر أَقْبل علَى النَّاس ، ثُمَّ تَشَهَّد ، فقال : أَمَّا بعد ، فإنهُ لم يخف على شَأنكُم اللَّيلة ، ولكن خَشِيت أَنْ تُفرض عَلَيكُم صَلَاة اللَّيل فَتَعجزُوا عنها »[1] . انتهى ، وفى رواية : « أَنهُ ﷺ صَلَّى بهِم لَيلَتين فقط »[2] ، وقد أشرت إلى الرِّوايتين **بقولي** : بليلتين ، **وبقولي** : أو بثلاث ، والضمير فى **قولي** : « ثُمَّ لَمْ يَخرج لهُ للقِيَام » ، **وقولي** : خَشيَة أَنْ يُفْرض [عليهم] فعله لا يُعارضه ما وقع فى حديث الإسراء من قوله تعالى : « هُنَّ خَمْس وَهُنَّ خَمْسُونَ لَا يُبَدّل القول لَدَيَّ »[3] ، فإذا أمن التبديل ،

---

(١) رواه البخارى ك : صلاة التراويح (٤/٢٩٥ - رقم ٢٠١٠) ، ومسلم ك : صلاة المسافرين : ١٧٨ - (٧٦١) ، وأبو داود ك : الصلاة (١٣٧٣) .

(٢) جاء هذا المعنى فى رواية عائشة (رضى الله عنها) عن مسلم ك : صلاة المسافرين (١٧٧) - (٧٦١) .

(٣) جزء من حديث الإسراء الطويل رواه البخارى ك : الصلاة (١/٥٤٧ - ب : كيف فُرِضَتِ الصلاة فى الإسراء ؟ ، ومسلم ك : الإيمان ٢٥٩ - (١٦٢) .

فكيف يقع الخوف المذكور ، لأنا نقول : فرض الصلوات الخمس فى كل يوم وليلة من غير زيادة عليها ولا نقص عنها لا ينافى أن يُفرض عليهم صلاة أو أكثر غيرها من العام إلى العام ، وبعبارة أُخرى : حاصل ما يفيده حديث الإسراء أن المفروض من الصلاة متكرّر فى كُلّ يومٍ وليلة خَمْس صلوات هُنّ[1] الصلوات الخمس ، وهذا لا ينافى أن يُفرض فى بعض شُهُور السَّنَة صلاة متكرّرة غير الصلوات الخمس ، وبعبارة أُخرى وهى أحسن مما قبلها .

حاصل[2] المراد من معنى[3] حديث فرض الصلاة على ما استقرّ عليه الحال : أن الله قد فَرضَ عليه ﷺ ، وعلى أُمَّته على وجه التِّكرار فى كلّ يوم وليلة خَمْس صلوات ، وهذا لا ينافى أن يفرض عليهم وعليه صلاة أو أكثر لا على هذا الوجه وإنْ زيد بعد قولنا : خمس صلوات بصفة مخصوصة فى أوقات مخصوصة ، زاد ظهور عدم المنافاة ، وقد أشرت لهذا **بقولي** :

وليَسَ ذا مُنَافياً أَن يفرضا عليهم مـن نوعهـا يا مرتضى

وقلت بدل الشطر الثاني ما نصه : من نوعها خلافه يا مرتضى ، وهو أحسن منه لصدق الأوّل بما إذا فُرض عليهم مثل الصلوات المفْروضَة إذ لم أُقيّد **قولي** : من نوعها **بقولي** : خلافه ، وأُجيب بغير ذلك وقد ذكرناه فى « شرحنا على المختصر » ، **وقولي** : « خَشيَة أَنْ يُفرَض ... إلخ » : فيه الجزم بأن المصدرية ، وهو جائز عند جماعة قال فى « المغنى » تنبيه ذكر بعض الكوفيين (**وأبو عبيدة**[4])

---

(١) فى (خ) : هـو .

(٢) فى (خ) : حاصلها .

(٣) يُراجع فى معناه « فتح البارى » (ج ١/٥٥٢) ، و« شرح مسلم » للنووى (ج ٥٧٨/٢) .

(٤) **أبو عبيدة** : معمر بن المثنى التَّيْمِيّ البصْريّ النحوى اللغوىّ ، مولى بنى عبد الله بن معمر التيمى ، قال الجاحظ : لم يكن فى الأرض أعلم بجميع العلوم من أبى عبيدة ، توفى سنة (٢٠٨ هـ) . انظر : « إشارة التعيين » (ت ٢١٣ - ص ٣٥٠) ، و« شذرات الذهب » (٢٤/٢) ، و« الأعلام » (١٩١/٨) .

أن بعضهم يجزم بأن ، ونقله (**اللحيانى**[1]) عن بعض بنى صباح من ضبة وأنشدوا عليه :

إِذا ما غَـدَونَا قالَ ولدان أَهلنَـا   تَعالوا إِلى أَنْ يأتنا الصّيد نحطب

انتهى .

وقولى : « ثمت كان الجمع فيه من عمر ... إلخ » أشرت به لما ذكره صاحب « البستان[2] » ونصه : قال **السائب بن يزيد**[3] (رضى الله عنه) : لما جمعَ **عمر بن الخطاب** (رضى الله تعالى عنه) النَّاس فى قيام رمضان قَدَّم **أُبَىّ ابن كعب**[4] ، **وسلمان الفارسى**[5] (رضى الله تعالى عنهما) يُصلِّيان بالنَّاس ، فكان القَارئ يَقْرأ بالمائتين ، وكنَّا نَعتمد علَى العِصِىِّ مِنْ طُول القيـام ، ولا ينصرف[6] إلَّا فى بزوغ الفَجْر »[7] . انتهى .

---

(١) فى (خ) : الحَبَّانى ، **واللَّحيـانى** : هو على بن حازم اللحيانى ، علَّامة لغوى ، قال الطوسى : له كتب كثيرة جيدة معتمدة نحو ثلاثين كتاباً ، توفى سنة (٢٠٧ هـ) .
انظر : « معجم المؤلفين » (٤١٧/٢) .

(٢) فى (خ) : التبيـان .

(٣) **السائب بن يزيد** (رضى الله عنه) : ابن أخت النمر الكندى ، له رؤية من رسول الله ﷺ ، روى عنه الزهرى ، وعمر بن عطاء ، وغيرهم . قال الفلاس : مات السائب سنة (٧١ هـ) ، وهـو ابن ثمان وثمانين سنة . انظر : « الإصابة » (١٣١/٢) ، و« رجال صحيح مسلم » لابن منجويه (٢٩٤/١ - رقم ٦٣٦) .

(٤) **أبى بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد الأنصارى النجارى** : أحد الصحابة القُرَّاء ، كان من أصحاب العقبة الثانية ، وشهد بدراً والمشاهد كلها ، توفى سنة (٣٠ هـ) . انظر : « حلية الأولياء » (٢٥٠/١) ، و« الإصابة » (١٨١/١) ، و« تهذيب التهذيب » (١٨٧/١) .

(٥) **سلمان الفارسى** : أحد الصحابة الأجلاء السابقين إلى الإسلام ، صحب النبى ﷺ وخدمه ، وحدَّث عنه ، وحَسُنَ إسلامه حتى اختلف عليه المهاجرون والأنصار كلاهما يقول : سلمان منا ، توفى سنة (٣٦ هـ) . انظر : « صفة الصفوة » (٥٢٣/١) ، و« تهذيب الأسماء » للنووى (٢٢٦/١) ، و« تهذيب التهذيب » (١٣٧/٤) ، و« رجال صحيح مسلم » (٢٧٤/١) .

(٦) فى (خ) : ننصـرف .

(٧) رواه مالك فى « الموطأ » (١٣٧/١ - رقم ٢٤٨) ، والبيهقى فى « السنن » ك : الصلاة (٤٩٦/٢) ، وإسناده صحيح و« تحفة الأحوذى » (٧٤/٢) .

وقال علىّ (رضى الله تعالى عنه) : إنَّما اتَّخذَ عُمر (رضى الله عنه) التَّرَاويح لحديث سَمعَهُ مِنِّى . قالُوا : وما هُوَ يا أمير المؤمنين ؟ قالَ سَمِعْتُ رَسُول الله ﷺ يقول : « إنَّ لله تَبارَك وتعالَى مَوضعاً عن يمين العَرْش يُسَمَّى حَظيرَة القُدْس ، وهُوَ من نُور ، فيها ملائكة لَا يُحصى عَدَدهم إلَّا الله سُبْحَانهُ وتعالَى ، يَعْبدُونَ الله تعالَى عبَادَة لا يفترون ساعة ، فإذَا كانَ أَوّل لَيلَة مِنْ شَهْر رمضَان استأْذَنُوا رَبّهُم أَنْ يَنزلُوا إِلَى الأَرض فَيصَلُّونَ معَ جماعة المؤمنين ، فيأذن لهُم ربهم تَبارَك وتعالَى فينزلُونَ كُلّ لَيلَة إلى الأَرض فَمَن مَسّهم أَو مسّوهُ سَعد سَعَادة لا يَشْقَى بعدها أَبداً ، فقال عُمَر (رضى الله تعالى عنه) : نَحنُ أَحَقّ بهذَا ، وجمعَ النَّاس ، وصَلَّى بهم التَّراويح »[1]. انتهى .

وقولى : للقيام : أى لصلاة القيام ، **وقولى** : عن على من خبر بتنوين على ، وفى نسخة عن على من الخبر بسكون ياء على بنية الوقف :

وأَربَع تَشْتَاقهُم دَار السَّلَام	وعدّ منهم صَائم شَهْر الصِّيام
والبَاقِ مَنْ يَتْلو كتَاب الله	ومُطْعم الجيعَان للإله
وحَافِظ لِسَانه عَنِ الكلَام	كَغَيْبَة وكُلّ ما فيه مُلَام
وجاء أَيضاً أَنها لأَربعة	تَشْتَاق عَمَّار وَسَلْمَان معه
كَذَلكَ المقْدَاد مَعَ علىّ	وهذِهِ من منن العَلِىّ
وجاء حُبّه تَعَالَى لِعَلىّ	سَلْمَان أَبى ذَرّ ومقْدَاد يلى

وقولى : « وجاء حبه تعالى لعلىّ » أشرت به لما فى « الجامع » من حديث : « إنَّ الله تَعالَى أَمَرنى بحُبّ أَربعة ، وأَخبرنى أَنهُ يُحبّهُم : علىٌّ منهُم ، وأَبُو ذَرٍّ منهم ، والمِقْدَاد ، وسَلْمَان »[2] **(ت ه ك)** عن بُريدة (رضى الله عنه) .

---

(١) ذكره المتقى الهندى فى « كنز العمال » (ج ٤١١/٨ - رقم ٢٣٤٧٩) ، وعزاه إلى البيهقى وقال : سنده ضعيف .

(٢) رواه ابن ماجه ك : المقدمة (١٤٩) ، والترمذى ك : المناقب (٣٧١٨) ، والحاكم فى « المستدرك » ك : معرفة الصحابة - (١٣٠/٣) ، وأبو نعيم فى « الحلية » (١٧٢/١) ، وحسنه الترمذى ، وصححه الحاكم ، وذكره السيوطى فى « الجوامع » (٣٧٠٨) .

وعن أبى أَيـوب (رضى الله عنه) قال : قال رسـول الله ﷺ : « لَقَدْ صَلَّت المَلَائكَة عَلَيَّ وَعَلَى عَليّ سَبع سنين ، وذلك أَنهُ لم يُصلّ معى رَجُل غيره »[1] . انتهى من « الفردوس » .

وفى « الجامع » أيضاً : « إِنَّ الله إِذَا أَحَبّ عَبداً دَعَا جبريل (عليه السلام) فقال : إِنِّى أُحبُّ فُلَاناً فأحبه ، فَيُحبّه جبريل (عليه السلام) ، ثُمَّ يُنَادى فى السَّماء ، فيقول : إِنَّ الله [تعالى] يُحبُّ فُلَاناً فَأَحبُّوه ، فَتحبُّه أَهْل السَّمَاء ، ثُمَّ يُوضَع لهُ القَبُول فى الأَرض ، وَإِذَا أَبْغَض عَبداً دَعا جبريل (عليه السلام) فيقول : إِنِّى أُبْغض فُلاناً فأَبغضه ، فَيبغضهُ جبريل (عليه السلام) ، فَيُنَادى[2] فى [أهل] السَّمَاء : إِنَّ الله تعالَى يُبْغض فُلَاناً فأَبغضُوه فيبغضونهُ ، ثُمَّ تُوضَع لهُ البغْضَاء فى الأَرض »[3] (م) عن أبى هريرة (رضى الله عنه) .

فإن قيل : قد أخبر الله تعالى بحبّ المُتَّقين والتَّوابين ، وحُبّ عليّ ، والمقداد[4] ، وأَبى ذَرّ ، وسَلْمَان (رضى الله عنهم) وغيرهم مع كثرة المبغضين لهم . **قلت** : يجاب : بأن بغض من يحبه الله إما عناداً كما كان من كُفار قريش له ﷺ ، وإما أنه لما كان فيمَنْ يُحبهُ الله من الأسباب والقرائن الموجبة للمَحَبَّة ما لو تأَمّله المبغْض لهم لأحبهم نزل بغضهم منزلة عدمه ، وهذا نحو ما ذكروه

---

(١) لايصح هذا الحديث ، فقد رواه ابن الجوزى فى « الموضوعات » (٣٤٠/١) ، والديلمى فى « الفردوس » ، وفى سنده محمد بن أبى رافع ، وهو منكر الحديث .

انظر : « الفوائد المجموعة » للشوكانى (٣٤٣) ، و« تنزيه الشريعة » للكتانى (٣٧٦/١) ، و« اللآلئ المصنوعة » للسيوطى (١٦٦/١) .

(٢) فى (خ) : ثم ينادى .

(٣) رواه البخارى (١٣٧/٩) ، ومسلم ك : البر والصلة (١٥٧) ، وأحمد فى « مسنده » (٤١٣/٢) ، وأبو داود الطيالسى (٢١٠٣ - منحة) ، والبيهقى فى « الأسماء والصفات » (٤٩٨) .

(٤) المقداد بن الأسود الكندى وهو ابن عمرو بن ثعلبة بن مالك ، صحابى جليل ، قال زرّ : أول من قاتل على فرس فى سبيل الله المقداد بن الأسود ، توفى سنة (٣٣ هـ) فى خلافة عثمان (رضى الله عنه) . انظر : « الإصابة » (١٥٩/٦) ، و« تهذيب التهذيب » (٢٨٥/١٠) ، و« حلية الأولياء » (١٧٢/١) .

في خطاب **المخاطب** المنكر بخطاب الخالى من الإنكار ، حيث كان معه من القرائن ما إن تأمّله ارتدع عن إنكاره لتنزيل إنكاره حينئذ [1] منزلة عدمه أو أن قوله في الحديث : « ثُمَّ يُوضَع لَهُ القَبُول فى الأَرض » معناه لمن أراد الله به خيراً ، وأما إن أراد به شَقْوته ، فيوضع له ضدّ ذلك .

وحاصل هذا الأخير : أن من أراد الله به خيراً قذف فى قلبه حُبّ من يُحبه ، ومن أراد به سوءًا قذف فى قلبه بُغض مَنْ يحبه ، ويجرى عكس هذا فيمن يبغضه الله ، فمن أراد به خيراً قذف فى قلبه بُغض من يبغضه ، ومَنْ أراد به سوءًا قذف فى قلبه حب مَنْ يُبغضه :

خصُوصيَّةُ الصَّوم للَّـه :

وقول ربى فى الحديث الصوم لى	ظاهره الشمول للتنفل
وفى بيان حِكْمَة التخصيص	أبدوا وجوهاً بعضها قد ينتقد
من الوجُوه أنهُ فعل خفى	وهو بالإِخلَاص جَدير يا وفى
الثانى لا يدفع فى المظالم	لما تعلَّقت بعنق الظَّالم
ثالثها قهره للرجيم	عَدوّنا وربّنا العَظيم
إذ الوسيلة له هى الشَّهوة	والأكل والشُّرب لهذى منبت
أو أن غير الله لم يعبد به	وغيره ليس كذا فانتبه

أشرت بهذا لقوله (عليه الصلاة والسلام) عن الله تعالى : « كُلُّ عَمَل ابن آدَم لهُ إِلَّا الصَّوْم فَإِنَّهُ لى وَأَنَا أَجْزِى به » [2] . انتهى . وقد وقع فى بيان وجه إضافته تعالى الصوم لنفسه مع أن الأعمال كلها له اختلاف ، فقيل : لأنه لا يدفع فى مظالم فاعله ، وقيل : لأنه [3] عمل خفى لا يراه أحد ولا يشاهده ، فهو بعيد عن الرياء ، وقيل : لأنه قهر لعدوّ الله ، فإن وسيلة الشيطان لعنه الله الشهوات ، وإنما تقوى بالأكل والشرب ، ولذا [4] قال (عليه الصلاة والسلام) :

---

(١) غير موجودة فى الأصل ، والزيادة من المخطوطة .
(٢) رواه البخارى ك : الصوم (١٩٠٤) ، ومسلم ك : الصيام (١١٥١) .
(٣) فى (خ) : إنه .
(٤) فى (خ) : ولذلك .

« إِنَّ الشَّيطان يَجْرى مِنْ ابن آدم مَجْرَى الدَّم ، فَضَيِّقُوا مَجَاريه بالجُوع »[1] .

وكذلك قال لعائشة (رضى الله عنها) : « دَاوِمى قَرْع بَاب الجَنَّة . قالت : بماذا ؟ قَالَ : بالجُوع »[2] .

وعن عائشة (رضى الله عنها) أيضاً أنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « أَدِيمُوا قَرْع باب الجَنَّة يُفتَح لكُم . قُلت : فكيفَ نُدِيم قَرْع باب الجنَّة ؟ قالَ : بالجُوع والعَطَش » نقله بعضهم[3] .

وأصله فى « الإحياء » قلت : قال **العراقى** فى تخريجه حديث : « إِنَّ الشَّيطَان يَجْرِى من ابن آدَم مَجْرَى الدَّم » الحديث متفق عليه من حديث صفية (رضى الله عنها) دون قوله : « فَضَيِّقُوا مَجَارِيه بالجُوع » ، وحديث قال لعائشة (رضى الله عنها) : « دَاوِمى قَرْع باب الجنَّة »[4] الحديث لم أجد له أصلًا . انتهى ، وذكر الحديث الأوّل فى « الجامع الصغير » ولم يذكر فيه : « فَضَيِّقُوا مَجَارِيه بالجُوع » .

وأعظم المهلكات لابن آدم شَهْوة البطن ، فبهَا أُخْرِجَ آدم وحَوَّاء (عليهما السلام) مِنَ الجنَّة ، إذ نُهيا عن أكل الشَّجرة ، فغلبتهما شهوتهما حتى أكلا منها فبدت لهما سوآتهما ، والبطن فى الحقيقة ينبوع الشَّهَوات ، ومنبت الآفات ، إذ يتبعه شَهْوة الفَرْج ، وشدّة الشبق للمنكوحات ، ثم يتبع ذلك [شدّة] المطعم والمنكح ، وشدّة الرَّغبة فى المال والجاه ، ولو ذَلَّل العَبْد نفسه

---

(١) الحديث متفق عليه دون قوله : « فضيقوا مجاريه بالجوع » ، قال العراقى : هذه اللفظة مدرجة من كلام بعض الصوفية كما فى « كشف الخفا » (٢٥٦/١) ، فرواه البخارى (٦٤/٣) ، ومسلم ك : السلام ٢٣ - (٢١٧٤) ، وأبو داود (١٤٢/٧ - عون المعبود) ، والدارمى فى « السنن » (٢٣٠/٢) . انظر معناه وشرحه فى « البيان المبين » لابن تيمية بتحقيقى (ص ٥٧) .

(٢) رواه ابن عساكر (٢٣٢/١) ، وذكره القارى فى « الأسرار المرفوعة » (٤٦٦) ، ونقل عن العراقى أنه قال : لم أجد له أصلا ، وانظر : « الإتحاف » (١٩٤/٤) ، و « كشف الخفا » (٤٩٩/١) .

(٣) لا يصح كما سبق ، وانظر « كشف الخفا » (٤٩٩/١) .

(٤) فى (خ) : قرع الباب .

بالجوع ، وضَيِّق مَجارى الشيطان أذعنت لطاعة الله ، وقال رسول الله ﷺ : « جَاهِدُوا أَنْفُسكُم بالجُوع وَالعَطَش ، فَإِنَّ الأَجر فى ذَلكَ كَأَجْرِ المُجَاهِد فى سَبيل الله ، وَإِنهُ لَيسَ مِنْ عَمَلٍ أَحَبّ إِلَى الله تَعَالَى مِنَ الجُوع والعَطَش » ، وقال ﷺ : « سَيِّد الأَعْمَال الجُوع ، وذلّ النَّفْس لبَاس الصُّوف »[1] ، وقال ﷺ : « الفِكْر نِصْف العِبَادَة ، وقِلَّة الطَّعَام هِيَ العِبَادَة »[2] ، وقال ﷺ : « أَفْضَلكُم عندَ الله مَنْزِلَة أَطْوَلكُم جُوعاً وتفكراً ، وَأَبْغَضكُم إِلَى الله تَعَالَى كُلّ أَكول نَؤوم شَرُوب »[3] ، وقال (عليه الصلاة والسلام) : « إِنَّ الله يُبَاهى الملائكة بِمَنْ قَلّ طَعَامه فى الدُّنيا ، ويقول : انظُرُوا إِلَى عَبْدِى ابْتَلَيْتهُ بالطَّعَام والشَّرَاب فى الدُّنيا فتركهما ، اشْهَدُوا يا ملائكتى أَنَّ ما مِنْ أكلة يَدعها إِلَّا أَبْدَلْتَها دَرَجَاتٍ لهُ فى الجَنَّة »[4] ، وقال (عليه الصلاة والسلام) : « لاَ تُميتُوا القُلُوب بكَثْرة الطَّعَام والشَّراب ، فإِنَّ القَلْب كالزَّرْع يَمُوت إِذَا كثرَ عليهِ المَاء »[5] ، وقد أشار بعضهم إلى ذلك بقوله :

يميت الطَّعام القَلْب إِنْ زَاد كثرة	كزَرْع إِذَا المـاء قَدْ زَاد سُقْيـه
وَإِن لبيباً يرتضى نقص عَقْـله	يأكل لُقَيْمَات إِذَن ضَـلّ سَعْيـه

وقال ﷺ فى حديث : « فإِن اسْتَطَعْت أَن يَأْتِيكَ المَوْت وَبَطْنـكَ جَائع ، وكَبدكَ ظَمْآن تدرك بذلكَ شَرَف المَنَازل ، وتحلّ معَ النَّبِيِّين وتَفْرح بقدوم رُوحَك الملاَئكة ، ويُصَلِّى عليكَ الجَبَّار »[6] .

---

(١) ذكره العراقى فى « تخريج الإحياء » (٣/٩) ، والسبكى فى « الطبقات » (٤/١٦٣) وقالا : ليس له أصل .

(٢) أفاد العراقى أنه لا أصل له . انظر : « تخريج الإحياء » (٣/٦٩) .

(٣) ذكره الغزالى فى « الإحياء » (٣/٩٧) ، وقال العراقى والسبكى : لا أصل له . انظر : « الطبقات الكبرى » لتاج الدين السبكى (٤/١١١) .

(٤) لا يصح . انظر : « الإتحاف » (٧/٣٧٨) .

(٥) ذكره الغزالى فى « الإحياء » ، وقد قال العراقى فى « تخريج الإحياء » : « لم أقف له على أصل » (٣/٧٨) ، وانظر : « تذكرة الموضوعات » (١٥١) ، و« الإتحاف » (٧/٣٨٧) .

(٦) هذه الأحاديث وما يأتى بعدها ذكره المصنف من« إحياء علوم الدين » (ج ٣/٧٧ ، ٧٨) ، =

وقال عيسى (عليه السلام) : « أَجِيعُوا أَكْبادَكُم ، وَأَعْيوا أَجْسَامكُم لَعلّ قُلُوبكُم ترى رَبّكُم » .

وروى ذلك **طاووس الملائكة** عن نبينا (عليه الصلاة والسلام) ، وفى التوراة مكتوب : إِنَّ الله يكره الحبر السَّمين ، لأنَّ السّمن يدل على الغفلة وكثرة الأكل ، وذلك قبيح بالحبر ، وقد **قال الشافعى** : « ما أفلح سمين قطّ إلّا محمد بن الحسن[1] »[2] .

وقال بعض المفسرين فى قوله تعالى : ﴿ **وَمَا قَدَرُواْ اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُواْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ** ... ﴾ إلى [قوله تعالى] : ﴿ ... **يَلْعَبُونَ** ﴾[3] .

إن **مالك بن الصَّيف** من أحبار اليهود خاصم النَّبىّ ﷺ ، فقال [له] النَّبىّ ﷺ : « أنشدك الله الذى أَنزلَ التَّوراة علَى موسى ، أَمَا تَجد فى التَّوراة أَنَّ الله يبغض الحبر السَّمين ، وكان حبراً سَمِيناً ، فَغضبَ وقالَ : والله ما أنزلَ الله على بَشَرٍ مِنْ شىء »[4] ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **وَمَا قَدَرُواْ اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُواْ**

= وأكثرها لا يصح كما نبّه عليه العراقى فى « تخريج الإحياء » ، والزبيدى فى « شرح الإحياء » .

● وهذا الحديث عزاه العراقى إلى الخطيب فى « الزهد » ، وابن الجوزى فى « الموضوعات » ، والحارث بن أبى أسامة وقال ابن الجوزى : فيه حباب بن عبد الله أحد الكذابين ، وفيه من لا يعرف .

انظر : « تخريج الإحياء » (٧٨/٣) .

(١) **محمد بن الحسن الشيبانى** : أحد تلاميذ الإمام أبى حنيفة ، والفقيه المحدث الجليل ، روى عن مالك ، والثورى ، وكبار علماء الحديث فى عصره .

انظر : « شذرات الذهب » (٣٢١/١) ، و« طبقات الفقهاء » للشيرازى (١٣٥) ، و« الجواهر المضية » (١٢٢/٣) ، و« تاج التراجم » لابن قطلوبغا (٢٠٣) .

(٢) نقل الشيخ قاسم بن قطلوبغا الحنفى كلام الشافعى فى « تاج التراجم » (٢٠٣) .

(٣) سورة الأنعام ، الآية (٩١) .

(٤) جاءت هذه القصة من رواية سعيد بن جبير (رضى الله عنه) عند ابن جرير الطبرى ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم فى « تفسيره » ، وإسنادها مرسل .

انظر : « الدر المنثور » (ج ٥٤/٢) ، و« تفسير البغوى » (١١٤/٢) ، و« تفسير القرطبى » (ج ٢٦/٧) .

﴿مَا أَنزَلَ اللَّـهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى ...﴾ .

قال البغوى [(١)] : وفى القصة لما سمعَ اليهود من **مالك بن الصَّيف** تلك [(٢)] الكلمة عيبوا عليه ، وقالوا : أليس أنزل الله على موسى التوراة ؟ فلمَ قلت : ما أنزل الله على بشر من شيء ؟ فقال مالك بن الصِّيف : أغضبنى محمد فقلت ذلك ، فقالوا له : وأنت إذا غضبت تقول على الله غير الحق فنزعوه من الحبرية ، وجعلوا مكانه **كعب بن الأشرف** [(٣)] . انتهى .

وقال ابن مسعود (رضى الله عنه) : إِنَّ الله يُبغض القَارئَ السَّمين ، وفى الخبر : « إِنَّ الأَكل فَوق الشّبع يُورث البرص » [(٤)] .

وقال أبو سليمان [(٥)] : « لأَنْ أترك لُقْمَة من عَشاء أَحبّ إليَّ من قيام ليلة إلى الصَّباح » ، وقال أيضاً : « الجُوع عندَ الله فى خَزَانة لا يعطيه إلَّا لمن أَحبّ » .

وقال لقمان (عليه السلام) لابنه : « يا بنيّ إِذَا امتلأَتْ المَعِدَة نَامَتْ الفكْرَة ، وخرس لسان الحِكْمَة ، وقعدَتْ الأَعضَاء عَنِ العبَادَة » .

« وكان **سهل التسترى** [(٦)] يطوى نيفاً وعشرين يوماً لا يأكل ، وكان يكفيه

---

(١) ذكر ذلك فى « معالم التنزيل » (١١٥/٢) .

(٢) فى (خ) : هذه .

(٣) أحد زعماء اليهود ، وكان من أكثر المعادين لرسول الله ﷺ حتى أمر النبى ﷺ بقتله ، فقتله محمد بن مسلمة (رضى الله عنه) .

انظر : « الإصابة » (٢٨/٦ - ترجمة ٧٨٢٢) ، و« طبقات ابن سعد » (٤٤٣/٣) .

(٤) ذكره الغزالى فى « الإحياء » ، وقال العراقى : ليس له أصل .

انظر : « تخريج الإحياء » (٧٨/٣) .

فالخبر غير صحيح من ناحية السند ، ولا دليل طبى عليه إذ لو كان كذلك لبرص أكثر الناس الذين يشبعون .

(٥) هو : أبو سليمان الدارانى من أئمة الصوفية الذين كانوا على اعتقاد أهل السنة والجماعة ، واسمه : عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسى . انظر : « صفة الصفوة » (٢٢٣/٤ - رقم ٧٥٧) ، و« طبقات الأولياء » لابن الملقن (٣٨٦) .

(٦) سهل بن عبد الله التسترى من أئمة التصوف ، وكان على مذهب السلف (رحمه الله) =

لطعامه فى الليلة درهم ، وكان يعظم الجوع ، ويبالغ فيه حتى قال : لا يُرى فى القيامة عمل أفضل من ترك الطعام والاقتداء بالنَّبىّ ﷺ فى أكله »[1] ، وقال : لم ير الأكياس شيئاً أنفع من الجوع للدِّين والدنيا ، وقال : لا أعلم شيئاً أضرّ على هدم الآخرة من الأكل ، وقال : وضع العلم والحِكْمَة فى الجوع ، وجعل الجهل والمعصية فى الشِّبع ، وقال : ما عُبد الله بشىء أفضل من مُخَالفة الهَوَى فى ترك الحلال ، وقال فى الحديث : « ثُلث للطَّعَام ، فَمَنْ زَاد عليه فإنما يأكل من حَسَنَاته » ، وقال : « مَنْ جَاعَتْ نفسهُ انقطعَ عنهُ الوسواس » ، وقال : « اعْلَمُوا أَنَّ هذَا زمان لا يسأل أَحد فيه النَّجاة إلَّا بذَبْح نفسه وقَتْلهَا بالجُوع ، والصَّبر والجهد » ، وقال : « مَا مرّ علَى وجْهِ الأَرض أَحد شَربَ من هذَا الماء حتَّى رُوِىَ فَسَلِمَ مِنَ المعصية وإن شَكر الله ، فكيفَ الشِّبع من الطَّعَام ؟ » ، وقال فى « تنبيه المغترين » لسيدى **عبد الوهاب الشعرانى** (رحمه الله تعالى) ونصه[2] : « كانَ **الفضيل**[3] **بن عياض** يقول : إنَّ إبليس يقول إذا ظفرت من ابن آدم بإحدى ثلاث لا أطلب منه غيرها : إعجابه بنفسه ، واستكثاره عمله ، ونسيانه ذنوبه[4] » ، وفى رواية : « بإحدى أربع : بزيادة الشِّبع ، وهو أعظمها ، فإن الثلاثة تنشأ عنه » ، وسُئِلَ حكيم : بأى قيد أُقَيِّد به نفسى ؟ قال : قَيِّدها بالجُوع والعَطَش ، وذَلّلها بإخمال الذِّكر وترك العزّ ، وصَغِّرهَا بوضعها تحت

= انظر : « صفة الصفوة » (٤/٦٤) ، و« طبقات الأولياء » لابن الملقن (٢٣٢) ، و« حلية الأولياء » (١٠/١٩٠) .

(١) انظر : « الإحياء » (٣/٧٨) فقد نقل غالب هذا المبحث ، ومنه ينقل المصنف .

(٢) هكذا وردت بالأصل ، وهى كلمة غير واضحة .

(٣) فى (خ) : الفضل ، وهو خطأ ، والفضيل هو : ابن عياض بن مسعود أبو على التميمى ، ولد بسمرقند ، وكتب الحديث بالكوفة ، واستقر بمكة فأقام بها حتى مات وكان من أئمة الزهد والحديث . توفى سنة (١٨٧ هـ) قاله البخارى . انظر : « تهذيب التهذيب » (٨/٢٩٤) ، و« مشاهير علماء الأمصار » لابن حبان (١٤٩) ، و« الكاشف » للذهبى (٢/٣٣١) .

(٤) فى (خ) : ونسيانه ونومه .

أرجل أبناء الآخرة ، وانْج من آفاتها بدوَام سُوء الظَّن بها واصحبها بخلاف هواها ، وكان عبد الله بن زيد (رضى الله تعالى عنهما) يُقسم بالله إن الله ما صافى أحداً إلَّا بالجُوع ، وما مشوا على الماء إلَّا بالجُوع ، ولعلَّك تقول هذا الفَضْل العظيم للجوع من أين ؟ وما سببه ؟ وليس فيه إلَّا إيلام المعدة ومقاساة الأذى ، فإن كان كذلك فينبغى أن يعظم الفضل فى كل ما يتأذَّى به الإنسان من ضربه نفسه ، وقطعه لحمه ، وتناوله الأشياء الكريهة ، وما يجرى مجراه .

فاعلم : أن هذا أيضاً هي [1] قول من شَربَ دواء فانتفع به ، فَظنّ أنَّ منفعته بمرارة الدَّوَاء وكراهته فأَخذَ يتناول كلّ ما هو مكروه من المذَاق ، وهو غلط ، بل نفعه فى خاصيّة الدَّواء ، وليس لكونه مرًّا إنما [2] يقف على تلك الخاصية الأطباء ، فكذلك لا يقف على علَّة نفع الجوع إلَّا سماسرة العلماء ، وَمَنْ جَوَّع نفسه مصدّقاً بما جاء فى الشَّرع من مدح الجُوع انتفع به ، وإن لم يعرف وجه كونه نافعاً ، ولكنا نشرح لك ذلك إن أردت أن ترتقى من درجة الإيمان إلى درجة العلم ﴿ ... **يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ** ... ﴾ [3] إلى آخر كلام الغزالى .

وقوله فى الحديث : « ثُلُثٌ للطَّعام فَمَنْ زَاد فإنَّمَا يَأْكُل مِنْ حَسَناته » لم أر فى « تخريج أحاديث الإحياء » للعراقى التعرّض له .

وقولى : « إن غير الله لم يعبد به » إلى آخر البيت ، هذا أشرت به [4] إلى وجه رابع فى بيان وجه إضافته تعالى الصوم لنفسه دون غيره من العبادات ، فهو عطف على **قولى** : « إنه أمر خفى » ، والله أعلم .

---

(١) هكذا بالأصل ، والصواب : وهو .
(٢) فى (خ) : وإنما .
(٣) سورة المجادلة ، الآية (١١) .
(٤) فى (خ) : بهذا إشارة إلى .

فـائـدةٌ فى التَّحذير من كَـثْرةِ النَّـوْم والأَكل والكَلَام والـجمَاع :

قال جالينوس : احفظ نفسك من أربعة أشياء فإنها مضرّة للإنسان : النوم الكثير ، والأكل الكثير ، والجَمَاع الكثير ، والكلام الكثير ؛ لأنَّ النـوم الكثير يُصَفِّر اللَّون ، ويثقل[1] البدن ، ويميت القلب ، ويُكثر الدَّم ، ويُورث ورم العينين ، وينقص من العُمْر ، وكثرة الأكل تُورث نَفْخ البَطْن ، والبشم ، ومزق السُّرَّة ، وضَعْف القُوة ، وتخفف الدّماغ ، وتقل[2] البَصَر ، وتُورث الهِرَم ، وإضرار الجسم ، والفترة فى البدن ، وكثرة الجِمَاع تُورث يَبَسَ الدِّماغ ، وتُضعف[3] الكلام ، وتضرّ الرُّوحِ ، وكثرة الكلام تورث السّقط ، ونقصان الدِّماغ ، وغلبة السودا . انتهى .

وقد نظمت ذلك مقتصراً على بعض مضار بعضها **فقلت** :

أربعـة مضـرّة الإنسـان ضـرًّا كثيراً زائـد الطغيـان
كثرة نـوم إذ بهـا الصّـفرة فى لـون وموت القَلْب أيضاً فاعرف
وثقـل الجسـم ونقـص العُمْـر ووَرَم العَـينـين أيضـاً فادر
وعظـم الـدَّم وكـثرة الكلَام تُورث نقصان الدِّماغ يا إمـام
بكثرة الجَمَـاع ضرّ الرّوح مع يَبَسَ الدِّماغ ضعف لفظ يستمع
وكثرة الأكل بهـا ضعف القُوى ومـوت قَلْب وأُمور تُجتـوى[4]

وقولي : « تجتوى » تكره من قولك : اجتويت[5] الموضع إذا كرهت

---

(١) فى (خ) : ويقتـل .
(٢) فى (خ) : وتثقـل .
(٣) فى (خ) : وضعف .
(٤) فى (خ) : تحتوى .
(٥) **قال ابن الأثير** : (اجْتَوَوْا) : أى أصابهم الجوى ، وهو : المرض وداء الجوف إذا تطاول ، وذلك إذا لم يُوافقهم هواؤها واسْتَوخَمُوها ، ويقال : اجتـويتُ البلدَ إذا كرهْت المقام فيه ، وإنْ كُنتَ فى نعْمَـةٍ .

انظر : « النهاية فى غريب الحـديث » (٣١٨/١) ، و« فتح البارى » (١٠٩/١٢) .

المقام به ، ومنه حديث أنس (رضى الله عنه) : « أن رهطاً قدموا فاجتووا المدينة » [١] : أى استوخموها .

هـذا وقد نظمت ما أتى [٢] في ذم الكلام فى ما لا يعنيه : أى ما لا منفعة له فى دينه ولا دنياه على ما ذكره **الشيخ عبد الوهاب الشعرانى** ، **فقلت** :

إنَّ الكلام فى الذى لا يعنى محصـل لقسـوة والـوهـن
وعسـر أسـباب لرزق وأتـى فى ترك كلمـة من اللذ ثبتا
بأنه من صـوم يوم أفضـل وليـس للرّأى بهـذا مـدخـل

وتقدّم أن ترك لُقْمَة من العشَاء للشخص أفضل له من قيام ليلة [٣] [وقد] نظمت ذلك **فقلت** :

وبعضـهم فضـل ترك لُقْمَـة من العشَـا علَى قيـام ليـلة

أشرت به لكلام **الشيخ الشعرانى** ونص عبارته : وكان **مالك بن دينار** [٤] يقول : كلام الرَّجل فى ما لا يعنيه يقسى القَلب ، ويُوهن البدَن و يعسر أسباب الرِّزق .

وفيه أيضاً عن **يونس** [٥] **بن عبد اللّه** : ترك كلمة فى ما لا يعنيه أفضل من الصَّوم يوماً . **وقلت** : بدل البيتين الأخيرين **(ص)** :

---

(١) جزء من حديث صحيح متفق عليه فى النفر الذين قتلوا الرعاة فى عهد النبى ﷺ رواه البخارى ك : الحدود (٦٨٠٣) ، ومسلم ك : القسامة ب : حكم المحاربين (٩ - ١٦٧١) .

(٢) فى المطبوع : مأتى والتصحيح من (خ) .

(٣) فى (خ) : المساء .

(٤) **مالك بن دينار** : يُكنى أبا يحيى مولى لامرأة من بنى سلمة .

ابن لؤى : تابعى جليل محدث روى عن أنس بن مالك (رضى الله عنه) ، وعن جماعة من كبار التابعين كالحسن البصرى ، وابن سيرين ، وغيرهم ، توفى سنة (١٣١ هـ) . انظر : « صفة الصفوة » (٢٧٣/٣ - ت ٥٢٢) ، و« حلية الأولياء » (٣٥٧/٢) .

(٥) هو : أبوعبد الله ، يونس بن عبد الله ، مولى لعبد القيس روى عن أنس بن مالك (رضى الله عنه) ، وعن الحسن البصرى وأكثر عنه ، وكان أحد الزّهّاد العُبّاد الصالحين ، توفى سنة (١٣٩ هـ) . انظر : « صفة الصفوة ») (٣٠٨/٣ - ت ٥٣١) .

فَضْـلُ الصَّـلَاةِ والصِّيَام والصَّـدَقَـةِ :

وعسـر رزقه وترك الكلمـه ... منه يفـوق صـوم يوم فاعلمه
وقد حكى جَمَاعَة أَنَّ الصَّلَاه ... تُوصله نصف الطَّريق لا سواه
والصَّوم للباب وأما الصَّـدَقَه ... تدخله علـى الذى قَدْ خَلقـه

(ش) أشرت به إلى ما ذكره فى « بُستان الواعظين » [١] من قوله : قال بعض السَّلَف : الصَّلَاة تُوصل صاحبها إلى نصف الطَّريق ، والصِّيام يُوصله إلى باب المَلك والصَّدَقة تأخُذ بيدهِ فتدخله على المَلك . انتهى . (ص) :

ثم الثَّـواب لسرور الصَّـدَقه ... ليسَ الرِّياء يُبطله فحققه
كذا صـلَاتنا عـلَى النَّبـىّ ... تكرمة للمصـطفى المـرضى
والظَّاهر السَّلَام فى ذكا لصلَاه ... كما جرى فى حكمه بلا اشتباه

(ش) هـذه إشارة إلى مسألتين :

الأُولى : أن ثواب السرور الذى يحصل للمتصدّق عليه بسبب الصَّدقة لا يبطله الرِّياء بخلاف المتصدّق به ، فإن ثوابه يبطله الرِّياء ، وقد بين (عليه الصلاة والسلام) ثواب السّرور الذى يحصل للمتصدّق عليه بسبب الصَّدَقة بقوله : « إِنَّ من مُوجبَاتِ المَغْفرَة إدْخَال السّرُور علَى قَلْب المُؤْمن » [٢] ، وفى الحديث أيضاً : « أَحبّ الأَعمَال إلَى الله تعالَى بعد الفَرائض إدخَال السّرور [٣] علَى المُسْلم » [٤] (هب) عن ابن عباس (رضى الله عنهما) .

---

(١) « بسُتان الواعظين » لابن الجوزى .

(٢) رواه بهذا اللفظ الحارث فى « مسنده » (٩١٥ - بغية الباحث) ، والطبرانى فى « الكبير » (٨٣/٣ - رقم ٢٧٣١) ، وفى « معجمه الأوسط » « مجمع البحرين بزوائد المعجمين » (٢٢١/٥ - رقم ٢٩٥٥) ، والقضاعى فى « مسند الشهاب » (١١٣٩) ، وأسانيده لا تخلو من ضعف ، ومعناه ثابت بشواهد ، قاله الغمارى فى « تخريج مسند الشهاب » (٢٤٠/٢) ، وقد فصَّلتُ الكلام عليه فى تحقيقى لكتاب : « الأربعون فى اصطناع المعروف » للمنذرى (ص ٦٩) ط : دار الفضيلة .

(٣) فى (خ) : إدخال السرور على قلب المؤمن .

(٤) رواه الطبرانى فى « الكبير » (٤٥٣/١٢) ، وفى « الأوسط » ، كما فى « مجمع البحرين » للهيثمى (٢٢٠/٥)، وذكره فى « الترغيب » (٦٧/٢) وضعَّفه ، وثبت بمعناه ما رواه أنس (رضى =

الثانية : ثواب الصَّلاة على النَّبيّ ﷺ لا يبطله الرِّياء كما هو مصرح به في كتاب الشافعية التي منها « شرح الصَّلَاة على النَّبيّ ﷺ » للشيخ شهاب الدين البلقيني ، وفي كلام أئمتنا ما يفيده ، والظَّاهر أنَّ ثواب السَّلام كثواب الصلاة في ذلك كما أنَّ حُكمه من الوجوب والنَّدب كحُكم الصَّلَاة .

وفي الحديث الطَّاعم اللّذ يشكر   كصَائم على الصِّيام يصبر
وجاء رُبَّ طَاعم ذي شكر   خَير من الصَّائم أي ذي الصَّبر

(**ش**) أشرت به لما في الحديث [١] : « الطَّاعم الشَّاكر كالصَّائم الصَّابر » [٢] .

ولما في « الجامع الصغير » : « رُبَّ طَاعم شَاكر أَعْظَم أَجْراً من صَائم صَابر » [٣] **القُضاعي** [٤] عن أبي هريرة (رضي الله عنه) ولعل وجهه أن الشاكر مثن على الله تعالى ، وليسَ الصَّائم كذلك ، والله تعالى أكثر حبًّا للثناء عليه من غيره .

قال سهل بن عبد اللَّه التستري : « إذا عملَ العَبد حَسَنة وقال : أنتَ ياربِّ بفَضْلك استعملت ، وأنتَ أعنت ، وأنتَ سَهَّلت شكر الله له ذلك ،

= الله عنه) مرفوعاً بلفظ : « من لقي أخاه بما يحب الله ليُسره بذلك سره الله عز وجل » رواه الطبراني في « معجمه الصغير » ، وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٩٣/٨) ، وحسَّنه ، وكذا المنذري في « الترغيب » (٣٩٤/٣) .

(١) في (خ) : لما في حديث .

(٢) رواه الترمذي ك : صفة القيامة (٢٤٨٦) ، وابن ماجه ك : الصيام (١٧٦٤) ، وأحمد (٣٤٣/٤) ، والحاكم (١٣٦/٤) ، والدارمي (٩٥/٢) ، وابن حبان (٢٦٧/١ - الإحسان) ، وحسَّنه الترمذي ، وصححه البوصيري في « الزوائد » ، وكذا الحاكم والذهبي .

(٣) رواه القضاعي بلفظ : « الطاعم الشاكر له مثل أجرِ الصائم الصابر » رواه في « مسند الشهاب » (١٨٠/١ - رقم ٢٦٤) ، وفي سنده كلام ، وهو حسن بما قبله ، رواه ابن عبد البر في « جامع بيان العلم » (١٢١/١) عن ابن عمر (رضي الله عنهما) .

(٤) **القُضاعي** : هو محمد بن سلامة بن جعفر بن علي القاضي أبو عبد الله القُضاعي الفقيه قاضي مصر ، قال فيه السِّلفي : كان من الثقات الأثبات ، شافعي المذهب والاعتقاد .
انظر : « الطبقات الكبرى » لابن السبكي (١٥٠/٤) ، و « حسن المحاضرة » للسيوطي (١٨٨/١) .

وقال : ياعبدى أنتَ عَملْت ، وأنتَ أطَعْت ، وأنتَ تقَرَّبت ، وإذا نظر إلى نفسه وقال : أنا عملت ، وأنا أطعت ، وأنا تَقرّبت أعرض الله عنه ، وقال : أنا وفقت ، وأنا أعنت ، وأنا سَهَّلت ، وإذا عملَ سَيِّئة وقال : أنتَ قدّرت ، وأنتَ قَضَيت ، وأنت حَكَمْت غضب الله عليه وقال : بل أنتَ أسَأْت ، وأنتَ جهلت ، وأنت عصيت ، وإذا قال : أنا ظلمت ، وأنا أسأت ، وأنا جهلت أقبل عليه وقال : أنا قضيت ، وأنا قدّرت ، وقد غفرت ، وحلمت ، وقد سترت .

انتهى من « شرح[1] جلال الدين الكركى[2] على الحِكَم » :

وَقْتُ فَرْضِ الصِّيام :

وفرض الصِّيام ثانى الهجرة — فصَام تسعة نبىّ الرَّحمة
أربعة تسعاً وعشرين وما — زاد على ذا الكمال اتسما

(ش) أشرت بالبيت الأوّل لما ذكره **ابن عراق**[3] فى « تذكرته » والذى يفيده كلام **الدميرى**[4] فى « شرح المنهاج » : أنه إنما صام شهرين كاملين فقط ، وكلام **ابن حجر** يفيد أنه إنما صام كاملًا شهراً واحداً فقط ، ونص الثانى : وكأن الحِكْمَة فى أنه ﷺ لم يكمل رمضان إلّا سنة واحدة ، والبقيّة ناقصة زيادة تطمين نفوسهم على مساواة الناقصة للكاملة فيما قدمناه . انتهى .

---

(١) فى (خ) : شرح الشيخ .

(٢) **الكركى** : هو العلّامة أحمد بن خير الدين الكركى الملقب بجلال الدين المتوفى سنة (٩١٢ هـ) ، من مؤلفاته : « نور الحدق فى لبس الخرق » .

انظر : « إيضاح المكنون » (٦٨٩/٤) ، و« معجم المؤلفين » (١٣٦/١) .

(٣) **ابن عراق** : على بن محمد بن على بن عراق الشامى الحجازى الشافعى ، محدث فقيه ، ولد بساحل بيروت سنة (٩٠٧ هـ) ، وتوفى بالمدينة سنة (٩٦٣ هـ) ، من تصانيفه : « شرح على صحيح مسلم » ، و« تنزيه الشريعة المرفوعة » .

انظر : « شذرات الذهب » (٣٣٨/٨) ، و« كشف الظنون » (٤٩٤/١) .

(٤) **الدميرى** : هو العلامة الفقيه إلياس بن عبد الله الدميرى كمال الدين ، كان على مذهب الشافعى ، ومن تصانيفه : « النجم الوهاج فى شرح المنهاج » ، و« حقائق الأشياء » ، توفى سنة (٩٢٣ هـ) .
انظر : « معجم المؤلفين » (٣٩٣/١) .

وقد أشرت إلى هذا الأخير ، ولكلام **الدميرى** ، وعزو ما تقدّم لبعضهم **بقولى** :

كذا لبعضهم وقال من ضبط ... ما صام كاملًا سوى شَهْر فقط

وقلت أيضاً :

كذا لبعضهم وقال الهَيثمى ... ما صام كاملًا سوى شَهْراً علم

وللدّميرى أنه شَهْران ... وناقص سواه خذ بيان

(ش) **قلت** : ولم أقف على تعيين الزَّمن الذى صامه كاملًا عند مَنْ قال : إنه شهر ، وعند مَنْ قال : إنه شَهْران ، وعند مَنْ قال غير ذلك **(ص)** .

وامنع تَوالى النَّقص فى أَربعة ... كذا توالى ضدّه[1] فى خمسة

وقلت [أيضاً] بدله :

لا يتوالى النَّقص فى أكثر من ... ثلَاثة من الشّهُور يا فطن

كذا توالى خمسة مكملة ... هذا الصواب وسواه أبطله

(ش) أشرت به لما ذكره المحقق **عبد العزيز الوفائى**[2] فى كتابه « نزهة النظر » فى العمل بالشمس والقمر ونصه : « اعلم أن ممَّا علم بالاطلاع على أُصول حركات القَمَر فى أفْلَاكه أنه لا يجوز أن يتوالى أكثر من ثلاثة أشهر نواقص ، ولا أكثر من أربعة كوامل » . انتهى .

والشيخ عبد العزيز المذكور ممَّن أجمع من بعده من علماء الفَلَك على تحقيقه واعتماد قوله : فلا يُعَوَّل على قول من قال : إنه لا يتوالى النّقص فى أكثر من ثلاثة ، كما لا يتوالى الكمال فى أكثر منها ، ولا على قول من قال : لا يتوالى النّقص فى أكثر من أربعة ، كما لا يتوالى الكمال فى أكثر منها :

---

(١) فى (خ) : وضدها فى خمسة .

(٢) **الوفائى** : هو العالم الفلكى عبد العزيز بن محمد بن محمد القاهرى الشافعى الوفائى ، من آثاره « نظم العقود فى عمل الساعات على العمود » و« تقويم الكواكب السيارة والبروج » ، توفى سنة (٨٧٦ هـ) . انظر : « الضوء اللامع » (٢٣٢/٤) ، و« كشف الظنون » (١٥٠٢) .

وفيـه جا صُومُوا تصحّوا والمزيد على الذى يَشْبع ضَـرّه شَديد

لكن أَضـرّ منهُ إدخَال الطَّعام على طَعَام قبـل هَضْم للأَمام

إن كان بعـد الشُّرب أما قبـل فيتقـى فيـه المزيـد الأوّل

والمَعـدَة اعـلم بَيْت كُلّ دَاء وإلا حتمـاً هـو الرّأس للدَّوَاء

وليسَ ذا مـن كَلِم الرَّسُـول نَبيِّنـا بل هـو إسـرائيلى

وجـاء أيضاً سَـافرُوا تصحّوا وتـغنمـوا وأمـره متضـح

وفيـه أيضاً جـاءَ أنَّ السَّـفَرا من العَـذَاب قطعـة فاعتـبرا

ولا تنـافى إذ مـرارة الـدَّوَا لا تمنـع النَّفـع بـه كالاكتـوا

وفى الحديث : « إنَّ أَصحَابَ الصِّيام فى ظِلّ عَرْش الله فى يَوْم القِيَام »

وقـارئ مـن أَوّل الأنعَـام لتكسبونَ تلو فعـل سـامى

أى الغداة ناله من غير شـك كعمـل لأربعـين ألف ملك

وشُـربه مِـنْ كَوْثَر وغُسْـله بالسَّلْسَـبيل ، وكذاك ظـلّه

بظـلّ عَرْش ودخُـول الجَنَّـة بلَا حسَـاب ومَـزيد المنـة

(**ش**) أشرت بقولى : « وفيه جا صوموا » لحديث ذكره فى « الجامع » فقال : « صُومُوا تَصحُّوا » [1] ابن السنى ، وأبو نعيم فى « الطِّبّ عن أبى هريرة (رضى الله عنه) ، وفيه أيضاً : [سَافرُوا تَصحُّوا وتغنمُوا] [2] (**هق**) عن ابن عباس (رضى الله عنهما) ، **والشيرازى** [3] فى « الألقاب » ، **وأبو نعيم** « الطِّبّ » [4] ، **والقضاعى** عن ابن عمر (رضى الله عنهما) . انتهى ، وسنشير إلى هذا بعده .

---

(١) ذكره العراقى فى « تخريج الإحياء » (٧٦/٣) ، وعزاه إلى الطبرانى فى « الأوسط » ، وأبو نعيم فى « الطب النبوى » وقال : بسند ضعيف ، وانظر : « كشف الخفا » (٤٢/٢) ، و« الدرر المنتثرة » للزركشى (٢٧٤) ، و« الترغيب » للمنذرى (٨٣/٢) .

(٢) رواه القضاعى فى « مسند الشهاب » (٣٦٤/٢) ، والخطيب فى « تاريخ بغداد » (٣٨٧/١٠) ، والطبرانى فى « الأوسط » ، كما فى « مجمع الزوائد » (٢١١/٣) ، وضعفه ، وقال ابن أبى حاتم فى « العلل » (٣٠٦/٢) : حديث منكر .

(٣) حُذِفَتْ هذه الكلمة من المطبوعة وأثبتناها من (خ) . (٤) فى (خ) : الطلب ، وهو خطأ .

وقولي : « والمزيد ... إلخ » : أى أن ما يزيد على الشّبع فيه الضَّرر الشديد ، لكن أضرّ منه إدخال طعام على طعام قبل هَضْم الأوّل كما أشرت [له] **بقولي** : « لكن أضرّ » إلى **قولي** : « للأَمام » ، وهو بفتح الهمزة : أى المتقدّم ، وهذا إذا كان إدخال الثانى بعد الشّرب ، وأما قبله فلا إلا أن يكون مزيداً على الشِّبع ، فيحصل به الضّرر المتقدّم فى الزِّيادة على الشّبع وهذا بين من **قولي** : « إن كانَ بعد الشُّرب ... إلخ » ، وقد أشار **ابن العماد** إلى هذا بقوله :

* وقبل شُرب فَكُل ما شئت مُنبسطاً *

أى بأن يكون زائداً على الشّبع بدليل ما تقدّم .

والحاصل : أن المزيد على الشبع ضرّه شديد ، وأما على غيره ، فإن كان قبل هَضْم الأوّل فهو أشدّ ضرراً إن كان بعدَ الشُّرب ، وأما إن كان قبله ، فلا يكون كذلك .

وقولي : « وَالمَعدة اعلم بَيْت كل دَاء ... إلخ » : أشرت به لما ورد من : « أَنَّ المَعدَة بيت الدَّاء ، والحمية رأس الدَّواء » [١] ، ولكنه من الإسرائيليات ، وليس هو من كلام نبيِّنا (عليه الصلاة والسلام) كما زعمه بعضهم وتبعه العارف بالله سيدى **أحمد زروق** فى « شرحه » ، ونحوه للشيخ **محمد التتائى** فى « شرح الرسالة » **لابن أبى زيد القيروانى** [٢] ونصه : وفى الحديث : « المعدَة

---

(١) ذكر العلماء أن هذه الحكمة من كلام بعض الأطباء العرب ، وهو الحارث بن كلدة ، وذكره ابن أبى الدنيا عن وهب بن منبه قال : « اجتمعت الأطباء على أن رأس الطِّبّ الحمية » .

انظر : « الأسرار المرفوعة » لعلى القارى (٤٤٢) ، و« المقاصد الحسنة » للسخاوى (رقم ١٠٣٥) ، و« التذكرة » للزركشى (١٤٥) .

(٢) **القيروانى** : عبد الله بن أبى زيد القيروانى من أئمة المالكية الفقهاء ، ولد بالقيروان ، من تصانيفه : « النوادر والزيادات » فى نحو مائة جزء ، و« الرسالة فى مذهب مالك » ، توفى سنة (٣٨٦ هـ) . انظر : « شذرات الذهب » (١٣١/٣) ، و« طبقات الفقهاء » للشيرازى (١٣٥) ، و« تذكرة الحفاظ » للذهبى (٢١١/٣) .

بَيْت الدَّاء ، والحمية رأس الدَّوَاء » ، وأصل كل داء البردة ، **والحمية** : خُلو البَطْن من الطَّعام ، **والبردة** : إدخال الطعام على الطعام قبل هضم الأوّل .

ومن طبّ الأطبّا قول الإمام مالك (رضى الله عنه) : « أنْ تَرفَع يدكَ مِنَ الطَّعام وأنتَ تَشْتهيه » . انتهى من باب آداب الأكل والشرب .

قلت : ويأتى فى التتمة ما يفيد اتفاق الأطبَّاء على هذا ، وقال فى باب التَّعَالج ما نصه : وفى « الصحيح » أنه ﷺ قال : « إنَّ الله لم يُنزل دَاء إلَّا أَنْزَل لهُ شِفَاء » [1] ، وأفضل ما يَتعَالَج [2] به الحمية [3] ، وقد ذكر رجل عند الرشيد حين سأله نصرانى : هل تَرك نَبيّكُم شيئاً من علْم الأَبْدَان ، وهل فى كتابكم شىء منه ؟

فقال الرجل : فى كتابنا شطر آية : ﴿ ... **وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُواْ** ... ﴾ [4] ، ومن كلام نبيِّنا [5] كلمات : المَعدَة بَيْت الدَّاء ، والحمية رأس الدَّوَاء ، وأصل كل دَاء البردة ، فقال النصرانى : ما تَركَ كتابكم ، ولا نبيّكُم لجالينوس طبًّا . انتهى .

وقولى : وجاء سافروا تصحوا ... إلخ » أشرت به تحديثاً [6] فى « الجامع الصغير » « سافروا ... إلخ » ، وقد تقدّم ، وهو بظاهره يخالف قوله فى الحديث

---

(١) الحديث بهذا اللفظ ، رواه أحمد فى « مسنده » (٣٧١/٥) ، والطيالسى « منحة المعبود » (١٧٦٤) ، والطبرانى (١٤٨/١) ، وابن أبى شيبة (٣٦٠/٧) ، والبيهقى ك : الضحايا (٣٤٥/٩) ، وهو عند البخارى بلفظ : « ما أنزل الله داءً إلا أنزل له شِفَاءً » ك : الطب (٥٦٧٨) ، وعند أحمد (٣٧٧/١) ، وابن أبى شيبة (٣٥٩/٧) ، وابن ماجه ك : الطب (٣٤٣٨) .

(٢) فى (خ) : يعالج .

(٣) **الحمية** : الإقلال من الطعام ونحوه مما يضر البدن . « المعجم الوسيط » (٢٠٨/١) .

(٤) سورة الأعراف ، الآية (٣١) .

(٥) لم يقله النبى ﷺ كما بينا فيما سبق .

(٦) فى المطبوعة تحديث ، والتصحيح من (خ) .

الآخر : « السَّفَر قطْعَة من العَذَاب »[1]، وأشار ابن بطال[2] إلى ذلك ، ولدفعه بقوله : ولا تعارض بين[3] هذا الحديث ، وحديث ابن عمر (رضى الله عنهما) مرفوعاً : « سافِرُوا تَصِحّوا » ، فإنه لا يلزم من الصِّحَّة بالسَّفر لما فيه من الرِّياضة أن لا يكون قطعة من العذاب لما فيه من المشقّة والضَّرر ، فصار كالدَّواء المُرّ المحصل للصِّحة ، فإنه محصل لها وإن كان فى تناوله الكراهة .

قال العلقمى : لطيفة : سُئِلَ إمام الحرمين[4] حين جلس موضع أبيه : لِمَ كانَ السفر قطْعَة من العَذَاب ؟ فقال على الفور[5] : لأن فيه فراق الأحباب . انتهى .

وقد ذكر عن **ابن الجوزى** : أنه حين فارق زوجته المسمّاة بنسيم الصّبا ، وكان له تعلّق بها فجاءت يوماً مع امرأتين لحضور[6] مجلس وعظَه وجعلت المرأتين فى مقابلة الشيخ ، وجلست خلفهما ، فلما شَعرَ الشيخ بها أخذ يقول شعراً :

أيا جبلى نعمان بالله خليا ... نسيم الصِّبا يَصبو لى نسيمها

فإن الصِّبا ريح إذا ما تنسّمت ... على نفس مَهْموم تجلّت همومها

أجد بردها أو تشف منّى حرارة ... على كبد لم يبق إلَّا رسومها

---

(١) رواه البخارى ك : العمرة (١٧١٠) ، ومسلم ك : الإمارة (١٩٢٧) ، وأحمد (٢/٢٣٦) ، ومالك فى « الموطأ » (٩٨٠) ، والدارمى فى « السنن » (٢/٢٨٦) ، وابن ماجه ك : المناسك (٢٨٨٢) .

(٢) **ابن بطال** : على بن خلف بن عبد الملك بن بطال المالكى ، إمام محدث ، وعالم جليل ، له « شرح على الجامع الصحيح » للبخارى ، توفى سنة (٤٤٩ هـ) . انظر : « الديباج المذهب » (٢/١٠٥) ، و« كشف الظنون » (١/٢١١٩) ، و« شجرة النور » (١/١٥٥) .

(٣) فى (خ) : بين الحديثين .

(٤) هو العلَّامة الأُصولى الفقيه : أبو محمد الجوينى عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن حَيُّوية الطائى ، قال فيه الإمام أبو عثمان الصابونى : لو كان الشيخ أبو محمد فى بنى إسرائيل لنقلت شمائله . انظر : « سير أعلام النبلاء » (١١/١٣٧) ، و« شذرات الذهب » (٣/٣٦٠) .

(٥) فى (خ) : فأجاب على الفور .

(٦) فى (خ) : يحضرن .

فـائـدةٌ ، فى لَعْـق القَصْـعَة :

سُئلَ **ابن حجر** عن حديث نبيشة [1] : « مَنْ أَكلَ من قَصْعَة ، ثُمَّ لَحَسهَا تقول لهُ القَصْعَة : أَعْتقَكَ الله من النَّار كما أعتقْتَنى من الشَّيطان » [2] ؟

فأجاب : أخرجه أحمد فى « مسنده » من رواية [أُمّ] عاصم عن رجل من هُذيل يقال له : نُبيشة عن النَّبىّ ﷺ . انتهى .

تـتمــة :

روى أنه اجتمـع عنـد **كسرى** أربعـة من الحُكَمَاء : عراقى ، وروم ، وهندى ، وسودانى ، فقال لهم : يَصفْ لى كُلّ واحد الدَّوَاء الذى لا داء معه .

فقال العراقى : أنْ تَشْرب كلّ يوم على الرِّيق ثلاث جُرعَات من الماء السخن .

وقال الرومى : أنْ تَسفْ كلّ يوم قليلًا من حَبّ الرشاد .

وقال الهندى : أنْ تأكُل كل يوم ثلاث حَبَّات أهليلج أسود ، والسودانى ساكت ، وكان أحذقهُم وأصغرهم سنًّا .

فقال له الملك : لِمَ لا تتكلَّم ؟

فقال لـه : يا مولانا الماء السَّاخن يُذيب شَحْم الكلَا ، ويُرخى المعدَة ، وحَبّ الرّشاد يهيج الصَّفرا ، والأهليلج [3] الأسود يهيج السوداء [4] ، وقال :

---

(١) **نبيشــة** : هو ابن عَمْرو بن عوف ، وقيل : ابن عبد الله بن عمرو الهُذَلىّ ، صحابى ، روى عن النبىّ ﷺ أربعة أحاديث . انظر : « الإصابة » (٣٣١/٦) ، و « تهذيب التهذيب » (٤١٧/١٠) ، « التمهيد » لابن عبد البر (٢١٦/٢) .

(٢) رواه أحمـد (٧٦/٥) ، والترمذى ك : الأطعمة (١٨٠٤) ، وابن ماجه ك : الأطعمة (٣٢٧١) ، والدارمى (٧٦/٢) ، والبغوى فى « شرح السنة » رقم (٢٨٧٧) ، وضعفه الترمذى والبغوى ، ولكن معناه ثابت ، ففى « صحيح مسلم » ك : الأشربة (٢٠٣٤) عن أنس (رضى الله عنه) : « أن النَّبىّ ﷺ أمر بإسلاتِ القَصْعَة » .

(٣) **الأهليلج** : شجر ينبت فى الهنـد والصين ثمره على هيئة حبّ الصنوبر الكبار .
انظر : « المعجم الوسيط » (٣٢/١) .

(٤) **السَّـوْداء** : مؤنث الأسود ، وهـو أحـد الأخـلاط الأربعة التى زعم الأقدمون أن الجسم =

الدَّوَاء الذى لا داء معه أن لا تأكل إلَّا بعد جُوع ، فإذا أكلت فارفَع يدكَ قبل الشِّبَع فإنك لا تشكُو علَّة إلَّا علَّة الموت ، فصدّقوه كلهم ، ثم قال : وإلَّا حتماً فى وقت الصِّحة خَير من شُرب الأدوية فى وقت المرض . انتهى ، وقد نظمت ذلك **فقلت** :

إنَّ كسرى سُلطَان فارس حقًّا ... جَمعَ العَالمين بالطِّبّ يوما
سَائلًا منهم عِلى الذيبقى ... معه صحَّة لجسمه دوما
فلبعض بسفة كلّ يوم ... من رشاد بها يدُوم سَليما
ولبعض بحسو جُرعات ماء ... أى سخين ثلاثاً افعل تدوما
ولبعض بسف أهليلج ذى ... اسوداد ثلاثة يا فهيما
ولبعض بأكله حال جُوع ... وسوى ذا يكون أكلًا ذَميما
مع رفع منه وهو يشْتهيه ... ورأى الكلّ ذا المقَال سَليما
لا سواه إذ شَربَ ماء سخين ... مؤلم شَحْم كليتَيه ذَميما
ورشاد[1] يشير صفرا واهليلج سودا فكن بهذا عليما

وقولى : « وفى الحديث أن أصحاب الصِّيام ... إلخ » : أشرت به لقول **مغيث بن سمى**[2] : إذا كانَ يوم القيامة تكون الشَّمس فوق رؤوس النَّاس على أذْرع ، وتُفتَح أَبواب جهنَّم ، فيهبّ عليهم ريحها وسمُومهَا حتى تجرى الأرض من عَرقهم أنْتَن من الجيف ، فالصَّائمون فى ظلّ العَرْش » أخرجه **ابن أبى الدنيا**[3] ، ومغيث هذا من كبار التابعين ، ومثل هذا لا يقال من قِبَل الرأى .

= مُهَيَّأً عليها ، ومنها صلاحه وفساده ، وهى : الصفراء ، والدّم ، والبلغم ، والسوداء .
انظر : « المعجم الوسيط » (٤٧٩/١) .

(١) فى (خ) : ورشيد .

(٢) **مغيث** : ذكره أبو نعيم فقال : الواعظ المُحذر ، المُذكر المبشر ، وهو تابعى زاهد من العبَّاد ، وقد أسند عن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضى الله عنهما) ، وعبد الله بن عُمر (رضى الله عنهما) وغيرهم ، وذُكِرَ فى بعض الروايات أنه كان قاضياً لعبد الله بن الزبير (رضى الله عنهما) .
انظر : « الحلية » (٦٩/٦) .

(٣) **ابن أبى الدنيا** : عبد الله بن محمد بن عبيد البغدادى أحد الحفَّاظ المحدثين المكثرين من =

وفى « البخارى » عن أبى هريرة (رضى الله عنه) عن النَّبى ﷺ قال : « سَبْعَة يُظِلُّهُم الله تَحْت ظِلِّ عَرْشِهِ يَوْم لَا ظِلّ إِلَّا ظِلّه : الإِمَام العَادل ، وَشَاب نَشَأ فى عِبَادَة الله ــ عَزَّ وَجَلَّ ــ وَرَجُل قَلْبهُ مُعَلَّقٌ بالمَسَاجد ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فى الله : اجتمَعَا عليه وتَفَرَّقَا عليه ، وَرَجُلٌ طَلَبتهُ امرأة ذَاتَ مَنْصب وجَمَال فقال : إِنِّى أَخَاف الله ــ عَزَّ وَجَلَّ ــ ، وَرَجُل تَصَدَّق وَأَخْفى صَدَقته حتَّى لَا تَعْلَم شِمَاله ما تنفق يَمينه ، وَرَجُل ذَكَرَ الله تَعَالَى خَالياً فَفَاضَتْ عَيْنَاه »[1] ، وله شواهد مرفوعة ... إلخ ما ذكره السيوطى فى رسالته المسمَّاة : « ببزوغ الهلال فى الخصال الموجبة للظلال » ، وذكر فيها : أى فى الرسالة المذكورة أيضاً : أن ممَّن يظل تحت العرش : من يجوع فى الدنيا قال (عليه الصلاة والسلام) : « أَهْل[2] الجُوع فى الدُّنْيَا هُم الَّذينَ يقبض الله أَروَاحهم ، وَهُم الَّذينَ إِذَا غَابُوا لم يفتقدوا ، وإِذَا شهدُوا لم يعرفوا أَخْفيَاء فى الدُّنيا يُعرفُونَ فى السَّماء إِذَا رآهم الجَاهل ظَنّ بهم سقماً ، وما بهم سقم إِلَّا الخَوْف من الله ، يَسْتظلُّونَ يَوم القيَامة بظلّ العَرْش يَوْم لَا ظِلّ إِلَّا ظِلّه »[3] . انتهى .

وقلت فيه تصريح : بأن ممَّن يتولى الله قبض روحه مَنْ يَجوع فى الدنيا على الوجه المذكور ، ويضاف له الغريق ، ومن يقرأ آية الكرسى عقب كل صلاة فريضة ، وقد أشرت لجميع ذلك **بقولى** : ومن يجوع[4] فى حياته إلى آخر ما يأتى ، وقد نظمت من يتولى الله قبض روحه من غير تعرض لظل الجائع بظل العرش **فقلت** :

= التصانيف الحديثية التى تدل على سعة علمه وحفظه ، توفى سنة (٢٨١ هـ) . انظر : « تاريخ بغداد » (٨٩/١٠) ، و« تذكرة الحفَّاظ » (٢٢٤/٢) ، و« تهذيب التهذيب » (١٢/٦ ، ١٣) .

(١) رواه البخارى ك : الجماعة والإمامة (٦٢٩) ، ومسلم ك : الزكاة ب : إخفاء الصدقة (١٠٣١) .

(٢) فى (خ) : أصحاب .

(٣) رواه الديلمى فى « مسند الفردوس » كما فى « كنز العمال » (٢٣٣/٣ - رقم ٦٣٠٧) عن أبى هريرة (رضى الله عنه) .

(٤) فى (خ) : يجع ، وهو خطأ .

ثُمَّ الذى يَقبض روح مَنْ قَرا | بعد صَلَاة فرضة بلَا مرا
آية الكرسى هو الله المَجيد | كذا غَريق البَحر أيضاً يا رشيد
ومَنْ يَجُوع فى حَياته على | ما جاء نصًّا فى حديث معتلى
وهو الذى إذا[1] غَاب لا يفتقد | ولم يكن يعرف حين يشهد
يظنّ مَنْ رآه أَنهُ سقيم | وما به دَابل مَخَافَة الرَّحيم

وقولى : « وقارئ من أوّل الأَنعام ... إلخ » : أشرت به إلى ما للسيوطى أيضاً فى رسالته المذكورة : من أن مِمَّن يظل بظلّ العَرْش مَنْ يقرأ ثلاث آيات من سورة الأَنعام عقب صلَاة الغداة ، فقال عن ابن عباس (رضى الله عنهما) قال : « مَنْ قَرأ إذَ صَلَّى الغدَاة ثلاث آياتٍ من أَوّل سورة الأنعام ... إلى ﴿ ... **وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ** ﴾[2] أَنزلَ الله أربعين أَلف مَلَك يكتبونَ لهُ مثل أَعمالهم ، وأَنزلَ الله لهُ مَلكاً مِنْ فَوق سَبْع سَمَوات ، ومعهُ مِرْزَبّة : أى بكسر الميم ، وتخفيف الباء من حَديد ، فإِنْ أَوحَى الشَّيطان فى قَلْبهِ شيئاً ضَرَبهُ ضَربَة حتى يكونَ بينه وبينه سَبعُونَ أَلف حجَاب ، وإذَا كانَ يَوم القيامة ، يقول الله تعالى : أَنا رَبُّك وأَنتَ عَبدى امض فى ظلِّى وَاشْرَب من الكَوْثَر واغْتَسل من السَّلْسَبيل ، وادْخُل الجَنَّة بغَير حسَاب ولَا عَذَاب »[3] حديث غريب فى إسناده **إبراهيم بن إسحاق الضبى**[4] ، قال الدارقطنى : متروك ، وقال الأَزدى : زائغ ، لكن وثقه **ابن حبَّان**[5] ، وله شواهد عن ابن مسعود (رضى الله عنه) مرفوعة .

قلت : وقوله : « أَنزلَ الله أَربعين ألف مَلَك يكتبونَ لهُ مثل أَعْمَالهم »

---

(١) فى (خ) : إن . (٢) سورة الأنعام ، الآية (٣) .
(٣) حديث ضعيف ، وقد سبق الكلام عليه .
(٤) راجع ترجمته فى : « الميزان » للذهبى (١٨/١) .
(٥) لا ينفعه توثيق ابن حبان - رحمه الله - وذلك لأنه متساهل فى التوثيق نبّه على هذا الحافظ ابن حجر فى مقدمة (لسان الميزان) .

ليس فيه دلالة على أنَّ لهم ثواباً فى أعمالهم القرب إذ كتب مثل أعمالهم لا يفيد ذلك فلا ينافى أن الملائكة لا يثابون على القرب .

وفى « الجامع الكبير » : « مَنْ صَلَّى الفَجْر فى جَمَاعَة ، وقَعدَ من صَلَاته ، وقَرأ ثلاث آيات من أوّل سورة الأَنعام وكَّلَ الله به سَبْعين أَلف مَلَك يُسَبِّحُونَ الله ويَسْتغفرُونَ لهُ إِلى يَوم القيامة » رواه **الديلمى**[1] عن ابن مسعود (رضى الله عنه) وذكر فيها : أى الرسالة المذكورة أيضاً : أن ممَّن يظلّ بظل العَرْش شيعة سيدنا علىّ (رضى الله عنه) ومحبُّوه ، فقد قال (عليه الصلاة والسلام) : « السَّابقُونَ إِلَى ظِلِّ العَرْش يَوم القيَامة طُوبى لهم . قلت[2] : يا رسول الله وَمَنْ هُم ؟ قيلَ : شِيعَتكَ يا علىّ ومحبُّوك » ، وفيه ضعف قوى ، ثم إنه كما يحصل الظِّل بظلّ العَرْش يحصل بظل الصَّدقة ، ففى الحديث : « إِنَّ الصَّدقَة لتُطْفِئ عن أَهلهَا حرّ القُبور ، وإِنَّمَا يُظلّ المؤْمن بظلّ صَدقَته »[3] **(طب)** عن عقبة بن عامر (رضى الله عنه) . انتهى .

قلت : انظر هذا مع قوله[4] فى حديث البخارى: « إِنَّ مِمَّن يُظَلّ بظلّ العَرْش مَنْ تَصَدَّق بالصَّدقَة الخَفيَّة حتَّى لَا تَعلَم شِمَالُهُ ما تُنْفِقُ يمينه ... » إلخ[5] .

وقد يجاب : بأن مَنْ يُظلّ بظلّ العرش هو المُتَصدّق بالصَّدقَة الخَفيّة على الوجه السابق فى الحديث ، وأما مَنْ تصدّق بصَدَقَة على الوجه المذكور فى الحديث فيُظَلّ بظِلّ صدقته ، وهذا ظاهر فيمن تصدّق بإحداهما فقط .

---

(١) لم أجده فى المطبوع من « فردوس الأخيار » للديلمى ، وقد عزاه إليه السيوطى فى « الدر المنثور » (ج ٣/ ٤) .

(٢) فى (خ) : قيل .

(٣) رواه الطبرانى فى « معجمه الكبير » (٢٨٦/١٧) ، وابن عدى فى « الكامل » (٦٢٩/٢) ، وذكره الهيثمى فى « مجمع الزوائد » (١١٠/٣) ، والمنذرى فى « الترغيب » (١٦/٢) ، وأعلّه بعبد الله بن لهيعة ، وهو ضعيف عند الأكثرين .

(٤) فى (خ) : مع جعله .

(٥) أخرجه البخارى رقم (٦٦٠) ، (١٤٢٣) .

وأما من حصلا منه فهل يُظلّ بظلّ العرش فى آن واحد ، وحينئذ فيقال : ما فائدة ظلّه بصدقته مع ظلّه بظلّ العرش ؟

وقد يجاب : بأن فائدته إظهار شرفه بين أهل الموقف ، وبأن ظِلّه بالظلّين أشدّ من ظلّه بأحدهما ، وفيه بُعْد ؛ إذ مع ظلّ العَرْش لا يظهر لظلّ صَدقته زيادة فى الاستظلال ، أو يقال : بأنه يُظلّ بظلّ العرش فى موطن ، ويُظَلّ بظلّ صدقته فى آخر أو أن من يُظَلّ بظلّ صدقته إنما هو من لم يُظَلّ بظلّ العرش ، وعليه فيخص قوله فى الحديث : « وَإِنَّمَا يُظَلّ المؤْمن بظلّ صَدَقَته بمَنْ لم يُظَلّ بظلّ العرش » ، وهذا يرجع للوجه الأوّل فحرر ذلك **(ص)** :

فَضْـلُ لَيْـلَةِ القَـدْر :

وليـلةُ القَـدْر بعَشْـر آخِـر	من رمضَـان غالباً يا ناصـرى

وقلتُ بدلـه :

وليـلةُ القَـدْرِ تجى فى العَشْـر	آخِـر شَـهْر الصَّـوم كثيراً فَادْرِ
والخُلْف فى مجيئهَا بالعَـام	أو بخُصوص رَمضَـان السَّـامى
وانتقلت وهى من أَلف شَـهْر	خَـير كما جـاء بنصّ الـذِّكر
أَىّ عَمـل البرّ بهَـا أَفْضَـلُ من	عَمَـلِهِ فى أَلف شَـهْر يا فطن
وَهِىَ ثلَاث وَثَمَـانُونَ سَـنَة	وثلث عَـام فَادْرِهِ وأَتْقِنْـهُ
أىّ أَلْف شَهْر لَيْس فيها يُوجد[1]	لَيْـلَة قَـدْر هكذا يُعْتقَـد
وَهَلْ إِذَا صَـادفهَـا وَقَد عِـلَمْ	سـيمتهـا أَوْ أَن لِهَـذا مَـا عَـلِمْ
والثَّانِ أَوْلى ثُمَّ حالُ مَنْ عَلِمْ	أَكمل من حـال سـواه يا فَهِمْ
ثُمَّ بهَـا مالح مـاء يَعْـذَبُ	وَبَعْـده لأَصْـلِهِ يُنْقلب
والشَّمْس لا تطلع يومها العَظِيم	من بين قَرْنين لشيطان رَجيم

(ش) : أى أنه يكثر مجىء ليلَة القَدْر فى العشر الأخير من رمضان ، ويقلّ مجيئها فيما عداه ، وهل المراد بما عداه بقيّة رمضَان فقط ، أو هو وباقى

---

(١) فى (خ) : يوجده .

العام خلاف ، وقد جاء : « أَنهُ ﷺ اعْتكَف العَشْر الأُوَل[1] منهُ ، فأَتاه جبريل (عليه السلام) **فقال له** : إِنَّ الَّذِى تُريد أَو تطلُب أَمَامَك فاعْتكف العَشر الأَوسط ، فأَتاه جبريل (عليه السلام) **فقال** : إِنَّ الذى تَطْلُب أَمامَك ، فاعتكف العَشر الأَخير »[2] ، ثم إنها لا تكون ليلة معيّنة دائماً كليلة سبع وعشرين من رمضان ؛ بل تكون فى عام كذلك ، وفى عام آخر ليلة غيرها ، وما ذكره الشيخ **محيى الدين بن العربى**[3] من الضابط الآتى عنه إنما يأتى على أنها فى رمضان ، وأنها لا تنتقل ، وأنها تختلف باختلاف مبدأ رمضان ، وما يأتى عن البخارى وغيره يدل على خلاف ذلك ، وأنها تنتقل .

وقولي : « من ألف شهر » إلى **قولي** : « هكذا يعتقد » : تصوره ظاهر ، **وقولي** : « أى عمل البِرّ بها أفضَل من عمله فى ألف شهر يا فطن » : يحتمل أن يكون الضمير فى من عمله للبرّ ، وهذا بحسب ما يتبادر منه ، ويحتمل أن يرجع للشخص العامل بها عمل البرّ ، **والأوّل** : يقتضى أن عمل البرّ فيها إنما يكون أفضل من عمل البرّ فى ألف شهر سواها ، إذا كان ما يُعمل فيما سواها مماثلًا لما يُعمل فيها قدراً وصفة لإعادة الاسم الراجع للبرّ معرفة ، **والثانى** : صادق بما إذا كان ما يُعمل فيها من البرّ مثل ما يُعمل منه فى ألف شهر غيرها ، أو أفضل أو دونه ، وكل من الاحتمالين صادق بما إذا كان يحصل بالعمل فيها ،

---

(١) جاء بمعناه حديث عن أم سلمة (رضى الله عنها) قالت : « اعتكف النبىّ ﷺ أول سَنة العشر الأُوَل، ثم اعتكف العشر الوسطى ، ثم اعتكف العشر الأواخر وقال: إنى رأيت ليلة القدر فيها فأُنسيتها ، فلم يزل يعتكف فيهن حتى تُوفِّى ﷺ » رواه الطبرانى فى « الكبير » ، كما فى « مجمع الزوائد » ، وقال : إسناده حسن (ج ١٧٦/٣) .

(٢) الرواية ذكرها ابن حجر فى « الفتح » (٣٠٣/٤) وعزاها إلى مسلم ، وهى عنده ك : الصيام (٢١٥ - ١١٦٧) بنفس سياق المصنف ولكن ليس فيها ذكر جبريل (عليه السلام) .

(٣) هو : أبو بكر ، محمد بن على بن الحاتمى الطائى ، المعروف بالشيخ الأكبر ، صوفى متكلم ، وأديب شاعر ، ولد سنة (٥٦٠ هـ) ، وتوفى سنة (٦٣٨ هـ) .

انظر : « شذرات الذهب » (١٩٠/٥) ، و« البداية والنهاية » (١٢١/١٣) ، و« فوات الوفيات » لابن شاكر (٢٤٣/٢) .

وفى كلّ ليالى الألف سواها الإحياء أو لا يحصل شيء من الإحياء ، ويزيد الثانى بما إذا كان يحصل بالعمل فى بعضها فقط الإحياء ، وكلّ من الاحتمالين صادق أيضاً بما إذا كان العمل فيها وفى غيرها من عامل واحد أو أكثر ، وقال فى « بستان الواعظين » عن **السّمرقندى**[1] فى قوله تعالى ﴿ **لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ** ﴾[2] معناه : عمل صالح فى ليلة لقدر خيرٌ من عمل ألف شهر ليس فيها ليلة قدر قيامها وصيامها . انتهى باختصار ، ويجرى فيه الاحتمالان المذكوران .

وقوله : خير من ألف شَهْر وعدوله عن أن يقول : خير من ليل ألف شهر ، يفيد[3] ما ذكره **الإمام أبو الليث** : من أن العمل الصالح فيها أفضل من العمل الصالح فى ألف شهر من ليالى غيرها ، وأيام الليالى المذكورة ، وظاهره أن العمل الصالح فيها أفضل من العمل الصالح فى الليالى ، والأيّام المذكورة ، ولو كان العمل فى الليالى والأيام المذكورة من عمل البِرّ : أى من عمل هذه الأمة ، وهو خلاف ما يفيده ظاهر ما **للبغوى**[4] وما يوافقه كما يأتى التنبيه عليه ، ولكن الأوّل هو مقتضى كلام **الباجى**[5] ، فإنه قال فى قول « الموطأ » : « سمعت من أثق به أنه ﷺ رأى أعمار مَنْ قبله من الأُمم طويلة فكأنه تقاصر أعمار أُمته أن لا يبلغوا من العمل ما يبلغ غيرهم ، فأعطاه الله ليلة القدر خير من ألف شهر »[6] .

---

(١) هو : الإمام نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندى البلخى ، أبو الليث المشهور بإمام الهدى ، فقيه مُحَدِّث ، مُفَسِّر ، من أئمة التصوف . توفى سنة (٣٧٣ هـ) .

انظر : « معجم المؤلفين » (٣/٣٤) .

(٢) سورة القدر ، الآية (٣) . (٣) فى (خ) : مفيد .

(٤) انظر : « تفسير البغوى » (٤/٥١٢) .

(٥) **الباجى** : سليمان بن خلف بن سعد القرطبى الباجى المالكى المذهب ، فقيه كبير من فقهاء المالكية ، وأصولىّ مُحَدِّث ، ومن مؤلفاته : « المعانى فى شرح الموطأ » فى ٢٠ مجلداً . توفى سنة (٤٧٤ هـ) . انظر : « تذكرة الحفاظ » (٣/٣٤٩) ، و« شذرات الذهب » (٣/٣٤٤) .

(٦) ذكره مالك فى « الموطأ » [ك : الاعتكاف / ص ٢١٣ - رقم (١٥)] ، قال ابن عبد البر : =

قال الباجى : مقتضى هذا اختصاص هذه الأُمَّة بها ، وثواب العمل فيها بما يُرضى الله أكثر من ثوابه فى ألف شهر ليس فيها ليلة قدر ، **وقيل** : « إنه كان فى بنى إسرائيل رجل مكث ألف شهر ، وهى ثلاث وثمان سنة وأربعة أشهر يقوم الليل ، ويُجاهد النَّهار فتمنَّى ﷺ أن يكون من أُمَّته ، فأَعطَاه الله بدل ذلك لكل أُمته ليلَة القدر »[1] ، **وقيل** : « لأنه رأى بنى أُميّة ينزون على مِنْبَرِهِ نَزْوَ القِرَدَةِ ألف شهر فأحزنه ذلك ، فأُعْطِى بَدَلَها ليلة القدر »[2] . انتهى .

قلت : وفى الحديث « مَنْ صَلَّى العِشَاء فى جَمَاعَة فَقَد أَخَذ بحظّه من لَيلَة القَدْر »[3] (**طب**) عن أبى أُمامة (رضى الله عنه) من « الجامع الصغير » . قال شارحه فى قوله : « مَنْ صَلَّى العِشَاء فى جَمَاعَة ... » إلخ : أى وصَلَّى الصبح فى جماعة أيضاً كما قُيّد به فى روايات أُخَر ، وهذا الحديث أخذ به الشافعى فى القديم ، ولا يعرف له فى الجديد ما يخالفه ، ورمز المصنف[4] لحُسْن هذا الحديث ، ولكن ذكر **الحافظ العراقى** أن فيه **مسلمة بن على** ، وهو

= هذا أحد الأحاديث الأربعة التى لا توجد فى غير الموطأ ، لا مسنداً ولا مرسلًا ، وذكره السيوطى فى « الدر المنثور » (٦/٦٢٩) ، والبيهقى فى « شعب الإيمان » (٣/٣٢٣) .

(١) جاء ذلك فى أثرٍ مرسل عن مجاهد عن ابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، والبيهقى ، وعن على ابن عروة عن ابن أبى حاتم .

انظر : « الدر المنثور » للسيوطى (٦/٦٢٩) ، و« شعب الإيمان » للبيهقى (٣/٣٢٣) .

(٢) ورد ذلك عند الترمذى ك : التفسير (٣٣٥٠) ، وابن جرير ، والبيهقى ، وضعفه الترمذى « الدر المنثور » (٦/٦٢٩) ، وعند ابن المسيب مرسلًا عند الخطيب فى « تاريخه » ، وعند البيهقى فى « شعب الإيمان » (٣/٣٢٣) .

(٣) رواه الطبرانى (٨/٢١٠) ، والبغوى فى « تفسيره » (٤/٥١١) ، والبيهقى فى « شعب الإيمان » (٣/٣٤٠ - رقمى ٣٧٠٦ ، ٣٧٠٧) ، عن أبى هريرة (رضى الله عنه) ، وذكره الهيثمى فى « المجمع » (٢/٤٣) ، وضعفه بمسلمة بن على وهو ضعيف ، قلت : وله شواهد عن الصحابة ، وعن التابعين تدل على ثبوت معناه .

(٤) أى السيوطى فى « الجامع الصغير » (٨٧٩٦) .

ضعيف [1] ، وذكره **مالك** فى « الموطأ » بلاغاً عن **سعيد بن المسيب** [2] (رضى الله عنه) . انتهى .

ورواه **الخطيب** فى « التاريخ » [3] من حديث أنس (رضى الله عنه) بلفظ : « مَنْ صَلَّى لَيلَة القَدْر العِشَاء والفَجْر فى جَمَاعة ، فَقَد أخذَ مِنْ لَيلَة القَدْر بالنَّصيب الوافر » . انتهى ، وفيه إشارة إلى أن العمل فى ليلة القدر الذى هو خير من العمل فى ألف شهر غيرها هو ما يحصل به إحياؤها .

فَضْلُ كَلمَةِ التَّوحيد :

وفى « الجامع الكبير » عنه (عليه الصلاة والسلام) أنه قال : « مَنْ قَالَ : لَا إلَهَ إلَّا الله الكَريم ، سُبْحان الله رَبّ السَّموات وَرَبّ العَرْش العَظِيم . ثلاث مرات كانَ مثل مَنْ أَدْرَك لَيلَة القَدْر » [4] ابن عساكر عن الزّهرى مرسلاً . انتهى . من « شرح الجامع الصغير » [5] للمناوى ، وقد نظمت ذلك مضافاً للأبيات المتقدّمة **فقلت** :

وَكَلمة التَّوْحِيد مَنْ يَأْتى بها ... وَبَعْدها الكريم كن مُنْتَبها

كَذاك سُبْحان إلى الله أَضِف ... رَبّ السَّموات وَرَبِّ العَرْش صف

أى بالعَظِيم ثم ثلّث ذلكا ... تَكُن كمن لليل قَدْر أَدركا

وَذَا ببعض نُسَخ الكبيرى ... وفى سِواها جاء يا سميرى

لَفْظ الحَليم قَبل لفظة الكريم ... فى أولتى ذين والأخرى يا فهيم

وَيَنْبغى للشَّخْص أن لا يتركا ... مقال ذى بليلة ليدركا

---

(1) انظر : « فيض القدير شرح الجامع الصغير » (٦/١٦٦) فقد ذكر ما نقله المصنف .

(2) ذكر الإمام مالك فى « الموطأ » (١/٢١٣ - ك : الاعتكاف - رقم ١٦) ، قال ابن البر : قول ابن المسيب لا يكون رأياً ، ومراسيله أصح المراسيل ، وعزاه السيوطى فى « الدر المنثور » إلى ابن أبى شيبة ، وابن زنجويه ، والبيهقى « الدر » (٦/٦٣٨) ، وذكر عبد الله بن عمرو ، وعن على بن أبى طالب (رضى الله عنهم) .

(3) فى « تاريخ بغداد » (٥/٣٣٠) ، ورواه البيهقى فى « الشعب » (٣/رقم ٣٧٠٧) .

(4) ذكره فى « الكنز » (٢/٢٢٦) ، وهو فى « تهذيب تاريخ ابن عساكر » لابن بدران (٥/٣٠٦) .

(5) « شرح الجامع » للمناوى (٦/١٦٥) .

مَا مر من فَضْـل مِنَ الله العَظـيم فَـدائماً يكون فى الخَير المُقيم

ثُمّ إن نقل المناوى عن « الجامع الكبير »[1] موافق للرّواية الثانية فيه لا للأولى على ما فى بعض النُّسخ ، فإنّ الذى فى « الجامع الكبير » نصها : « مَنْ قَالَ : لَا إِلٰهَ إِلَّا الله الكَرِيم ، سُبْحان الله رَبّ السَّمواتِ السَّبع ، وَرَبّ العَرْش العَظِيم ثلَاث مرّات كانَ كَمَنْ أدرك ليلَة القَدْر » . الدُّولابى ، وابن عساكر عن الزّهرى[2] مرسلًا ، ثم قال بعد ذلك بأسطر ما نصه : « مَنْ قَالَ : لَا إِلٰهَ إِلَّا الله الكَرِيم ، سُبْحان الله رَبّ السَّمواتِ ، وَرَبّ العَرْش العَظِيم ، كانَ مثل مَنْ أَدْرك لَيْـلَة القَدْر »[3] ، ابن عسـاكر عن الزّهرى مرسلًا . انتهى . نص ما فى نُسَخ « الجامع الكبير » ، والذى رأيته فى نسختين منه زيادة « الحَليم » قبل « الكريم » فى الرّوايتين ، وعلى هذا فنقل المُناوى لا يوافق واحدة من الرّوايتين ، وعليه فيُزاد فى النظم ما يفيد ذلك ، **فيقال** : عقب التكميل ، وقبل البيت الذى أَوّله : « وينبغى للشَّخص أن لا يتركا » ما نصه : وذا ببعض نسخ الكبير إلى آخر البيتين المتقدّمين فى النّظم ، ثم إن معنى الحديث : أنَّ مَنْ قال ذلكَ فى ليلة ، ولم تكنْ ليلة القدر[4] ، وعملَ فيها عملًا صالحاً فإنهُ يكون عمله فيها أفْضَل من عمل مثل ذلك أو أكثر فى كلّ ليلة فى[5] ليالى ألف شهر ليس فيها ليلة القدر[6] ، ولعلّ هذا مبنى على أنَّ مَنْ عملَ فى ليلة القَـدْر عملًا صالحاً يكون عمله أفْضَل من عمل مثل ذلك ، أو أكثر فى كلّ ليلة من ليالى ألف شَهْر ، وإنْ لم يَعلَم أنها ليلة القدر بعلَامة من علاماتها كما هـو أحد

---

(١) انظر : « كنز العمال » (٣/رقمى ٣٨٦٧ ، ٣٨٦٨) ، فالروايتان فيه بنفس اللفظ .

(٢) **الزهرى** : محمد بن مسلم بن عبيد الله الزهرى القرشىّ المدنى ، تابعى جليل من حفَّاظ عصره ، رأى عشرة من أصحاب النبىّ ﷺ وكان فقيهاً فاضلًا ، توفى سنة (١٢٤ هـ) .

انظر : « حلية الأولياء » (٣/٣٦٠) ، و« تهذيب التهذيب » (٩/٤٤٥) ، و« مشاهير علماء الأمصار » لابن حبان (٦٦) .

(٣) انظر : ما سبق.

(٤) فى (خ) : ليلة قدر .

(٥) فى (خ) : من .

(٦) فى (خ) : ليلة قدر .

القولين لا على القول الآخر من أنه إنما يحصل ذلك لمن عمل ذلك مع عِلْمه بها بعلَامة من علاماتها ، وقد نظمت ذلك على وجه آخر **فقلت** :

كَلمَة تَوْحِيـد ولَفْظـة الحَـليم ... بِبدء لَيْـل شَهْر صَوْمنا العَظِيم

وَلَفْظ سُبْحان إِلى الله أَضِـف ... رَبّ السّموات وربّ العَرْش صف

ذَا با لعَظِـيم ثُمَّ ثلث ذَلكا ... تَكُنْ كَمَنْ للَّيـل قَـدر أدْركا

وقولي : « ربّ السّموات » : أى وربّ السّموات ، **وقولي** : « وهى ثلَاث وثمانون سَنة ... إلخ » : أى أنَّ الألف شَهْر من السِّنين : ثلاث وثمانون سَنة وثلث سَنة ، **وقولي** : « وهل إِذا صادفها ... إلخ » : أشرت به لما ذكره شيخنا **البـدر القرافى** [1] فى تأليفه فى ليلة القدر من قوله بعد ما ذكر الخلاف فى أنها : هل لها علَامة تظهر ، أم لا ؟ واختلفوا أيضاً : هل يحصل الثَّواب المرتَّب عليها لمن وافق أنه قامها ، وإن لم يظهر له شىء : أى من علاماتها ، أو يتوقف ذلك على كشفها له : أى بشىء من علَاماتها ؟ وإلى الأوّل ذهب **الطبرى** [2] ، **والمهلب** [3] ، **وابن العربى** [4] وجماعة ، وإلى الثانى ذهب الأكثر ، ويدل

---

(١) هو العلامة : محمد القرافى المالكى المُلَقَّب ببدر الدين . من مؤلفاته : « توشيح الديباج فى طبقات المالكية » و« التحرير الفريد » . توفى سنة (١٠٠٨ هـ) .

انظر : « معجم المؤلفين » (٦٠١/٣) ، و« كشف الظنون » (٣٥٨/١) .

(٢) **الطبرى** : هو العلَّامة هو العلامة المفسر محمد بن جرير بن يزيد الطبرى أبو جعفر ، وهو معدود فى أئمة الاجتهاد ، من تصانيفه : « جامع البيان فى التفسير » و« تهذيب الآثار فى الحديث » ، توفى سنة (٣١٠ هـ) . انظر : « طبقات القُراء » لابن الجزرى (١٠٦/٢) ، و« تهذيب الأسماء واللغات » (٧٨/١) ، و« كشف الظنون » (٣٢/١) .

(٣) **المهلب** : أبو القاسم بن أحمد بن أُسيد بن أبى صفرة التميمى الأندلسى المالكى المعروف بالمهلب ، له : « شرح على صحيح البخارى » ، توفى سنة (٤٣٥ أو ٤٣٣ هـ) .

انظر : « الديباج المذهب » (٣٤٦/٢) ، و« شجرة النور الزكية » (١١٤/١) .

(٤) **ابن العربى** : هو الإمام محمد بن عبد الله المعافرى الأندلسى من أئمة علماء المالكية برع (رحمه الله) فى الفقه والحديث والأصول وعلوم القرآن ، من تصانيفه : « شرح على الترمذى » ، و« أحكام القرآن » ، توفى سنة (٥٤٣ هـ) .

انظر : « شذرات الذهب » (١٤١/٤) ، و« تذكرة الحفاظ » (٨٦/٤) .

للأَوّل ما قال **الحافظ** ما وقع عند مسلم من حديث أبى هريرة (رضى الله عنه) : « مَنْ يَقُمْ لَيْلَةَ القَدْر »[1] إلى آخر كلامه[2] . انتهى .

وقال فى « التحفة » : **قال النووى** (رحمه الله تعالى) فى « شرح مسلم »[3] : ولا ينال فَضْلها إلَّا مَنْ أَطلَعهُ الله تعالَى عليها ، فلو قامها إنسان ، ولم يَشْعر بها لم ينل فضلها . **قاله الأوزاعى**[4] (رحمه الله تعالى) ، وكلام **المتولى**[5] يعارضه حيث قال : يُستحب التَّعَبُّدَ فى كلِّ ليالى العشر حتى يحوز الفضيلة على اليقين . انتهى . وهذا أولى نعم حالة من اطلع أكمل إذا قام بوظائفها . انتهى .

وقولى : « ثمّ بهَا مالح ماء يعذب ... إلخ » : أشرت به ، لما روى البيهقى فى « فضائل الأوقات » من طريق **الأوزاعى** عن **عُبيدة بن أبى لُبابة**[6] أنه سمعه يقول : إن المياه المالحة تَعْذَب تلك الليلة[7] . انتهى : أى ثم تنقلب إلى ملوحتها إذ لو لم تنقلب إلى الملوحة لم يبق مالح أصلًا .

---

(١) عند مسلم ك : صلاة المسافرين ١٧٦ - (٧٦٠) ولفظها : « من يقم ليلة القدر فيوافقها إيماناً واحتساباً غُفر له » .

(٢) نقل هذا من « فتح البارى » (٣١٣/٤) ..

(٣) انظر : « شرح مسلم » للنووى (٢٨٧/٦) ، (٣١٣/٨) .

(٤) **الأوزاعى** : عبد الرحمن بن عمرو بن يُحمد الأوزاعى ، والأوزاع قرية بدمشق ، إمام الديار الشامية فى الفقه الحديث والزهد . توفى سنة (١٥٧ هـ) . انظر : « تهذيب التهذيب » (٢٣٨/٦) ، و« مشاهير علماء الأمصار » (١٨٠) ، و« الكاشف » للذهبى (١٥٨/٢) .

(٥) **المُتَوَلى** : عبد الرحمن بن مأمون بن على الشافعى المعروف بالمتولى ، فقيه من كبار الأصوليين المتكلمين . توفى سنة (٤٧٨ هـ) . انظر : « شذرات الذهب » (٣٥٨/٣) ، و« طبقات الشافعية » لابن السبكى (٢٢٣/٣ - ٢٢٥) .

(٦) **عبيدة بن أبى لبابة** : الأسدى الغاضرى ، كوفى فقيه ، نزيل دمشق . قال الأوزاعى : لم يقدم علينا من العراق أحداً أفضل من عبدة . قال العجلى : كوفى ثقة . توفى سنة (١٢٣ هـ) .
انظر : « تهذيب التهذيب » (٤٦٢/٦) .

(٧) رواه البيهقى فى « شعب الإيمان » (٣٣٢/٣) ، ورواه عن أيوب بن خالد (٣٣٣/٣ - رقم ٣٦٩١) ، وعزاه إليه السيوطى فى « الدر المنثور » (٦٣٨/٦) ، وذكره الحافظ فى « الفتح » (٣٠٧/٤) .

وقولى : « والشَّمس لا تطلع يومها العَظيم ... إلخ »: أشرت به ، لما روى **ابن أبى شيبة** من حديث ابن مسعود (رضى الله عنه) : « إِنَّ الشَّمس تَطلُع كُلّ يومٍ بينَ قَرْنى شيطان إِلَّا صَبيحة لَيلَةَ القَدْر »[1] . انتهى .

قلت : وانظر هذا مع ما تقدّم من أن الشياطين تُغَلُّ وتُصَفَّد فى رمضان ، وقد يقال : إن ذلك لا ينافى طلوع الشمس من بين قرنيه فى غير ليلة القدر .

مَبَاحِث تَتعَلَّق بِلَيْلَةِ القَدْر
تَفسير سُورَة القَدْر

الأَوَّل : فى « الموطأ »[2] عن مالك قال : سمعتُ من أثق به من أهل العلم : « أنَّ رسول الله ﷺ رَأَى أَعمار النَّاس قبله أَو ما شَاء الله من ذلكَ فكأَنَّهُ تقاصر أعمار أُمَّته أن لا يبلغوا من العَمَل مثل الذى بلغ غيرهم فى طول العُمر ، فأَعْطَاه الله لَيلَةَ القَدْر خَيرٌ من ألف شَهْر » . انتهى فى البغوى[3] فى قوله تعالى : ﴿ **لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ** ﴾[4] ما نصه : قال **عطاء**[5] عن ابن عباس (رضى الله عنه) ذُكر لرسول الله ﷺ رجل من بنى إسرائيل حمل السِّلَاح على عاتقه فى سبيل الله ألف شَهْر ، فَتعجَّب (عليه الصلاة والسلام) من ذلك ، فَتمنَّى أن يكون ذلك لأُمَّته ، فقال : يا ربِّ أُمَّتى أقصر الأُمم أعماراً ، وأَقلُّهم أعمالاً ، فأعطاه الله ليلة القَدْر ، فقال : ﴿ **لَيْلَةُ الْقَدْرِ**

---

(١) رواه ابن أبى شيبة ك : الصيام (ج ٢/٣٢٥ - رقم ٩٥٢٣) .

(٢) فى « الموطأ » (٢١٣/١) .

(٣) « تفسير البغوى » (ج ٥١٢/٤) .

(٤) سورة القدر ، الآية (٣) .

(٥) **عطاء** : هو بن أبى رباح القرشى ، نشأ بمكة ، وكان إليه الفتوى فيها ، قال ابن سعد : كان ثقة فقيهاً عالماً كثير الحديث . توفى سنة (١١٥ هـ) .

انظر : « تهذيب التهذيب » (١٩٩/٧) ، و« رجال صحيح مسلم » (١٠٠/٢) .

خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ : أى التى حمل فيها الإسرائيلى السِّلَاح فى سبيل الله لك ولأُمَّتك إلى يَوم القيامة »[1] .

وقال البيضاوى[2] فى سورة القدر : ذُكر الألف ، إما للتكثير ، فإن العرب تذكر الألف ، ولا تريد حقيقتها ، وإنما تريد المبالغة فى الكثرة ، كما فى قوله تعالى : ﴿ ... يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ... ﴾[3] .

وأمّا لما روى أنه ذُكر لرسول الله ﷺ رجل من بنى إسرائيل حَمَل السِّلَاح علَى عاتقه فى سَبيل الله تعالَى أَلف شَهْر ، وهى ثلاث وثمانون سَنَة وأَربعة أَشْهُر ، فَتعَجَّب لذلك رسول الله ﷺ عجباً شديداً ، وتَمَنَّى أَن يكون ذلك فى أُمّته ، فقال : « يَا ربّ جَعَلْت أُمَّتى أَقْصَر الأُمم أعماراً ، وأَقلُّها أعمالًا ، فأَعْطَاه الله ليلَة القَدْر ، فقال : ﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ : أى التى حمل فيها الإسرائيلى السِّلاح فى سبيل الله[4] ، فقال : لك ولأُمتك من بعدك إلى يوم القيامة فى كل رمضان .

تنبيهٌ فى فَضْل العَمل فى لَيلَة القَدْر :

ما ذكره السّمرقندى من أن العمل فى ليلة القدر خير من أن يعمل فى كلّ ليلة من ليالى ألف شهر مثل ما يعمل فى ليلة القدر أو أكثر ليس فيها ليلة قدر ظاهرة ، ولو كان العمل فى ألف شهر من هذه الأُمَّة ، وهو خلاف ما يفيده ما تقدّم عن البغوى ، والبيضاوى : من أن العمل فيها خير من عمل ألف شهر من غير هذه الأُمَّة ، وظاهر القرآن العظيم[5] يوافق[6] ما للسّمرقندى ، وقدّمنا عن الباجى ما يفيده ، وقد تقرر : أن العبرة بعموم اللّفظ لا بخصوص السبب .

---

(١) الأصل فى هذه الرواية أنها مرسلة ، كما سبق بيانه ، وذكرها البغوى بغير سند فى « معالم التنزيل » (٥١٢/٤) .

(٢) فى تفسيره « أنوار التنزيل » (٦١٥/٢) طبعة حجرية .

(٣) سورة البقرة ، الآية (٩٦) .

(٤) فى (خ) : تعالى .

(٥) فى (خ) : العزيز .

(٦) فى (خ) : موافق .

قوله سبحانه وتعالى : ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم ... ﴾[1] : أى تنزل الملائكة أكثر من عدد الحصى حتى تضيق بهم الأرض ، والمراد بالرُّوح : جبريل (عليه السلام) .

وقال ابن عادل : ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ : أى تَهْبِطُ من كلّ سماء إلى الأرض ، ويُؤَمِّنُونَ على دُعاء النَّاس إلى وقت طلوع الفَجْر ، والمراد بالرُّوح جبريل (عليه السلام) .

وحكى القُشَيرى : أنَّ الرُّوح صنف من الملائكة جعلوا حفظة على سائرهم ، وأن الملائكة لا يرونهم كما لا نرى نحن الملائكة .

وقال مقاتل : هم أشراف الملائكة وأقربهم من الله ـــ عَزَّ وَجَلَّ ـــ ، **وقيل** : هم جند من جند الله تعالى غير الملائكة رواه ابن عباس (رضى الله عنهما) مرفوعاً ، حكاه **الماوردى**[2] **وقيل** : الرُّوح باتفاق أهل السُّنَّة خَلْق عظيم يقوم صفًّا ، والملائكة صفًّا ، **وقيل** : الرُّوح الرحمة ينزل بها جبريل (عليه السلام) مع الملائكة فى هذه الليلة على أهلها بدليل قوله تعالى : ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ... ﴾[3] : أى بالرّحمة فيها : أى فى ليلة القدر . انتهى .

وقوله : ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِم ﴾ : أى بإذنه بإظهار ما قدر فى الأزل ، أن يكون من ليلة القدر التى تنزل فيها إلى مثلها من قابل .

وقال فى « تفسير الأخوين » فى **قوله** : ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِم ﴾ : أى بأمره من أجل كلّ أمر أو بكل أمر قدر فى تلك السَّنة : أى قُدِّر فى الأزل أن يكون فى

---

(١) سورة القدر ، الآية (٤) .

(٢) **الماوردى** : هو الإمام على بن محمد بن حبيب البصرى الماوردى الشافعى أحد أئمة الفقه والأصول ، ولى القضاء فى بلاد كثيرة ، توفى سنة (٤٥٠ هـ) .

انظر : « شذرات الذهب » (٢٨٥/٣) ، و« النجوم الزاهرة » لابن تغرى بردى (٦٤/٥) .

(٣) سورة النحل ، الآية (٢) .

تلك السَّنة ، ويُؤَمِّنُونَ على دعاء العِبَاد ، ويُصافحونهم ، وعلاماتها قشعرار وبكاء . انتهى .

وعلى هذا فالمراد بليلَة القَدْر الليلة التى تظهر فى العام الذى وقع فى أوّله ما قُدِّر فيه في الأزل ، وذكر **ابن عادل** : أنهم يُؤَمِّنُونَ على دُعاء المؤمنين ، ويُسَلِّمون عليهم ، فتَحَصَّل من هذا أن الملائكة يُؤَمِّنُونَ على دُعاء المؤمنين ، ويُسَلِّمُون عليهم ، ويُصَافحونَهُم .

تَنْبِيهٌ آخر :

روى جابر[(١)] بن عبد الله (رضى الله عنهما) عن رسول الله ﷺ أنه قال فى ليلة القدر : « لَا يَخْرُج شَيطان حتَّى يَخرج فَجْرها »[(٢)] ، وقال غيره : ليس فيها شيطان حتى يطلع الفجر . انتهى ، ومن المعلوم تَصْفِيد الشياطين ، والمردة حتى إبليس فى رمضان ، وحينئذ ، فلا يظهر وجه تخصيصها بحَبْس الشياطين فيها إلَّا على القول بأنها تكون فى غير رمضان .

قوله تعالى : ﴿ **سَلَامٌ هِيَ** ... ﴾[(٣)] : أى لا يحدث فيها داء .

وقال فى « تفسير الأخوين » عقب **قوله** : ﴿ **سَلَامٌ هِيَ** ﴾ : أى أنه لا يقدر فيها إلَّا السلامة ، ويُقَدّر البلاء فى غيرها . انتهى .

ومراده **بقوله** : ﴿ **هِيَ** ﴾ : أنه قُدِّر فى الأزل أنه لا يحدث فيها داء .

وقوله تعالى : ﴿ **حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ** ﴾ : أى جعلها فى « تفسير الأخوين » غَايَة لسَلام[(٤)] الملائكة على العِبَاد ، فقال : ويُسَلِّمونَ عليهم حتى مطلع الفجر .

---

(١) **جابر** : ابن عبد الله بن عمرو بن حرام ، صاحب رسول الله ﷺ الأنصارى السَّلمى ، الفقيه ، من أهل بيعة الرضوان ، غزا مع النَّبىّ ﷺ (١٩) غزوة ما عدا (بدراً) . انظر : « تهذيب الكمال » (٤/٤٤٣) ، و« تذكرة الحفَّاظ » (١/٤٣) ، و« تهذيب التهذيب » (٢/٤٠ - ٤٢) .

(٢) ذكره الحافظ ابن حجر فى « الفتح » ، وعزاه إلى الإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة فى « صحيحه » (٤/٣٠٦) .

(٣) سورة القدر ، الآية (٥) ، وتمامها : ﴿ **سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ** ﴾ .

(٤) فى (خ) : لتسليم .

وعن **ابن عباس** (رضى الله عنهما) : أن ﴿ هِىَ ﴾ ابتداء كلام ، وأنها إشارة إلى أنها ليلة السَّابع والعشرين ، لأنها السّابع والعشرون من كلمات السورة ، **وقيل** : أشار إليه بتكرار ليلة القَدْر ثلاثاً ، فإنه سبعة وعشرون حرفاً . انتهى .

قلت : وذكر **ابن عادل** ما تقدّم عن ابن عباس (رضى الله عنهما) ، واعترضه ، **فقال** : وما يروى عن ابن عباس (رضى الله عنهما) : أن الكلام تم عند **قوله** : ﴿ سَلَامٌ ﴾ ، ويبتدى بـ ﴿ هِىَ ﴾ على أنها خبر مبتدأ ، والإشارة بذلك إلى أنها ليلة السَّابع والعشرين ، لأن لفظة : ﴿ هِىَ ﴾ سابعة وعشرون من كلمات هذه السورة ، فلا ينبغى أن يعتقد صحته ، لأنه ألغاز ، وتغيير لنظْم أفصح الكلام . انتهى .

وقوله : إن هِىَ : خبر مبتدأ لعلّ مراده : أنَّ المعنى وعَدَّهَا ﴿ هِىَ ﴾ : أى عدّ ﴿ هِىَ ﴾ من كلمات السُّورة ، فتكون ليلة سبع وعشرين ، كما أنَّ لفظة : ﴿ هِىَ ﴾ سابعة عشرين من كلمات السُّورة ، وقد علمت ما فيه .

وقال ابن عادل : قبل كلامه هذا **قوله** : ﴿ سَلَامٌ هِىَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن هِىَ : ضمير الملائكة و ﴿ سَلَامٌ ﴾ بمعنى تسليم : أى الملائكة ذات تسليم على المؤمنين من مَغيب الشَّمس حتى يطلع الفجر ، **وقيل** : الملائكة يُسَلِّم بعضهم على بعض فيها .

الثانى : أنها ضمير ليلة القَدْر ، و ﴿ سَلَامٌ ﴾ بمعنى سلامة : أى ليلة القدر ذات سلامة من كلّ شىء مخوف : أى ليلة القَدْر سلامة وخير كلّها ، لا شَرّ فيها حتى يطلع الفجر [1] .

وقال الضحاك [2] : لا يُقَدِّر الله تعالى فى تلك الليلة إلَّا السَّلَامة ، **وقيل** :

---

(١) انظر هذه الأقوال فى : « زاد المسير » لابن الجوزى (١٩٤/٩) ، و « التفسير الكبير » للرازى (٣٥/٣٢) ، و « تفسير ابن كثير » (٤٦٨/٤) ، و « فتح القدير » للشوكانى (٤٧٣/٥) .

(٢) **الضحاك** : ابن مزاحم الهلالى أبو القاسم تابعى مفسر ، روى عن جمع من الصحابة ، =

هى ذات سلامة من أن يؤثر فيها شيطان فى مؤمن ومؤمنة ، قاله **مجاهد** [1] ، وعلى التقديرين يجوز أن يرتفع ﴿ سَلَامٌ ﴾ على أنه خبر مقدّم ، وهى مبتدأ مؤخر ، وهذا هو المشهور ، ويجوز أن يرتفع بالابتداء ، وهى فاعل عند **الأخفش** [2] ، لأنه لا يشترط الاعتماد فى عمل الوصف . انتهى المراد منه ، ولم يذكر فى « البخارى » فى أبواب ليلة القدر التّصريح بأنها ليلة ثلاث وعشرين ، ولا ليلة سبع وعشرين ، وإنما ذكر فيه ما نصه : عن ابن عباس (رضى الله عنهما) أنه (عليه الصلاة والسلام) قال : « التَمِسُوهَا فى تاسعة تبقى » [3] : أى فتكون ليلة اثنين وعشرين .

قال رسول الله ﷺ : « هِيَ فى العَشْر : أى الأَواخر ، هى فى تسْع يمضين أو سبعُ يَبقين » [4] يعنى ليلة القَدْر ، وعنه أيضاً : « التمسوها فى أربع وعشرين » ، والمراد بتاسعة تبقى : أن يبقى تسع من ليالى الشَّهْر لا أن يمضى تسع بعد العشرين ، وكذا يُقال فى سابعة تبقى : أن المراد أن يبقى من ليالى الشَّهْر سَبع لا أن يمضى بعد العشرين سبع ، ويجرى مثل ذلك فى قوله : فى خامسة تبقى ، وقد أشرنا لذلك ، وحينئذ فتكون فى الأشفاع ، وهذا مبنى على اعتبار كون الشهر كاملاً ، وهو ما عليه الأنصار ، فإنهم قالوا معنى قوله : اطلبوها فى تاسعة تبقى : هى ليلة اثنين وعشرين ، وقالوا : نحن أعلم بالعدد منكم ، واختار

= أخذ التفسير عن سعيد بن جبير (رضى الله عنه) . مات سنة (١٠٦ هـ) .
انظر : « تهذيب التهذيب » (٤/٤٥٤) .

(١) مجاهد بن جَبْر ، ويقال : ابن حبير المكى ، كان فقيهاً عابداً ورعاً من أئمة التفسير ، روى عن جمع من الصحابة ، توفى بمكة وهو ساجدٌ سنة (١٠٢ هـ أو ١٠٣ هـ) .
انظر : « حلية الأولياء » (٣/٢٧٩) ، و« تهذيب التهذيب » (١٠/٢٨٤) ، و« مشاهير علماء الأمصار » (٨٢) .

(٢) **الأخفش** : هارُون بن موسى بن شريك الأخفش النحوىّ القارئ الدمشقى يكنى أبا عبد الله ، توفى سنة (٢٩٢ هـ) . انظر : « إشارة التعيين فى تراجم اللغويين » لعبد الباقى اليمانى (٣٦٩) .

(٣) عند البخارى ك : فضل ليلة القدر (٢٠٢١) .

(٤) رواه البخارى ك : فضل ليلة القدر (٢٠٢٢) .

ابن رشد من أئمتنا القول باعتبار كون الشهر ناقصاً ؛ لأن يوم الثلاثين غير مقطوع بكونه من الشهر ، ولموافقته لحديث : التَمسُوهَا فى الأوتار بخلاف ما إذا اعتبر كاملًا ، لأنه إذا عدّ الشَّهْر من آخره ناقصاً كانت أشفاعه أوتاراً ، وأوتاره أشفاعاً ، واعتباره كاملًا هو ما حمل عليه الشاذلى كلام الشيخ خليل فى « شرح الرسالة » ، وظاهر كلامه أنه الرّاجح ، وفى كتاب « كشف الغُمَّة » ما نصه : وكان عبد اللّه بن أنيس[1] (رضى الله عنه) يقول : قلت : يا رسول الله أخبرنى[2] فى ليلة القَدْر ، فقال : « لَوْلَا أَن تَترُكَ النَّاس الصَّلَاة إِلَى تلكَ اللَّيلَة لأَخْبرتكَ ، ولكنّ ابتغها[3] فى ثلَاث وعشرين من الشَّهْر »[4] .

وكان بلال[5] (رضى الله عنه) يقول : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « لَيلَةُ القَدْرِ لَيلَة أَربع وعشْرين »[6] ، وكان (عليه الصلاة والسلام) يَأْمُر مَنْ رَأَى لَيلَة القَدْر أن يقول : « اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفوٌّ تُحبُّ العَفْو فَاعْف عَنِّى » .

وفى « البستان » عن عائشة (رضى الله تعالى عنها) قالت : [يا] رسول

---

(١) فى المخطوط والمطبوع : أنس ، وهو خطأ والصواب أنيس ، وهو الصحابى الجليل عبد الله بن أنيس الجهنى الأنصارى ، قال الواقدى : شهد العقبة وأُحد ، ولم يشهد بدراً ، وقال خليفة بن خياط : شهد بدراً . انظر : « الإصابة » (٤٥٦٨) ، (١٣/٢) ، و« أسد الغابة » (٢٨٢٦) ، و « رجال صحيح مسلم » (٣٤٣/١) .

(٢) فى (خ) : أخبرنى عن .

(٣) فى (خ) : ابتعها .

(٤) رواه الطبرانى فى « معجمه الكبير » ، وذكره الهيثمى فى « المجمع » (١٨١/٣) وقال : إسناده حسن .

(٥) **بلال** : ابن رباح القرشى التيمى مؤذّن النّبىّ ﷺ كنيته أبو عبد الله ، أحد السابقين من الصحابة إلى الإسلام ، توفى سنة (٢٠ هـ) . انظر : « تهذيب التهذيب » (١٠٥/١) ، و« تهذيب الأسماء » للنووى (١٣٥/١) ، و« الإصابة » (١٦٤/١) ، و« تهذيب الكمال » للمزى (٢٨٣/٢) .

(٦) رواه أحمد فى « مسنده » (١٢/٦) ، والطبرانى فى « معجمه » (٣٤٥/١) ، وذكره ابن عبد البر فى « التمهيد » (٢٠٥/٢) ، والحديث قال فيه الهيثمى فى « المجمع » (١٧٦/٣) : إسناده حسن ، وانظر « الدر المنثور » (٦٣٣/٦) .

الله إذا وافيت ليلة القَدْر فَبِمَ أَدعو ؟ قال : « قُولى : اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفوٌّ تُحبُّ العَفْو فَاعْف عَنِّى »[1].

وفى « المستطرف »[2] قالت عائشة (رضى الله عنها) : « لَوْ رَأَيت لَيلَة القَدْرِ ما سَأَلت الله إِلَّا العَفْو وَالعَافيَة » .

أَفْضَـلُ ما يَـدْعُو بـهِ الـمُسْلم لَيْلَة القَـدْر :

وفى « النبذة » للشيخ أبى الحسن البكرى : ومن أولى ما يدعى به فى تلك اللَّيلَة : أى ليلة النِّصْف من شعبان : اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفوٌّ كَريمٌ تُحبُّ العَفْو فَاعْف عنِّى ، اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلك العَفْو وَالعَافية ، والمُعَافَاة الدَّائمة فى الدِّين ، والدُّنيا ، والآخرة . لورود ذلك فى ليلة القدر ، وهذه أفضل اللّيالى بعدها . انتهى ، وفيه نظر إذ لم نرَ فى رواية زيادة لفظ : « كريم » ، وسُئِلَ (عليه الصلاة والسلام) عن علَامة ليلة القَدْر ؟ فقال : هِيَ (ليلَة بَلْجَة) : أى مُشرقَة نَيّرة لَا حَارّة ، ولَا بَاردَة »[3] ، [ولَا سحَاب فيهَا ، ولَا مَطَر ، ولَا ريح ، ولَا يرمى فيهَا بنجم][4] ، وتَطْلع الشَّمس صبيحتها مشعشعة حَمْراء لَا شُعَاع لها ، وفى رواية أُخرى : « لَقَدْ رَأَيتنى أَسْجُد صبيحتها فى ماء وطين »[5] .

والحق أنه ﷺ كان يُخبر أصحابه عن ليلتها وصفتها كلّ سَنَة ، فيقول

---

(١) رواه الترمذى (٣٥١٣) ، والنسائى « اليوم والليلة » (٨٧٢) ، وابن السنى (٧٦٤) ، وابن ماجه (٣٨٥٠) ، وأحمد (١٧١/٦) ، والبيهقى فى « الأسماء والصفات » (٥٥) ، وصححه « الترمذى » ، والحاكم كما فى « الترغيب » (٢٧٣/٤) .

(٢) كتاب « المستطرف فى كلّ فن مستظرف » .

(٣) رواه ابن خزيمة فى « صحيحه » (٣٣٠/٣ - رقم ٢١٩٠) عن جابر ، وعن أبى بن كعب (٢١٩١) ، وعن ابن عباس (رضى الله عنهم) (٢١٩١) ، وهو صحيح بشواهده ، وذكره السيوطى فى « الدر المنثور » (٦٣١/٦) ، وعزاه إلى ابن جرير فى « تهذيبه » ، وابن مردويه .

(٤) ما بين المعكوفتين لفظه فى رواية واثلة بن الأسقع عند الطبرانى فى « الكبير » ، وضعفها الهيثمى فى « مجمع الزوائد » (١٨١/٣ ، ١٨٢) .

(٥) رواه مسلم ك : الصيام ٢١٨ - (١١٦٨) عن عبد الله بن أنيس ، ومنه حديث أبى سعيد الخدرى (رضى الله عنهم) ٢١٣ - (١١٦٧) ، وابن خزيمة فى « صحيحه » (٣٣٢/٣) .

مرّة : لَا مطَر فيها ، ومرّة : فيهَا مَطَر ، ومرّة : فى الوتر ، ومرّة : فى الشَّفع ، وهكذا[١] ، وإخباراته ﷺ كلّها صادقة مصدّق فيها ، ولم يبلغْنا أنه ﷺ أخبر أصحابه بها فى سَنة واحدة فى روايتين مختلفتين أبداً ، فالأحاديث الواردة فى تعيينها كلّها صحيحة لا تناقض فيها ، وملخص القول فيها : أنها تدور فى جميع الأيام ، ولا يعلمها حقيقة إلا من كشف الله عن بصيرته . اهـ .

قلت : اعلم أنه يستفاد من كلام «كشف الغُمَّة» : أن ما ورد من اختلاف صفتها يجرى حتى على القول بأنها لا تنتقل ، وأنها ليلة معينة فى كلّ عام أو فى كلّ رمضان ، فإن تعيين زمنها لا ينافى اختلاف صفتها فى تعدّد الأعوام ، أو فى تعدّد شهر رمضان ، وإنما التنافى لو ورد عنه (عليه الصلاة والسلام) ما يفيد اختلاف صفتها فى عام معيّن ، أو فى رمضان معيّن ، وهذا قدر زائد على الخلاف المذكور فى انتقالها ، وعدمه فتأمّله .

ثمّ إن ما ذكر[٢] من أنها تكون فى سَنة بصفة ، وفى سَنة غيرها بصفة أخرى يأتى على القول بانتقالها ، وعدم[٣] انتقالها .

وأما كلام **ابن العربى** : من أنه إذا كان مبدأ رمضان يوم الجُمُعَة كانت لَيلَة تسع وعشرين ، وإذا[٤] كان السبت كانت ليلة إحدى وعشرين ، وإن كان الأحد كانت ليلة سبع وعشرين ، وإن كان الاثنين كانت ليلة تاسع عشرة ، وإن كان الثلاثاء كانت ليلة خمس وعشرين ، وإن كان الأربعاء كانت ليلة سبع عشرة ، وإن كان الخميس كانت ليلة ثالث وعشرين[٥] ، فهى تختلف باختلاف مبدأ الشهر ، فإذا كان أوّله يوم الجُمُعَة كانت ليلة تسع وعشرين فى جميع الأعوام ، وهكذا ، ونظم الشيخ **محيى الدين بن العربى**[٦] ، فقال : كما رأيته بخطّ بعضهم ، ونصّ ما رأيته بخطّ الشيخ **ابن العربى** :

---

(١) ممن ذهب إلى هذا الإمام ابن خزيمة فى «صحيحه» (٣٣٠/٣) .

(٢) فى (خ) : ذكره .

(٣) فى (خ) : وبعدم .

(٤) فى (خ) : وإن .

(٥) فى (خ) : كانت ليلة عشرين .

(٦) كُرِّرَ لفظ : (ابن العربى) ، والأصح هو ابن عربى : والمقصود به شيخ أهْل التصوف محيى الدين بن عربى ، وذلك ليفرق بينه وبين أبى بكر بن العربى الأندلسى المالكى ، وقد سبقت ترجمتهما .

وإنا جميعاً أن نصم يَوْم جُمعة ... فَفِى تَاسع العشرينَ خذ لَيْلة القَدْر
وإن كان يَوْم السبت أوّل صَوْمنا ... فَحَادى وَعشرين اعتمده بِلَا عُذْر
وإن هَلّ الصَّوْم فى أحد فَخُذ ... ففى سَابع العِشْرين ما رُمْت فاستقر
وإنْ هَلّ بالاثنين فاعلم بأنه ... يُوافيك نيل الوَصْل فى تَاسع العَشْر
وَيَوْم الثّلَاثا إن بدا الشَّهْر فاعْتَمد ... عَلَى خَامِس العِشْرين تَحْظَى بها فَاذْرِ
وفى الأربعا إن هَلّ يا من يرومها ... فَدُونَك فاطلب وَصْلَها سَابِع العَشر
وَيَوْم خَميس إن بدا الشَّهْر فاجْتهد ... بثالث عشريه وُقِيتَ مِنَ الشّر[1]

وقلت بدله :

وَيَوْم خَميس بدؤه فَهِى لَيْلَة ... لثالث عشريه وُقِيت مِنَ الشّر
وضَابطهَا فى القَوْل لَيْلَة جُمعة ... تُوَافيك بعد العَشْر فى لَيلَة الوَتر

انتهى .

فقوله : « وضابطها ... إلخ » : إن أراد أن هذا ضابط ليلة القَدْر ، فيما إذا كان مبدأ الشَّهْر يَوْم الخميس كان صحيحاً إذا حملت الجُمُعَة على الجُمُعة الثانية بعد العشر ، وأما إذا حملت على الأولى ، فلا يكون فُرادى ، بل تكون فى الأشفاع ، وأن حمل **قوله** : « وضابطها ... إلخ » : أى ضابط ليلة القَدْر مطلقاً : أى سواء كان مبدأ الشهر الجُمُعة أو السبت ، أو ما بعده من الأيّام إلى الجمعة كان ذلك فاسداً فيما إذا كان مبدؤه الجُمُعَة[2] ، وذلك لأن ليلة القَدْر فيه تسع وعشرون كما صرح به ، وهذا الضّابط يصدُق بذلك ، وبأن تكون خامس عشره ، وبأن تكون ثالث عشريه ، فهو صادق بغير المراد على ما ذكره فيما إذا كان أوّل الشَّهْر الجُمُعة إذ ليلة خمس عشرة ليلة جُمعة فُرادى ، وكذلك ليلة ثالث عشريه ليلة جُمعة فُرادى أيضاً ، وليست واحدة منهما ليلة قدر عنده ، وإنما هى ليلة تسع وعشرين ، كما صرح به فى **قوله** :

---

(١) فى (خ) : توافيك بعد العشر فى ليلة الوتر .

(٢) فى (خ) : الخميس .

وإنا جميعاً إن نصم يَوْم جُمُعَـة ففى تاسع العِشْرين خذ لَيـلة القَـدْر

وكلام الشيخ **زروق**[1] لا يرد عليه هـذا لأنه صرّح بأنه لابدّ أن تكون ليلة جُمعة من أفراد النِّصف الثانى فراعى فى مستنده[2] ذلك : فى كون المبدأ الأوّل التّصف الثانى لا الأوّل ، وكذا إن كان مبدؤه الخميس ، لأنه يصدُق بليلة الجُمُعة الواقعة بعد العشرة التى هى ليلة ست عشرة ، وكذا ليلة ثلاث وعشرين مع أنَّ المراد الثانى ، إذ الجمعة الأُولى ليست فُرادى ، بل من الأشفاع ، وكلام الشيخ **زروق** لا يَرد عليه هذا أيضاً ؛ لأنه صرح بأنها لابدّ أن تكون ليلة جُمعة من أفراد التّصف الثانى ، وقد نظمتها مشيراً إلى عدّها بحروف الجُمل فى جميع أيّام الجمعة على وجه سالم ممَّا يَرد على النظم السابق **فقلت** :

لَيْـلَة القَـدْرِ فى طك أَوْ فى اك أَوْ فى زك أَوْ فى دهى أَوْ فى هك

أَوْ فى حـط أَوْ فى جـك أَوْ لَيْلة جُمعة أتت من بعد عشرين مَضَت

وَبـدء ذى من يَـوْم جُمعـة وَمَـا بَعـد إلى يَـوْم الخَميس فاعْلمـا

فهى إذًا فى نِصْفه الثَّانى وَهى لَيْـلَة جُمعـة فُرادَى يَـا بهى

وأن خميسـاً بَدؤه إذ المـراد ثـانى جُمعـة لا الأُولى ذا المفـاد

من قـول ذِى القَوْل إمام العرب أغْنِى بـهِ حَافظـه ابن العربى

قـوله : « وبدء ذى ... إلخ » : اسم الإشارة ، [راجع إلى القاعـدة التى ذكرها فى النظم التى قبل هذا][3] .

واختلف فى تسميتها ليلة القدر ، **فقيل** : القدر العظمة ، **وقيـل** : إنه الضيق ، لأن الأرض تضيق فيها من كثرة الملائكة النّازلين فيها ، وتقدّم أنهم

---

(١) **زَرّوق** : هـو العلاّمة أحمد بن أحمد بن أحمد بن محمد البرلسى الفارسى المالكى الشهير بزروق ، محدث فقيه صوفى ، من مؤلفاته : « شرح الحِكَم العطائية » ، توفى سنة (٨٩٩ هـ) . انظـر : « إيضاح المكنون » (٩٧/١) ، و« كشف الظنـون » (٣٣٣/١) ، و« شجرة النـور الزكية » (١٢١/١) .

(٢) محذوفة من الأصل وأثبتناها من (خ) .

(٣) هـذا السطر ساقط من المطبوعة ، وقد أثبتناه من (خ) .

أكثر من عدد الحصا ، **وقيل** : القَدْر القضاء؛ لأن الأُمور تقضى فيها : أى يظهر تقديرها فيها ، وهذا يوافق ما ذكره **الأموى**[١] ؛ فإنه قال فى تعليقه ما نصه : ليلة القدْر بسكون الدّال ، وفتحها جائز ، قال أبو **إسحاق الزّجّاج**[٢] : يعنى ليلة الحُكم ، وهى التى يُفرَقُ فيها كلّ أمر حكيم : أى تكتب الملائكة ما يصير فى تلك السَّنَة . انتهى .

وقيل : إن من لم يكن له قدر يصير بمراعاتها : أى بالعمل الصَّالح فيها ذا قدر ، **وقيل**: لأن العمل الصالح فيها يكون ذا قدرعند الله تعالى لكونه مقبولًا . انتهى .

وقال ابن عادل : **وقيل** : سُمّيت بذلك لأنه أُنزِلَ فيها كتاب ذو قَدْر على رسول ذى قدر على أُمَّة ذات قدر ، والقدر مصدر ، والمراد ما يمضيه الله تعالى من الأُمور ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ** ﴾[٣] ، وهو بمعنى القَدْر إلّا أنه بالتّسكين مصدر ، وبالفتح اسم . انتهى .

وقوله : « إلّا أنه ... إلخ » : خلاف ما يأتى عن القرطبى .

سَبَبُ تَسْمِيَةِ لَيْلَةِ القَدْرِ بذلك :

وقال البغوى : سُمّيت ليلة القَدْر لأنها ليلة يُقَدّر فيها الأُمور ، والأحكام ، فيقدر الله فيها أُمور السَّنَة فى بلاده وعباده للسَّنَة المستقبلة لقوله تعالى : ﴿ **فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ** ﴾[٤] ، وهو مصدر قدر الله الشىء بالتخفيف قدراً ، وقدراً كالنّهر والنهر ، وقدّره بالتشديد تقديراً بمعنى واحد .

وقيل للحسين بن الفضيل[٥] : أليسَ قد قدّر الله المقادير قبل أن يخلق

---

(١) **الأموى** : أحمد بن محمد بن عفيف بن عبد الله الأموى القرطبى ، من مؤلفاته : « آداب المعلمين » ، و« الاحتفال فى أعلام الرجال » . انظر : « معجم المؤلفين » (٢٧٨/١) .

(٢) **الزَّجّاج** : إبراهيم بن السرى بن سهل الزجاج أبو إسحاق ، النحوى اللغوى المفسر ، له من الكتب : « معانى القرآن » ، و« مختصر النحو » ، توفى سنة (٣١١ هـ) .

انظر : « شذرات الذهب » (٢٥٩/٢) ، و« تهذيب الأسماء » للنووى (١٧٠/٢) .

(٣) سورة القمر ، الآية (٤٩) . (٤) سورة الدخان ، الآية (٤) .

(٥) ذكره البغوى فى « تفسيره » (٥٠٩/٤) بلفظه ، ومنه ينقل المصنف (رحمه الله) ، =

السموات والأرض ؟ **قال** : نعم ، **قيل** : فما معنى : ليلة القَدْر ؟ **قال** : ليلة سوق المقادير إلى المواقيت ، وتنفيذ القضاء المقدور .

وقال الأزهرى[1] : هى ليلة العظمة والسرور من **قول الناس** لفلان عند الأمير : قدّر : أى جاه ومنزلة ، **ويقال** : قَدَّرْتُ فلاناً : أى عَظَّمْتُهُ ، قال تعالى : ﴿ **وَمَا قَدَرُواْ اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ...** ﴾[2] : أى ما عَظَّمُوه حَقَّ عظمته ، **وقيل** : لأن العمل الصالح يكون فيها ذا قدر عند الله لكونه مقبولًا . انتهى .

هذا ومن الغريب ما ذكره **البغوى**[3] أنه قيل : إن ليلة القدر أول ليلة من رمضان ، وقال فى « بستان الواعظين » **للسّمرقندى**[4] عن عمرو بن عبد الرحمن[5] عن عبادة بن الصامت[6] (رضى الله عنه) **قال** : أخبرنا رسول الله ﷺ عن ليلة القدر فقال : « هِيَ فى شَهْر رمضَان فى العَشْر الأوَاخر ليلة إِحدى وعشرين ، أو ثلاث وعشرين ، أو خمس وعشرين ، أو سبع وعشرين ، أو تسع وعشرين ، أو آخر ليلة فى رمضان »[7] .

= والحسين بن الفضيل ، عابد زاهد من أئمة الورع والتقوى ، ذكره ابن الملقن فى « طبقات الأولياء » (٦٩) .

(١) فى (خ) ، والمطبوع : الزهرى ، والتصحيح من « تفسير البغوى » (٥٠٩/٤) الذى ينقل عنه المصنف .

(٢) سورة الأنعام ، الآية (٩١) .

(٣) ذكره فى « تفسيره » (٥١٠/٤) عن أبى رزين العقيلى .

(٤) سبق ترجمته .

(٥) عمرو بن عبد الرحمن بن أُميّة التميمى ، ذكره ابن حبان فى الثقات ، وقال الذهبى : لا يعرف . انظر : « تهذيب التهذيب » (٦٩/٨) .

(٦) **عبادة بن الصامت** : ابن قيس بن أصرم الأنصارى ، كنيته أبو الوليد ، شهد بدراً مع النبى ﷺ ، توفى بالشام سنة (٣٤ هـ) . انظر : « الإصابة » (٢٦٨/٢) ، و« التجريد » (٢٩٤/١) .

(٧) رواه أحمد فى « مسنده » (٣١٨/٥) بهذا اللفظ ، ورواه الطبرانى فى « معجمه الكبير » ، وقال الهيثمى (١٧٥/٣) : « فيه عبد الله بن محمد بن عقيل ، وفيه كلام ، وقد وثق » ، وقال الحافظ ابن حجر : رجاله ثقات فى « الخصال المُكَفِّرة » (٢٩) ، وله شواهد كثيرة ، وعزاه السيوطى فى « الدر المنثور » (٦٣١/٦) إلى ابن جرير ، والبيهقى ، وابن نصر .

وعن **أبي هريرة** (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : « وَالَّذِى بَعَثَنى بالحَقِّ نَبيًّا لَقَد أَخْبَرنى جِبْريل عن إسرافيل عن رَبّ العزَّة أنه **قال** : وعزَّتى وجَلَالى ، وجُودى ومَجْدى وارتفَاعى فى مكانى ، مَنْ أَحْيَا لَيلَة القَدْر مِنْ عِبَادِى وإمائى غَفَرْت لهُ ذُنُوبه ، ولو كانَ مصرًّا على الكبائر »[1] .

وقال (عليه الصلاة والسلام) : « وَالَّذِى بَعَثَنِى بالحَقّ نَبيًّا إنَّ جِبْريل **قال** : مَنْ أَحْيَا لَيلَة القَدْر قَضَى الله لهُ أَلف حَاجَة ، وإنْ كانَ قدر عليه الشّقاوَة حَوَّلَهُ الله تعالَى سَعيداً »[2] .

وقال ﷺ : « مَنْ قَرأ آيَة الكرسى لَيـلَة القَدْر كانَ أَحبّ إِلَى الله من أن يختم القُرآن فى غيرها من اللَّيالى »[3] .

وعن **عبد اللّـه بن مسعود** (رضى الله عنه) قال : « لقد أَحْيَيت أنا وأبو بكر وعمر وعثمان وعليّ وسلْمان الفَارسى (رضى الله عنهم) فى بيت رسول الله ﷺ ليلَة سبع وعشرين من شَهْر رمضَان ، فصلَّى بنا إلى الصّباح ، فقلنا : يا رسول الله لَقَد أَمْدَدْت بنا فى هَذه اللَّيلَة ، وما فترت حتَّى أَصْبَحنَا ، فما يُقال لهـذه اللَّيلَة ؟ قال : لَيلَة القَدْر »[4] . انتهى .

وقال فى « بستان الواعظين » : **قال محمد بن كعب**[5] (رضى الله عنه) : اجتمع جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ عند عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) فتذاكروا ليلة القدر ، وكانَ منهم عبد الله بن عباس (رضى الله عنهما)

---

(١) ، (٢) ، (٣) هذه الأحاديث لم أقف عليها فى كتب السُّنَّة المتوفِّرة لدىّ ، وكثيراً ما يذكر أبو الليث السمرقندى أحاديث لا أصل لها .

(٤) ورد نحوه عن النعمان بن بشير رواه محمد بن نصر فى (قيام الليل) ، والحاكم وصححه كما فى « الدّر المنثور » (ج ٦/٦٣٦) .

(٥) **محمد بن كعب** : بن سُليم القرظى المدنى ، كان أبوه كعب من سبى قريظة ، وكان من أفاضل أهل المدينة علماً وفقهاً ، وتُوفى بها سنة (١١٨ هـ) كان يحدث فى المسجد فسقط عليه ، وعلى أصحابه سقف المسجد فمات هو ، وجماعة .

انظر : « تهذيب التهذيب » (٩/٤٢٠) ، و « الكاشف » (٢/٨١) ، و « الثقات » للعجلى (٤١١) .

فتكلَّم كُلّ وَاحد منهُم بما سَمعَ مِنْ رَسُول الله ﷺ ، وابن عباس (رضى الله عنهما) ساكت ، **فقال عمر** (رضى الله عنها) : مالك لا تَتكلَّم يا ابن عباس ؟ تَكَلَّم ، ولَا تمنعك الحَدَاثة ، **فقال** : إنَّ الله تعالَى وِترٌ يُحبُّ الوتْر ، وقَدْ جَعلَ الله أَيّام الدُّنْيا تَدور علَى سَبْع ، وخَلقَ الإنسان مِنْ سَبع ، وخَلقَ أَرْزَاقنَا من سَبع ، وجَعلَ فَوْقَنَا سَبْع سَمَوات ، وجَعلَ تَحتنَا سَبع أَرضين ، وجَعلَ البحَار سبعاً ، وجعلَ أَعضَاء السُّجُود سبعاً ، وحَرَّمَ من نكاح الأَقربين سبعاً ، وجعلَ رَمْى الجِمَار سبعاً ، وأَظُنّ والله أعلم أنها اللَّيلَة السّابعة من العَشْر الأَواخر من رمضَان ، فَتَعجَّب عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) ، **وقال** : يا قَوم مَنْ كانَ يروى هذا كما رواه ابن عباس (رضى الله عنهما) [1] . انتهى .

وما ذهب إليه ابن عباس (رضى الله عنهما) ذهب إليه أُبَىّ بن كعب (رضى الله عنه) فقد رُوِىَ عن **زر بن حُبيش** [2] أنه **قال** : « سمعتُ أُبَىّ بن كعب (رضى الله عنه) يقول : والله الَّذِى لَا إِلٰهَ إِلَّا هو إنها فى رمضَان يحلف ، ولا يستثنى ، ووالله إِنِّى لأَعلم أَى لَيلَة هى التى أَمَرنَا رسول الله ﷺ بقيامها ، وهى لَيلة سبع وعشرين » [3] ، وقد ذهب الإمام **أحمد بن حنبل** إلى ما ذهب إليه **ابن عباس** [4] (رضى الله عنهما) ، ثم إنى لم أسمع من أحد ممَّن

---

(١) رواه ابن سعد فى « الطبقات » ، وعبد بن حميد فى « مسنده » عن سعيد بن جبير عن عمر ابن الخطاب (رضى الله عنهم) ، ورواه أبو نعيم فى « الحلية » بهذا السياق الذى ذكره المصنف .
انظر : « الدّر المنثور » للسيوطى (٦٣٥/٦) ، وذكره ابن حجر فى « الفتح » (٣٠٨/٤) ، وعزاه إلى الحاكم وإسحاق بن راهويه .

(٢) زر بن حُبيش بن حُباشة الأسدى الكوفى ، قال ابن عبد البر : كان عالماً بالقرآن قارئاً فاضلًا ، تُوفى سنة (٨٢ هـ) . انظر : « تهذيب التهذيب » (٣٢١/٣) ، و« الكاشف » (٢٥٠/١) ، و« رجال مسلم » (٢٢٨/١) .

(٣) رواه البيهقى فى « شعب الإيمان » (ج ٣٣٠/٣ - رقم ٣٦٨٥) ، ورواه ابن أبى شيبة فى « المصنف » بلفظ : « كان عمر وحذيفة وجماعة من أصحاب النبى ﷺ ... » فذكره « المصنف » (٣٢٤/٢) ، وانظر : « الدّر المنثور » (ج ٦٣٤/٦) .

(٤) انظر أقوال الصحابة والأئمة فى ليلة القدر فى « المصنف » لابن أبى شيبة (٣٢٥/٣ - =

اجتمعت به ممَّن رآها أنه رآها في غير العشر الأخير ، والذى سمعت منه أنه إنما رآها فيه .

وقوله: « وَلَا تَمْنَعكَ الحَدَاثَة » بفتح الحاء ؛ لأن فعالة من الأُمور الجِبلِّيَّة بالفتح كالسّماحة والظّرافة ونحوهما .

وقال فى « القاموس » [1] : حَدث حُدُوثاً وحَدَاثة نقيض قَدُم ، وتضم داله إذا ذكر مع قدم . انتهى .

وقوله : « وَخَلقَ الإنسان من سَبع » : أشار به إلى قوله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ** ﴾ إلى قوله : ﴿ ... **فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ** ﴾ [2] . والمراد بالإنسان المخلوق من الطِّين : آدم (عليه السلام) ، والسلالة : من سَلَلْتُ الشىء من الشىء : إذا استخرجته منه ، فهى خُلاصة الطِّين .

وقوله : ﴿ **ثُمَّ جَعَلْنَاهُ** ﴾ : أى الإنسان الذى هو نسل آدم (عليه السلام) ، وخلقنا الواقع بعد جعلنا فى المواضع الثلاثة بمعنى صيرنا .

﴿ **ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ** ﴾ : أى بنفخ الرُّوح فيه . انتهى من « الجلالين » [3] .

ثم قُلْت : وَحَمْلُهُ الإنسان المذكور أوّلًا على آدم (عليه السلام) هو أحد احتمالين ، والثانى أنه كلُّ فرد من أفراد النوع الإنسانى ، وذلك لأن كلّ فرد مخلوق من نُطفة ، وهى ناشئة عن الغذاء النَّاشِئ عن النَّبات النَّاشِئ عن الأرض ، وهذا يفيده ما ذكره الشيخ **ناصر الدين اللقانى** [4] ، فإنه سُئِلَ عن

= ٣٢٧) ، و« تفسير البغوى » (٥١٠/٤) ، « شعب الإيمان » (ج ٣٢٩/٣) ، و« فتح البارى » (٣٠٨/٤) .

(١) « القاموس المحيط » (١٧٠/١) .

(٢) سورة المؤمنون ، الآيات (١٢ ، ١٣ ، ١٤) .

(٣) أى : « تفسير الجلالين » (٤٤٦) .

(٤) هو العلَّامة محمد بن حسن بن على اللقانى المالكى ، عالم فاضل ، تُوفى بالقاهرة ، من =

قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِى آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ... ﴾ [1] الآية ؟

قال بعض المفسرين : أخرج البزار وغيره عن أبى موسى (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ الله جَلَّ ذكره يَوْم خَلقَ آدَم قبض قبضتين من صُلبه فوقَعَ كُلّ طَيِّب بيمينه ، وكلّ خَبِيث فى يَده الأُخرى ، فقال : هؤلاءِ أَصحاب الجَنَّة ، ولا أُبالى ، وهؤلاءِ أَصحاب النَّار ، ولا أُبالى ، ثُمَّ أَعادهُم فى صُلب آدم ، فَهُم ينسلُون على ذلك إلى الآن » [2] وذكر أحاديث أُخر بمعنى ذلك ، وفى ذلك دلالة على بنى آدم مخلوقون كلُّهم الآن فى أصلَاب آبائهم ، ويؤيده أنه (عليه الصلاة والسلام) قال : « لَمْ أَزَلْ أُنْقل من الأَصْلَاب الطَّيِّبَة إِلَى الأَرحَام الطَّاهرة حتى خرجت من ظهر أبى » [3] أو ما هذا بمعناه .

وقال الفخر الرازى فى تفسير قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً ﴾ [4] فى سورة نوح ما معناه : أن الله تعالى خلق النّبات من الأرض ، وجعله أغذية لنا ، وخلق من الأَغْذية المَنى ، وخُلقْنَا من ذلك المَنى ، وهذا يدل على أن الخَلْق من المنى الذى يحدث الآن ، وهو يخالف ما تقدّم ، فما الجمع بينهما [5] ؟ فأجاب (رحمه الله تعالى) بقوله : المراد بالقبضتين المذكورتين فى الحديث : أرواح بنى آدم على ما ذهب إليه بعض أهل السُّنة والجماعة من أن الأرواح خُلقَتْ قبل الأجسام ، واستدل عليه بما رواه من قوله

= آثاره : « شرح مختصر المنتهى » ، و« شرح منظومة ابن رشد » . توفى سنة (٩٥٧ هـ) . انظر : « معجم المؤلفين » (٢٢٦/٣) .

(١) سورة الأعراف ، الآية (١٧٢) .

(٢) رواه البزار « كشف الأستار » (٢١/٣ - رقم ٢١٤٣ ك : القدر » ، وقال الهيثمى : رواه البزار والطبرانى « الكبير والأوسط » : « وفيه روح بن المسيب . قال ابن معين : صويلح ، وضعفه غيره » . انظر : « جمع الزوائد » (١٨٦/٧) .

(٣) ذكره الشوكانى فى « الفوائد المجموعة » فى الأحاديث الموضوعة (ص ٣٢٠) ، قال السيوطى : هو موضوع وضعه بعض القُصاص ، وانظر : « اللآلى المصنوعة » للسيوطى (ج ٢٦٤/١) ك : المناقب .

(٤) سورة نوح ، الآية (١٧) .

(٥) « التفسير الكبير » للرازى (١٤٢/٣٠) .

(عليه الصلاة والسلام) : « خَلَقَ اللهُ الأَرْوَاحَ قَبْلَ الأَجسَادِ بألفي عام »[1] .

وقد نقل **ابن القاسم عن عبد الرحمن بن خالد** : أنَّ الرُّوح ذو جسد وذو يدين ورجلين ، وأُذنَين ورأس ، تُسَلّ من الجسد سلًّا ، ومراد **الفخر الرازى** بالضَّمير فى قوله : وخلقنا من ذلك المَنى الأبدان دون الأرواح فمضمون ذلك كلّه : أن الأرواح استخرجت من ظهر آدم ، ثم أُعيدَتْ فيه وصارت تنتقل مع النُّطَفِ من الأَصلَاب للأَرحام إلى أن حصل كلُّ روح فى بدنها المخلوق من نُطفته المختصة به ، فلا تعارض إذن بين الحديث والتفسير ، والله تعالى أعلم . انتهى .

وقوله : « خَلَقَ أَرزاقَنا مِنْ سَبع » : أشار به لما يفيده قوله تعالى : ﴿ **فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا** ﴾[2] كالحنطة والشَّعير ، ﴿ **وَعِنَباً وَقَضْباً * وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً * وَحَدَائِقَ غُلْباً * وَفَاكِهَةً وَأَبًّا** ﴾[3] .

قال فى « تفسير الأخوين » : القضب : هو التِّبْن للعلف ، وقال فى قوله تعالى : ﴿ **وَحَدَائِقَ** ﴾ : أى بساتين ، و﴿ **غُلْباً** ﴾ : أى عظاماً لكثرة أشجارها ، ﴿ **وَفَاكِهَةً** ﴾ : أى ثِمَاراً رطبة غير ما تقدّم ، ﴿ **وَأَبًّا** ﴾ : مرعى الدَّواب كالحَصِيد للآدمى ، ويابس الفواكه .

وحديث : « خُلِقْتُم من سَبع ، وَرُزِقْتُم مِنْ سَبع ، فاسْجُدُوا على سَبع »[4] يؤيد الأوّل . انتهى .

---

(١) ذكره العَجْلونى فى « كشف الخفا » (ج ١/٢٦٥) ، وقال : حديث ضعيف جدًّا فلا يعول عليه ، وكذا قول ابن عباس (رضى الله عنهما) : « خلق الله الأرواح قبل الأجسام بأربعة آلاف سنة » . قال ابن حجر فى « فتاويه الحديثية » : باطل .

(٢) سورة عبس ، الآية (٢٧) .

(٣) سورة عبس ، الآيات (٢٨ - ٣١) .

(٤) ذكره القرطبى بهذا السياق فى « تفسيره » (١٩/٢٢٣) ، ولم يُبين مخرجه ، ولكنه ضعفه فقال : رُوِىَ « والسجود على سبع » ثابت فى « الصحيحين » بلفظ : « أُمِرْت أن أسجُد على سبعة أعظم » رواه البخارى ك : الأذان (٨١٥ ، ٨١٦) ، ومسلم ك : الصلاة (٢٣٠) .

فقد فسر القَضْبَ بالعَلَف ، وفسر قوله : ﴿ أَبًّا ﴾ : بمرعى الدّواب اليابس ، وهو غير العلَف ، إذ ما يرعى غير ما يعلف ، وفسر قوله : ﴿ حَدَائِقَ غُلْباً ﴾ : بالبساتين الكثيرة ، وهـذه إنما تكون من الخمسة ، وليست أمراً زائداً عليها ، إذ لا يُقَال للقَضْب : بستان ، وكذا الأبُّ ، فلا يعدّ الحدائق واحداً من السّبعة ، وقد جاء في الحديث : « أَنهُ ﷺ كانَ إِذَا دَخلَ العَشْر من رمضَان شَدّ مِئْزَرَهُ وأَحْيَىٰ لَيْلَهُ وأَيْقَظَ أَهْلَهُ »[1] (**ق د ن ه**) عن عائشة (رضى الله عنها) قاله فى « الجامع الصغير » .

قال مُحَشِّية : إذا دخل العشر : أى الأخير من رمضان ، وصرح به حديث علىّ (رضى الله عنه) عند **ابن أبى شيبة**[2] ، **قوله** : « شَدّ مِئزره » بكسر الميم مهموز ، وهو الإزار : أى اعتزل النساء ، وبذلك جزم **عبد الرزاق**[3] عن **الثورى**[4] ، واستشهد بقول الشاعر :

قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا شَدُّوا مَآزِرَهُم ... عَـن النِّسَـاء وَلَوْ بَاتَـتْ بأَطْهَـار

وقال الخطابى[5] : يحتمل أن يريد به الجدّ فى العبادة كما **يقال** : شددّت لهذا الأمر مئزرى : أى شمّرت له ، ويحتمل أن يريد به التَّشمُّر والاعتزال

---

(١) رواه البخارى ك : فضل ليلة القدر (٢٠٢٤) ، ومسلم ك : الاعتكاف (١١٧٤) ، والبغوى فى « شرح السُّنة » (١٨٢٩) ، ورواه الترمذى ك : الصوم (٧٩٥ ، ٧٩٦) .

(٢) رواه ابن أبى شيبة كما ذكر المصنف ك : الصيام (٣٢٧/٢ - رقم ٩٥٤٤) .

(٣) **عبد الرزاق** : ابن همام بن نافع اليمانى الصنعانى ، أحد أئمة الحفظ والحديث ، توفى سنة (٢١١ هـ) . انظر : « تهذيب التهذيب » (٣١٠/٦) ، و« الكاشف » (١٧١/٢) ، و« الثقات » لابن شاهين (١٨٠) .

(٤) سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى ، كان من سادات أهل زمانه فقهاً وورعاً وحفظاً وإتقاناً ، شمائله فى الصلاح والورع أشهر من أن تحتاج إلى ذكرها ، تُوفى سنة (١٦١ هـ) . انظر : « تهذيب التهذبب » (١١١/٤) ، و« الكاشف » (٣٠٠/١) ، و« مشاهير علماء الأمصار » (١٦٩) .

(٥) **الخطابى** : حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب الخطابى ، إمام محدث فقيه ، له « شرح غاية الحُسن على كتب السُّنة » ، و« تتابع العلماء فى الاعتماد عليها » ، تُوفى سنة (٣٨٨ هـ) . انظر : « طبقات الشافعية » لابن السبكى (٢١٨/٢) ، و« مقدم معالم السنن » (١٧/١) .

معاً [١] واستعماله فى كلا هذين مجاز ، ويحتمل أن يراد به الحقيقة والمجاز كمن يقول : طويل النجاد لطويل القامة ، وطويل علاقة السّيف ، وحقيقة النّجاد : علائق السَّيف ، فاستعماله فى طول القامة مجاز ، فيكون المراد شدّ مئزره حقيقة فلم يحلّه ، واعتزل النساء ، وشمّر للعبادة ، **قلت** : وقد وقع في رواية « شدّ مِئْزَره، واعتزل النساء » ، فعطف واعتزل بالواو ، فيقوى الاحتمال الأول . انتهى .

وقوله : « أَى اعتزل النِّساء » ، **قال ابن رجب** : وهو الصّحيح فى « تفسيره » ، **وقوله** : **وقال الخطابى** : ويحتمل أن يريد به الجدّ فى العبادة ردّه **ابن رجب بقوله** : وفيه نظر فإنها **قالت** : جدّ وشدّ المِئْزَر ، فعطف شدّ المِئْزَر على جدّ .

وقوله : « وأَحْيى لَيلَه » : أى أسهر ليله إحياء بالطاعة ، أو أحيى نفسه بسهره فيه ؛ لأن النّوم أخو الموت ، وأضافه إلى اللّيل اتساعاً ؛ لأن النَّائم إذا أحيى باليقظَة حيى ليله بحياته ، وهو نحو قوله : « لَا تَجعَلُوا بُيُوتكُم قُبوراً » [٢] : أى لا تناموا فتكون بيوتكم كالقُبور .

وقوله : « لأَنَّ النَّوْم أَخُو المَوْت » نحوه ما أخرجه ابن حاتم ، والبيهقى عن عبد الله بن أبى أَوْفَى (رضى الله عنه) قال رجل : يا رسول الله إِنَّ النَّوْم ممَّا تقربه أعيننا فى الدُّنيا ، فَهَل فى الجَنَّة نَومٌ ؟ فقال : « لَا . النَّوْمُ شَرِيكُ المَوْتِ » [٣] ، وليس فى الجَنَّة موت ، قال : فما راحتهم ؟ فعظُمَ ذلك على رسول الله ﷺ وقال : « لَيسَ فيهَا لُغوب ، كلّ أَمرهم رَاحَة » [٤] فنزل ﴿ ... **لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ** ... ﴾ [٥] الآية .

---

(١) انظر : « معالم السنن » للخطابى (٢٨٢/١) .

(٢) رواه أبو داود (٢٠٤٢) ، وأحمد فى « المسند » (٣٦٧/٢) .

(٣) هذا القدر صحيح ، رواه أبو نعيم فى « الحلية » (٩٠/٧) ، والعقيلى (٣٠١/٢) والطبرانى فى « الأوسط » ، والبزار « كشف الأستار » (١٩٤/٤ - رقم ٣٥١٧) ، وقال الهيثمى : رجاله رجال الصحيح ، وله شاهد مرسل عن محمد بن المنكدر رواه ابن المبارك فى « الزهد » (٢٧٩) .

(٤) رواه ابن أبى حاتم ، وابن مَرْدويه ، والبيهقى فى « البعث » عن عبد الله بن أبى أوْفى (رضى الله عنه) ، كما فى « الدر المنثور » (٤٧٦/٥) .

(٥) سورة فاطر ، الآية (٣٥) .

وفى « الجامع الصغير » أيضاً : « كانَ إِذَا دَخلَ رمضَان تَغَيّر لَوْنه وكَثُرتْ صَلَاته ، وابْتَهل بالدُّعاء ، وأشْفَق لونه »[1] (**هب**) عن عائشة (رضى الله عنها) .

وقوله : « وأشْفَق لونه » : أى صار كَلَون الشَّفق ، وهذا لولا الإطْناب لكان يغنى عند قوله : « تَغَيّر لونه » **قال شارحه**[2] ، وقال « فى تَغيّر لَوْنه » : أى بالصُّفْرة أو بالحُمْرة كما يعرض للخائف خَشية من أن يعرض فيه ما يقصره عن الوفاء بحقّ أداء العبودية فيه . انتهى .

جـودُ النَّبِـىّ ﷺ :

قلت : الذى فى كلام بعضهم أن الذى يَعْرُض للخائف الصّفرة فقط ، والذى يَعْرُض للقادم على الغير الحُمْرَة فقط ، وأما المتردّد بينهما ، فيعرض له كلّ منهما : أى من الحُمرة والصُّفرة على التعاقب ، وإذا علمت هذا فيمكن حمل قوله فى الحديث : « تَغَيّر لَوْنه » على التغير بالصُّفْرَة لحصول الخَوْف من التَّقصير فى أداء العبَادَة ، **وقوله** : « وَأَشْفَق لَوْنه » فى حالة الرّجاء على القُدْرَة على العبادة ، وحينئذ فلا يغنى الأوّل عن الثانى ، وبهذا يظهر ما فى كلامه أوّلًا وآخراً هذا ، وفى الحديث : « أنه ﷺ كانَ أَجْوَد النَّاس ، وكانَ أَجود ما يكون فى رمضَان حين يَلْقَاه جبريل فيدارسه القُرآن ، وكانَ جبريل يَلقَاه كُلّ لَيلَة فيدارسه القُرآن ، فرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أَجْوَد بالخَيْر من الرّيح المُرْسلة »[3] .

كذا فى « الصحيحين » عن ابن عباس (رضى الله عنهما) وخرجه الإمام أحمد بزيادة فى آخره : « وَهُوَ لَا يُسأَل عن شَىء إِلَّا أَعْطَاه »[4] قاله **ابن رجب** .

---

(١) ذكره السيوطى فى « الجامع الصغير » (٦٦٨١) ، وقال المُناوى فى « فيض القدير » (١٣٢/٥) : فيه عبد الباقى بن قابع ، قال الدَّارقطنى : يخطئ كثيراً ، وضعفه السيوطى .

(٢) راجع « فيض القدير للمناوى (١٣٢/٥) .

(٣) رواه البخارى ك : بدء الوحى (٣٠/١) ، ك : الصوم (١٩٠٢) ، ومسلم ك : الفضائل (٥٠ - [٢٣٠٨]) ، وأحمد فى « مسنده » (٢٨٨/١ ، ٣٦٣) .

(٤) « المسند » للإمام أحمد (٢٨٨/١ ، ٣٦٣ ، ٣٦٧) .

وفى « الجامع الصغير » : « كانَ إِذَا دَخلَ رمضَان أطلق كُلَّ أَسير ، وأعطى كلَّ سائل »[1] (هب) عن ابن عباس (رضى الله عنهما) ، وابن سعد عن عائشة (رضى الله عنها) . انتهى .

وقال ابن رجب أيضاً : « وَإِنما كانَ أَجْوَد النَّاس ؛ لأَنَّ الله جبله علَى أَكمل الأَخلاَق ، وأَشرفَها كما فى حديث أبى هريرة (رضى الله عنه) عنه (عليه الصلاة والسلام) قال : « إِنَّمَا بُعثْت لأُتَمِّم مَكَارم الأَخلاَق »[2] ، وذكره مالك فى « موطئه »[3] مرسلًا .

وأخرج **ابن عدى**[4] بإسناد فيه ضعف من حديث أنس (رضى الله عنه) مرفوعاً : « ألا أخبركُم بالأَجوَد . الأَجود الله ، وأنَا أَجوَد بنى آدم ، وأَجودهُم من بَعدى رَجُل علم علماً فنشَرَ علْمهُ يُبعَث يَوْم القيَامة أُمَّة وحدهُ ، ورجُل جَادَ بنفسهِ فى سبيل الله تعالى »[5] . فدلّ هذا على أنه ﷺ أجود بنى آدم على الإطلاق ، كما أنه أفضلهم ، وأعلمهم وأشجعهم ، وأكملهم فى جميع الأوصاف الحميدة ،

---

(١) ذكره السيوطى فى « الجامع الصغير » (٦٦٧٩) ، وضعفه ابن الجوزى ، والسيوطى « فيض القدير » (١٣١/٥ - ١٣٢) .

(٢) حديث صحيح رواه أحمد (٣٩٨/٢) ، والبخارى « الأدب المفرد » (٢٧٣) ، وابن سعد « الطبقات » (١٩٢/١) ، والحاكم فى « المستدرك » (٦١٣/٢) ، والبيهقى (١٩٢/١٠) ، وصححه الحاكم وأقرّه الذهبى .

(٣) رواه الإمام مالك فى « الموطأ » بلاغاً ، وقال الحافظ ابن عبد البر : هو حديث صحيح متصل من وجوه صحاح عن أبى هريرة (رضى الله عنه) وغيره . انظر : « الموطأ » (٢١١/٢) .

(٤) **ابن عدى** : هو الإمام أبو أحمد عبد الله بن عدى الجرجانى ، ولد سنة (٢٧٧ هـ) ، وهو أحد أئمة الجرح والتعديل ، قال الخليلى : كان عديم النظير ، حفظاً وجلالة ، تُوفى بجرجان سنة (٣٦٥ هـ) . انظر : « شذرات الذهب » (٥١/٣) ، و« المُخبَّر » للذهبى (١٢١/٢) ، و« طبقات الشافعية » للسبكى (٣١٥/٣) .

(٥) رواه أبو يعلى الموصلى فى « مسنده » (١٧٦/٥ - رقم ٢٧٩٠) ، وابن حبان فى « المجروحين » (٣٠١/٢) ، وذكره ابن حجر فى « المطالب » (٣٠٧٧ - [٣٨٢٨]) ، وضعفه ابن حبان ، وذكره ابن الجوزى فى « الموضوعات » ، والهيثمى .
انظر : « مجمع الزوائد » (١٣/٩) ، و« اللآلئ المصنوعة » (٧٠٦/١) .

وكان جوده ﷺ بجميع أنواع الجود من بذل العلم والمال ، وبذل نفسه لله فى إظهار دينه ، وهداية عباده ، وإيصال النّفع العميم بكل طريق من إطعام جائعهم ووعظ جهالهم ، وقضاء حوائجهم ، وتحمل أثقالهم ، ومِمَّا يدل على جوده ما حصل منه بواقعة (هوازن) وستأتى ، ولم يزل ﷺ على هذه الخصال الحميدة منذ نشأ ، ولهذا قالت له **خديجة** [1] (رضى الله عنها) فى أوّل بعثته حين رجع لها من غار (خراء) بعد ما حصل له من جبريل (عليه السلام) ما حصل لما أمره بالقراءة : « واللهِ لَا يُخْزِيكَ [2] الله أَبداً : إنكَ لتصل الرَّحم ، وتُقرى الضَّيف ، وتحمل الكلّ [3] ، وتَكسب المعدُوم [4] ، وتُعين على نوائب الدَّهْر [5] » [6] ، ثم تزايدت هذه الخصال فيه بعد البعثة ، ثم تضاعفت أضعافاً كثيرة .

وفى « الصحيحين » عن أنس (رضى الله عنه) قال : « كانَ رَسُول الله ﷺ أَحْسَن النَّاس ، وأَشجَع النَّاس ، وَأَجْوَد النَّاس » [7] .

وفى « مسلم » قال : « مَا سُئِلَ ﷺ علَى الإسلاَم شيئاً إِلَّا أَعطَاه ، فَجاءَه رَجُل فأَعطَاه غنماً بين جبلين ، فرجعَ إِلى قومه ، **فقال** : يا قوم أَسْلِمُوا ، فإِنَّ مُحَمداً يُعْطى عَطَاءَ من لَا يخشى الفَاقة » [8] .

---

(١) **خديجة** : بنت خويلد بن أسد (رضى الله عنها) زوج النبى ﷺ ، وأول من وقف بجواره من الناس ، تُوفيت (رضى الله عنها) بمكة قبل أن يهاجر عنها رسول الله ﷺ بثلاث سنين . هكذا قال قتادة . انظر : « طبقات ابن سعد » (٧/٨) ، و « صفة الصفوة » (٢/٢) ، و « الإصابة » (٨١/٤) .

(٢) فى (خ) : يخزنك ، وهو خطأ ، والصواب ما فى المطبوع لأنه موافق لنص الحديث فى كتب السنة .

(٣) **الكَلُّ** : الضعيف .

(٤) بفتح التاء ، ونصب المعدوم : أى تصيب من المال ما لا يصيب غيرك ، وكانت العرب تتمادح بها فتقول : كان أكسبهم لمعدوم ، وأعطاهم لمحروم . انظر : « فتح البارى » (٣٤/١) .

(٥) **نوائب الدهر** : أى أحداث الزمان ونوازله .

(٦) رواه البخارى ك : بدء الوحى (٣) ، وبرقم (٣٣٩٢) ، (٤٩٥٣) .

(٧) رواه البخارى ك : الهبة (٢٦٢٧) ، وفى « الأدب » (٦٠٣٣) ، ومسلم ك : الفضائل ٤٨ - (٢٣٠٧) .

(٨) رواه مسلم ك : الفضائل ب : ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً إلا أعطاه ٥٧ - (٢٣١٢) .

وفى رواية له : « أنَّ رجُلًا سأل النَّبىّ ﷺ غنماً بين جبلين ، فَأَعطَاه إيّاها فأتى قومه ، فقال : يا قوم أَسْلمُوا ، فإِنَّ محمداً يُعْطى عَطَاءَ مَنْ لا يخاف الفَقر ، قال : وكانَ الرَّجل يُسْلِمُ ما يريد إلَّا الدُّنيا فما يمسى حتى يكون الإِسلَام أَحبّ إليه من الدُّنيا ، وما عليها »[1].

وفيه أيضاً عن **صفوان بن أُميّة**[2] قال : أَعطَانى رَسُول الله ما أَعْطَانى ، وإنه لمن أبغضِ النَّاس إلىّ فما برح يعطينى حتى أنه لأحبّ النَّاس إلىّ . قال **ابن شهاب** : أَعطَى يَوم حُنَيْن مائة من الغَنَم ، ثم مائة ، ثم مائة[3].

وفى مغازى **الواقدى**[4] : « أَنهُ ﷺ أَعطَى صفوان يومئذ وادياً مملُوءًا إبلًا وغَنَماً ، **فقال صفوان** : أَشْهَد ما طَابت بهذا إلَّا نفس نَبىّ »[5]، وإنما كان جوده يتضاعف فى شَهْر رمضَان زيادة على جوده فى غيره من الشُّهور ؛ لأن جود ربّه يتضاعف فيه ، وقد جُبِل ﷺ على حبِّ ما يُحبّه الله ، ولأنه كان يتلقَّى هو وجبريل (عليه السلام) فى رمضان ، وهو أَفْضَل الملائكة ، وأَكْرمهُم ويدارسه الكتاب الذى أتى به إليه ، وهو أشْرف الكتب وأَفضَلها ، وهو يحث على الإِحسان ومكارم الأخلاق ، وقَدْ كان ﷺ هذا الكتاب له خلقاً بحيث يرضى لرضاه ، ويسخط لسخطه ، ويسارع إلى ما حث عليه ، ويمتنع ممَّا زَجر عنه ، فلهذا كان يتضاعف جوده ، وأفضاله فى هذا الشَّهر لقُرْب عهده بمخالطته

---

(١) رواه مسلم ك : الفضائل ٥٨ - (٢٣١٢) .

(٢) **صفوان بن أمية** : ابن عمرو السلمى ، حليف بن أسد ، اخْتُلف فى شهوده بدراً ، وشهدها أخوه مالك بن أمية ، وقُتِلَا جميعاً باليمامة .

انظر : « الإصابة » لابن حجر (٣/٣٧٧ - رقم ٤١٦٥) ، و« الهداية والإرشاد » (١/٣٦٢) .

(٣) حديث هذا أخرجه مسلم ك : الفضائل ٥٩ - (٢٣١٣) .

(٤) **الواقدى** : محمد بن عمر بن واقد الأسلمى الواقدى ، عالم بالسير ، من تأليفه : المغازى ، واختلف العلماء فى توثيقه والاحتجاج به فى الحديث . انظر : « ميزان الاعتدال » (٣/١١٠) ، و« شذرات الذهب » (٢/١٨) ، و« البداية والنهاية » (١٠/٢٦١) .

(٥) انظر : قصة تقسيم الغنائم فى « عيون الأثر » لابن سيد الناس (٢/٢٢٠) و« محمد رسول الله » لصادق عرجون (ج ٤/٣٩٣) .

جبريل (عليه السلام) وكثرة مدارسته لهذا الكتاب الكريم الذى يحث على مكارم الأخلاق ، والجود .

وقد رأيت فى بعض الكتب بخطّ بعض العُلَماء ما نصه : حدّثنا الحسن عن أبى الحسن عن جدّه الحسن (رضى الله عنهم) : « أَنَّ أَحْسَنَ الحَسَنِ الخُلُق الحَسَن »[1]، ولم أره فى « الجامعين » **للسيوطى** ، والذى رأيته فى « الكبير » من « الجامعين » روى المستغفرى فى « المسلسلات » ، **وابن عساكر** ، **وابن النّجار** عن **الحسن بن حسَّان السّمنى**[2] عن **الحسن بن دينار**[3] عن الحسن ابن أبى الحسن البصرى عن الحسن بن علىّ (رضى الله عنهم) ، وفيه محمد ابن زكريا **الغلاءى**[4] ، **قال ابن سيده**[5] : تُكُلِّم فيه ، وقال الدَّارقطنى يضع الحديث ، وذكره **ابن حبان**[6] فى الثقات أن النّبىّ ﷺ قال : « إِنَّ أَحْسَنَ الحَسَنِ الخُلُق الحَسَن » فرواته أربع كلّ يسمّى الحسن ، والحسن الأخير

---

(١) حديث باطل رواه القضاعى « مسند الشهاب » (١٠٨/٢) ، وابن عساكر (١٨٩/٤) ، وذكره فى « الكنز » (٥١٥٢) ، وقال ابن الجوزى : هذا حديث مصنوع لا أصل له ، والحسن بن دينار قد كذَّبه أحمد ، وابن معين ، وإنما أراد التسلسل ، وتكلف من بعده ، وانظر : « كشف الخفا » (٢٦١/١) .

(٢) كذا فى (خ) والمطبوعة وهو خطأ ، والصواب : العبدى ، وهو الحسن بن حسان العبدى كما فى « فتح الوهاب » (١١٩/٢) ، و« مسند الشهاب » (١٠٩/٢) .

(٣) **الحسن بن دينار** : قال البخارى : تركه ابن معين ، وعبد الرحمن ، وابن المبارك ، ووكيع . انظر ترجمته فى « الميزان » (١٠/٢ - رقم ١٨٤٢) .

(٤) كذا فى الأصلين وهو خطأ ، والصواب : الغلابى ، قال فيه الذهبى بعد أن ساق له حديثاً : هذا كذب من الغَلابى ، ولا ينفعه ذِكْر ابن حبان له فى الثقات لأنه متساهل .

انظر ترجمته فى : « ميزان الاعتدال » للذهبى (٤٧٠/٤ - رقم ٧٥٣٧) .

(٥) كذا فى (خ) والمطبوعة ، وهو خطأ فادح ، فابن سِيدَه لغوى ليس له كلام فى الجرح والتعديل ، وصوابه : ابن منده ، وقد ذكر نصه الذهبى فى « الميزان » (٤٧٠/٤) فقال : قال ابن منده : تُكُلِّم فيه .

(٦) قال فيه ابن حبان : يعتبر بحديثه إذا روى عن ثقة . قلت : والصواب أنه ضعيف عند الجمهور كما سبق . انظر : « ثقات ابن حبان » (١٥٤/٩) ، و« الميزان » للذهبى (٤٧١/٤) .

يحتمل أن يكون روى عن جدّه ﷺ وهو الظّاهر ، ويحتمل أن يكون بينه وبينه أبوه فيكون موافقاً لما رَأيْتُه فى بعض الكُتُب ، ولا شك أن المخالطة تؤثر وتورث أخلاقاً من المخالط كما قال بعضهم :

بُنَيّ اجتنبْ كلّ ذى بِدْعَة وَلَا تصحَبنّ مَنْ بِهَا يُوصف[1]
فَيَسْرق طبعك من طبعه وَأَنتَ بِذَاك لَا تُعرف

وكان بعض الشُّعراء قَدْ امتدح ملكاً جواداً ، فأعطاه جائرة سنية ، فخرج بها من عنده ، وفرقها كلّها على النَّاس وقال :

لَمَسْتُ بكَفّى كفه أطلب الغِنَى وَلَم أَدرِ أن الجُود من كَفِّه يُعدى

فبلغ ذلك الملك ، فأضعف له الجائزة ، وقد قال بعض الشُّعراء يمدح بعض الأجْواد ، ولا يصلح أن يكون ذلك إلّا لرسول الله ﷺ :

تعوّد بَسْط الكَفّ حَتَّى لَو أَنه دَعاها لِقَبْض لم تُجبْه أَنَامِلُه
تُراه إذا ما جئته مُتَهلِّلا كَأَنَّك تُعْطيه الذى أَنتَ سَائله
وَلَو أن ما فى كَفّه غَيْر رُوحِه لَجَاد بها فَلْيَتّق الله سَائِلُهُ[2]
هُو البَحر من كلّ النَّواحى أَتيتَه فلُجّتُه المعروف والجود سَاحِلُه
يَمُرّ على الوادى فتبكى رِمالُه عليه وبالنَّادى فتبكى أَرَامِلهُ

وبكاؤهما لمفارقته لهما لا لمروره ، إذ فى حال مروره ينتفعان به ، وفى تضاعف جوده ﷺ فى شهر رمضان بخصوصه فوائد كثيرة منها ما تقدّم ، ومنها شرف الزّمان ومضاعفة أجر العمل فيه والله أعلم .

تتمة : فى إعراب قوله فى الحديث ، وكان أجود ما يكون فى رمضان اعلم أن أجود من قوله : وكان أجود ، يجوز رفع أجود على أنه اسم كان ،

---

(١) لأن مدخول المعتقد ، وفساد الطوية من الأمراض المعدية ، وهو ليس مقصوراً على صاحبه ، لكن يتعداه إلى غيره .

(٢) قد أجمع كثيرٌ من النُّقاد والشعراء والعلماء على أن هذا البيت هو أشعر بيت قالته العرب فى السخاء والجود كما ذكر التعالى فى « لباب الآداب » وغيره .

ونصبه على أنه خبرها ، وما فى قوله : ما يكون بالخير يحتمل أن تكون مصدريّة زمانية أو مصدريّة غير زمانية ، ولا تكون زمانية غير مصدرية بحال ؛ لأنها إنما تكون زمانية إذا كانت شرطية ، ولا تكون شرطية إلَّا إذا كانت اسماً كما يأتى ، ولا يصح أن تكون هنا شرطية فقط ، أو شرطية زمانية لاحتياجها إلى شرط وجواب ، وهو مفقود هنا كما يأتى عن « المغنى » ما يفيده ، وإذا تمهّد هذا فلا يصح رجوع ما يكون بالخير لأجود حيث كان منصوباً ؛ لأنه يلزم عليه الإخبار عن الذات بما لا يجوز الإخبار به عنها ، وذلك ؛ لأنها إذا جعلت مصدريّة فقط فالمعنى : كان (عليه الصلاة والسلام) أجود وجوده : أى إجزاء وجوده ، أو وجوداته ، ولا يخفى أنه لا يصح الإخبار عنه بأنه أجود وجوداته أو إجزاء وجوده ؛ لأن اسم التفضيل بعض ما يضاف إليه ، وإن جعلت مصدرية زمانية فالمعنى : كان (عليه الصلاة والسلام) أجود مدة وجوده أو أجود مدّة وجوداته ، ولا يخفى أنه لا يصح الإخبار عنه بأجود مدة وجوده أو وجوداته ، لكن إن قُدّر قبل الاسم مضاف كلفظ حال صحّ الإخبار حينئذ ، إذ التقدير كان حال النّبىّ (عليه الصلاة والسلام) أجود أكوانه أو أجود مدّة أكوانه ... إلخ ، وكلاهما يصحّ كونه خبراً عن المقدّر ، وكذا إذا جعل ما يكون بالخير فى رمضان منقطعاً عن أجود غير متعلّق به ، وجعل راجعاً لاسم كان المستتر[1] صحّ الإخبار بأجود عن اسمها المُقيّد بما ذكر ، وحينئذ تكون ما مصدريّة ظرفيّة فقط ، والتّقْدير كان النّبىّ ﷺ مدّة كونه بالخير فى رمضان أجود من نفسه بالخير فى غيره ، ولا يصح جعلها على هذا مصدريّة فقط ، ولا يخفى ما فى هذا من البعد ، وأما رجوع ما يكون بالخير لأجود حيث كان مرفوعاً فهو صحيح سواء جُعلت ما مصدرية فقط أو مصدرية زمانية ، إذ المعنى على الأوّل كان أجود وجوداته ، وإجزاء وجوده بالخير كائناً فى رمضان ، والمعنى على الثانى كان أجود مدّة وجوداته ، أو مدّة إجزاء وجوده كائناً فى رمضان ، وكلاهما صحيح .

---

(١) فى (خ) : المستقر .

فإن قُلْت : يلزم على الثانى ظرفيّة أجود مدّة وجوداته فى رمضان فيكون الزّمان مظروفاً فى الزّمان مع أن المظروف ، والظّرف متغايران .

قلت : المظروف والظّرف هنا شىء واحد ، إذ مدّة وجوداته التى اتّصَف فيها بكثرة الجود هى رمضان فالظرفية فى هذا كالظرفية فى قوله تعالى : ﴿ **لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** ... ﴾ [1] فأجودها هنا من الجود لا من الجودة إذ المعنى : أنه ﷺ أُسوة ، وعليه فيكون المعنى هنا : أن أجود وجوداته هى وجوده فى رمضان ، وهذا على أن ما مصدريّة ، أما على أنها مصدرية ظرفيّة فلا شك أن مدّة وجوده تشمل مدّة وجوده فى رمضان وفى غيره ، فيكون فى رمضان تخصيص بعد تعميم كجلست فى المسجد فى محرابه ، ثم إن لفظ « مدّة » فى هذا التركيب مجرورة لا منصوبة ، فهى كما فى قوله تعالى : ﴿ ... **كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ** ... ﴾ [2] ، فَهِىَ زمانية لا ظَرْفِية ، ثم لا يخفى أن المراد من إضافة أجود لوجوداته أو لإجزاء وجوده ، وهو الكائن فى رمضان أن جوده فيه أكثر من جوده فى غيره ، وليس المراد أن ذلك البعض أجود من غيره : أى أحسن من غيره من باقى الوجودات ، أو إجزاء الوجودات أو إجزاء الوجود ، ويجرى مثل ذلك فى أجود مدّة وجوداته أو إجزاء وجوده .

وما ذكرناه هو صحيح سواء **قُلنا** : إن وجود الشىء غيره أو عينه .

قال فى « المغنى » [3] فى أقسام ما الحرفية : الثانى أن تكون مصدريّة ، وهى نوعان : زمانية وغيرها فغير الزّمانية نحو : ﴿ ... **عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ** ... ﴾ [4] إلى أن قال : ﴿ ... **لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا** ... ﴾ [5] ، وليس هى هنا بمعنى

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية (٢١)　　(٢) سورة البقرة ، الآية ٢٠) .

(٣) **قوله فى « المغنى »** : يقصد كتاب العلاّمة ابن هشام « مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب » ، وما ذكره موجود فيه (ج ١٢٦/١) ،

(٤) سورة التوبة ، الآية (١٢٨) .　　(٥) سورة القصص ، الآية (٢٥) .

الذى ؛ لأن الذى سقاه لهم : أى لشعيب (عليه السلام) وبنتيه الغَنم ، وإنما الأجر على السّقى الذى هو فعله لا على الغنم ، فإن ذهبت تقدّر أجر سقى الذى سقيت لنا ، فذلك تكلف لا محوج إليه ومنه : ﴿ ... **بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ** ﴾ (1) ، ونحوه : ﴿ ... **آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ** ... ﴾ (2) ، وكذا حيث اقترنت بكاف التشبيه بين فعلين متماثلين إلى أن قال : والزَّمانية نحو : ﴿ ... **مَا دُمْتُ حَيًّا** ﴾ (3) ، أصله مدّة دوامى حيًّا ، فحذف الظّرف وخلفته ما وصلتها كما جاء فى المصْدر الصَّريح نحو : « جئتك صلاة العصر ، وأتيتك قُدوم الحاج » ، ومنه : ﴿ ... **إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ** ... ﴾ (4) ، ﴿ **فَاتَّقُواْ اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ** ... ﴾ (5) ، ولو كان معنى كونها زمانية أنها تدل على الزّمان بِذَاتها لا بالنيابة لكانت اسماً ، ولم تكن مصدريّة ، وإنما عدلت عن قولهم : ظرفية إلى قولى : زمانية ليشمل نحو : ﴿ ... **كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ** ... ﴾ (6) ، فإن الزّمان المقدّر هنا مخفوض : أى كلّ وقت إضاءة ، والمخفوض لا يسمَّى ظرفاً . انتهى المراد منه .

وقال فى ما الاسمية : إن من أقسامها أن تكون شرطية فقط أو شرطية ظرفية ، **فالأول** : كقوله تعالى : ﴿ ... **وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ** ... ﴾ (7) الآية ، والثانى : نحو ﴿ ... **فَمَا اسْتَقَامُواْ لَكُمْ فَاسْتَقِيمُواْ لَهُمْ** ... ﴾ (8) : أى استقيموا لهم مدّة استقاموا لكم ، ولا تكون ظرفية غير مصدريّة إلَّا الاسمية ، ولا يصلح إرادتها هنا ؛ لأنها تحتاج لشرط وجواب ، وقد نظمت ما فى « المغنى » **فقلت** :

مَا اللّت هِى اسْم مرّة شَرْطِيّة ... ومرّة شَرّطِيّة ظَرْفِيّة
كقولِه جَلّ فَمَا اسْتَقَامُوا ... بِسُورَةِ التَّوْبَة يا إِمَام
أى اسْتَقِيمُوا لَهُم فى مُدّة ... فِيهَا اسْتَقَامُوا لَكُم لا غيرتى

---

(1) سورة البقرة ، الآية (10) .
(2) سورة البقرة ، الآية (13) .
(3) سورة مريم ، الآية (31) .
(4) سورة هود ، الآية (88) .
(5) سورة التغابن ، الآية (16) .
(6) سورة البقرة ، الآية (20) .
(7) سورة البقرة ، الآية (215) .
(8) سورة التوبة ، الآية (7) .

وإن تَكُن حَرفاً فَمصْدريّة | أَوْ هِى عَنْ وَقْتٍ فَقَط نَائِبة
وَقَوْل مَنْ يَقُول مَصْدَرِيّة | ظَرْفِيّة مِنْه تَقُوم شبهة
إذْ لَوْ تَكون وُضعْت للمُدّة | كَانَتْ مِن الأَسْمَاء دُون شُبْهة
مِثَال الأُولى مَا عنتم وَالّتى | جَرت وَبَيْنَ جُمْلَتَين حَلّت
كَمثْل ما آمَنْتم والثّانية | كَقَوله : مَا دُمْتُ حَيًّا وافيه
ثُمَّ الّتِى تُفيد مَعْنى المُدّة | تَكون ظَرفاً كسوَاه إن جرت
ككلّما أَضَاء أَىْ كُلّ زَمن | لَهُمْ أَضَاء ما أَضا يَا مَن فَطن
وَلَا يَكون اسم الزّمَان اللّذ يجر | ظرفاً وهَذَا صَاحِب المُغْنى ذَكر

غَزْوَةُ حُنَيْن :

غَزْوَة (حُنَيْن) كَانَت بَعْد غَزْوَةِ (الفَتْح)، فإنَّه لما فتح الله مكة : أى لنبيه (عليه الصلاة والسلام) مَشَتْ أشْراف هوازن، وثقيف بعضهم إلى بعض وأشفقوا أن يغزوهم رسول الله ﷺ وقالوا : والله إن محمداً لاقى قوماً لا يحسنون القِتَال، فأجمعوا أمركم فسيروا فى النَّاس وسيروا إليه قبل أن يسير إليكم، فأجمعت هوازن أمرها جمعها مالك[1] بن عوف بن سعيد بن ربيعة النصرى بالنون والصّاد المهملة وأسلم بعد ذلك، واجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلّها ومضر وآخرون، ثم ساق مالك معهم نساءهم وأولادهم وأموالهم ليكون ذلك حاملًا لهم على الثبات وشدّة القتال .

ولما بلغ رسول الله ﷺ خبر هوازن وما عزموا عليه أراد التوجه لقتالهم، واستخلف **عتّاب بن أَسِيد**[2] بفتح الهمزة وكسر السين أميراً على أهل مكة

(١) ذكره ابن حجر فى « الإصابة »، ونقل عن ابن إسحاق قوله : كان مالك رئيس المشركين يوم حنين، ثم أسلم، وكان من المؤلفة، وصَحِبَ، ثم شهد القادسية وفتح دمشق .
انظر : « الإصابة » لابن حجر (ج ٥/٥٥٠ - رقم ٧٦٨٩) .

(٢) عَتَّاب بن أسيد بن أبى العيص بن أمية الأموى، قال ابن عبد البر : استعمله النبى ﷺ على مكة عام الفتح، فى خروجه إلى حنين، ولم يزل والياً إلى أن مات، فكانت وفاته فيما ذكر الواقدى يوم مات أبو بكر الصديق (رضى الله عنه)، توفى سنة (٢١ أو ٢٢ هـ) .
انظر : « تهذيب التهذيب » لابن حجر (٩٠/٧) .

ومعاذ بن جبل[1] معلماً لهم السُّنن والفقه ، ثم إن مالكاً قال لأصحابه : إذا كان السَّحَرُ فصفوا مواشيكم ونساءكم وأبناءكم من ورائكم ، ثم اصطفوا ، ثم تكون الحملة منكم ، واكسروا جفون سيوفكم ، وألقوه بعشرين ألف سيف مكسرة الجفون ، واحملوا حملة رجل واحد ، واعلموا أن الغلبة لمن حمل أوّلًا .

وخرج (عليه الصلاة والسلام) لملاقاة القوم فى اثنى عشر ألفاً ، عشرة آلاف من أهل المدينة ، منهم أربعة آلاف من الأنصار ، وباقى العشرة من غيرهم ، وألفان من أهل مكة ، وذكر كثير من أهل **المغازى**[2] أن المسلمين لما نزلوا وادى (حُنَيْن) تقدّم منهم كثير ممن لا خبرة لهم بالحرب ، وغالبهم من شبّان أهْل مكّة فخرجت عليهم الكمائن كلّ جهة ، فحملوا حملة رجل واحد والمسلمون غارون ففرّ مَن فَرّ وبلغ أقصى هزيمتهم مكة .

دُعَاءُ النَّبِىّ ﷺ يَوم حُنَيْنْ :

وروى **ابن إسحاق** ، **والإمام أحمد** عن جابر بن عبد الله وعبد الرّزاق ، ومسلم عن العباس (رضى الله عنهم) عمّ رسول الله ﷺ . **قال العباس** (رضى الله عنه) : شَهِدْت معهُ (عليه الصلاة والسلام) يَوْم حُنَيْن فلزمْت أنا **وأبو سفيان**[3] بن الحارث رسول الله ﷺ فلمْ نُفارقه ورسول الله ﷺ على بَغْلة له شهباء ، فلمّا التقى المسلمون والكفّار وَلى المسْلمون مُدْبِرين فَطَفِق (عليه الصلاة والسلام) يركض ببغلته قِبَلَ الكفار ، وأنا آخذ بلجام بغلته أكفها

---

(١) **معاذ بن جبل** : ابن عمرو بن أوس الأنصارى ، صحابى جليل ، وكان أعلم الأمة بالحلال والحرام ، وشهد العقبة مع الأنصار ، وسائر المشاهد ، توفى سنة (١٨ هـ) .
انظر « الإصابة » (٨٠٣٩) ، و« حلية الأولياء » (٢٢٨/١) ، و« طبقات ابن سعد » (١٢٠/٣) .

(٢) انظر تفصيل أحداث هذه الغزوة فى : « الدرر فى المغازى والسير » لابن عبد البر (٢٣٧/٢) ، و« سيرة ابن هشام » (٨٠/٤) ، و« طبقات ابن سعد » (١١٤/٢) ، و« تاريخ الطبرى » (٧٠/٣) ، و« عيون الأثر » لابن سيد الناس (١٨٧/٢) ، و« البداية والنهاية » لابن كثير (٣٢٢/٤) ، و« الكامل » لابن الأثير (١٣٥/٢) .

(٣) **أبو سفيان هذا** : هو ابن عم رسول الله ﷺ ، قال جماعة من العلماء : اسمه هو كنيته ، وقال آخرون : اسمه المغيرة ، وممن قاله ابن هشام بن الكلبى ، وإبراهيم بن المنذر ، وابن بكّار وغيرهم ، قاله النووى فى « شرح مسلم » (٣٥٦/١٢) .

أن لا تسرع [١]. **قال ابن عقبة** [٢]: ودعا رسول الله ﷺ وهو على بغلته رافعاً يديه إلى الله تعالى يقول: « اللَّهُمَّ إِنِّى أَنشدكَ ما وعَدّتَنى ، اللَّهُمَّ لا ينبغى أن يظهروا علينا » [٣].

وعن أنس بن مالك (رضى الله عنه) قال : كانَ من دعائه (عليه الصلاة والسلام) يوم حُنين « اللَّهُمَّ إِنَّكَ إن تَشَأ أَن لا تُعبد بَعد اليوم » [٤]، وفى رواية أُخرى : « اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْد ، وَإليكَ المُشْتَكَى ، وَأنتَ المُسْتعَان ، وبِكَ المُسْتغَاث » [٥]، **فقال له جبريل** (عليه السلام) : لقد لُقِّنْت الكَلمَات التى لَقَّن اللهُ مُوسى يوم فَلَق البَحْر ، وكان البحر أمامهُ ، وفرعَوْن خَلْفه ، وفى رواية : « أَنهُ نَزَل ودعَا واستنصر **وقال** : أَنا النَّبىّ لَا كَذب ، أَنا ابن عَبد المطّلب ، اللَّهُمَّ أَنْزل نَصرَك ، وأَمرَ رسول الله ﷺ العَبَّاس (رضى الله عنه) ، وكانَ صَيِّتاً أن يُنادى الأَنصار الذين آووا ونصروا » ، وفى رواية المهاجرين الذين بايعوا تحت الشّجرة « فناداهم فأقبلوا منعطفين عليه ﷺ كعَطْف البقرة على

---

(١) هذه الرواية عند مسلم ك : الجهاد ٧٦ - (١٧٧٥)، وابن سعد فى « الطبقات » (١١٤/٢) ، والبغوى فى « شرح السُنة » (٣١/١٣) ، والبيهقى فى « الدلائل » (١٣٨/٥) .

(٢) **ابن عقبة** : هو موسى بن عقبة بن أبى عيّاش أبو محمد المدينى ، ثقة جليل من رواة السير ، تُوفى سنة (١٤١ هـ) قاله الفلّاس . انظر : « تهذيب التهذيب » (٣٦٠/١٠) ، و« الثقات » لأبى حفص بن شاهين (١٢٢١) ، و« الهداية والإرشاد » (٦٩٧/٢) .

(٣) ذكره موسى بن عقبة فى « المغازى » عن الزهرى كما فى « البداية والنهاية » لابن كثير (٣٣٠/٤) ، وذكره البيهقى فى « دلائل النبوة » (ج ١٣١/٥) .

(٤) هذه الرواية عند ابن أبى شيبة فى « المصنف » (٣٥١/١٠) ، (٥٢٢/١٤) ، وعزاها إليه المتقى فى « كنز العمال » (٥٤٨/١٠) ، وبنحو هذا الدعاء ثبت أنه دعا به يوم بدر رواه مسلم ، وأحمد (٣٠/١) ، والترمذى ك : « التفسير » (٣٠٨١) ، وعند أحمد (١٥١/٣) عن أنس (رضى الله عنه) أنه دعا بهذا الدعاء يوم أُحد .

(٥) رواه الطبرانى فى « معجمه الصغير » (١٢٢/١) ، وذكره السيوطى فى « الدر المنثور » (٢٨٦/٥) ، وقال المنذرى : رواه الطبرانى بسند جيد ، وذكره فى « مجمع الزوائد » (١٨٦/١٠) وقال : فيه من لم أعرفهم عند عبد الله بن مسعود (رضى الله عنه) .

أولادها ، أو كَعَطْف الإبل على أولادها، وأخذَ ﷺ كفًّا من تُراب أو من حَصى ، ورَمَى به وجُوه القَوْم فمَا بقى أحد منهم إلَّا وأصَاب عَينيه من ذلك »[١] ، وانهزموا فقتل منهم أكثر من سبعين ، وسبى ﷺ من ذراريهم ونسائهم ستة آلاف ، وغَنِم من الإبل أربعة وعشرين ألفاً ، ومن الغَنَم فوق أربعين ألفاً ، ومن الفِضَّة أربعة آلاف أُوقيّة ، وحاصرهم (عليه الصلاة والسلام) فى الطَّائف ثمانية عشر يوماً ، ولم يفتح له ، ثم رحل عنهم وانتظر قدومهم مسلمين بدعائه لهم ، فقَدِموا مسلمين بعد قسْمَة الغَنَائم ، وسألوه أن يمنّ بعود ما لهم ، وقالوا : يا رسول الله إنا أهل وعشيرة وأصابنا من البلَاء ما لا يخفى عليك امْنُنْ علينا مَنّ الله عَلَيْك ، وإنما فى الحظائر عمّاتُك وخالاتُك : أَىْ من الرّضاع ، لأن هوازن قوم **حليمة**[٢] مرضعته ﷺ ، وحاضناتك اللاتى كُن يَكْفُلنك ، فقال ﷺ : « إنَّ أَحْسَن الحَديث أَصْدقهُ ، فاختَارُوا إحدى الطَّائفتين إما السّبى ، وإما الأَموال »[٣] ، فلمّا تبين لهم أنه (عليه الصلاة والسلام) غير رادّ لهم إلَّا إحدى الطَّائفتين ، **قالوا** : يا رسول الله سَبْينا أَحبّ إلينا ولَا نتكَلَّم فى شَاة ولَا بَعِير ، **فقال** رسول الله ﷺ : أمّا ما كانَ لى ، ولبنى عبد المطلّب فهُوَ لكُم ، فإِذَا أَنا صَلَّيت بالنَّاس الظُّهْر فقوموا وقولوا : إنّا إخوانكم فى الدِّين ، وإنّا نَتشَفَّع برسول الله ﷺ إلى المسلمين وبالمسلمين إليه ، فإنى سأعْطيكُم ذلك ، وأسأل

---

(١) رواه البخارى ك : الجهاد (٢٨٦٤) ، وكتاب : المغازى (٤٣١٥) ، ومسلم ك : الجهاد (١٧٧٦) ، وابن سعد « الطبقات » (١١٥/٢) ، والبيهقى فى « الدلائل » (١٣٣/٥) ، والبغوى « شرح السُّنة » (٣٣/١٣) .

(٢) حليمة بنت أبى ذؤيب السعدية (رضى الله عنها) مرضع من مراضع العرب ، أرضعت النّبىّ ﷺ ، وذلك أنها خرجت من بلدها تلتمس الرضعاء ، فقدمت مكة فرأت النبى ﷺ يُعرض على جملة من المرضعات فيأبين أن يأخذنه إذا قيل لهن : إنه يتيم ، فأخذته حليمة (رضى الله عنها) .
انظر : « أعلام النساء » عمر رضا كحالة (٢٩٠/١) .

(٣) عند ابن سعد فى « الطبقات » (١١٨/٢) ، والبخارى (٢٠١/٥ - رقم ٢٥٣٩) ، وأحمد « الفتح ربانى » (١٨٠/٢١ ، ١٨٢) ، والبيهقى (٣٦٠/٦) ، وأبو عبيد بن سلام فى « الأموال » (١٥٦ - رقم ٣١٤) .

لكم النَّاس وعَلَّمهُم ﷺ التَّشهّد ، وكيفَ يُكَلّمونَ النَّاس ، فلمَّا صَلَّى ﷺ بالنّاس الظُّهر قاموا فاستأْذنُوا رسول الله ﷺ فى الكلَام ، فأَذنَ لهُم فتكَلَّم خُطباؤهم بما أَمرهُم به (عليه الصلاة والسلام) فأصابُوا القَوْل فأبلغوا فيه ودعوا إليهم فى ردّ سبيهم .

فقام (عليه الصلاة والسلام) فحمد الله وأثنَى عليه بما هو أهله ، ثم قال : « أما بعد ، فإنّ إخوانكم قد جاءوا تائبين ، وإنى قَدْ رأيت أنْ أَردّ سبيهم ، فمن أَحبّ منكُم أن تطيب نفسه بذلك الفعْل فَلْيفعل ، وَمَنْ أَحبّ أَن يكون على حظه حتى نعطيه إيّاه من أَوّل ما يفىء الله علينا فليفعل ، **فقال الناس** : قَدْ طَابَتْ أَنْفُسنَا بذلك يا رسول الله »[1] .

وفى رواية أُخرى أن **أبا جرول**[2] **بن زهير بن صرد الجشى**[3] (رضى الله تعالى عنه) قال : لما أَسَرَنَا رسول الله ﷺ يوم حُنين يَوْم هوازن وذهبَ يُفرّق السّبى والشَّاء أتيته فأنشأت أقول هذا الشِّعر[4] :

امنُنْ عَلَيْنَا رَسُول الله فى كَرم ... فإنَّكَ المَرْء نَرْجُوه وَنَنْتَظِر
امنُنْ علَى بَيْضَة قَدْ عاقَها قَدَر ... مُشتت شَمْلها فى دَهْرهَا غير
أبقت لنا الدّهرَ هتافاً على حَزن ... عَلَى قُلُوبهم الغُمّاء والغَمر

---

(١) هذه الرواية بلفظها رواها موسى بن عقبة أخرجها عنه البيهقى فى « الدلائل » (١٩١/٥) ، وبنحوه رواه أحمد فى « مسنده » (٣٢٧/٣) ، وهو عند البخارى ك : المغازى (٤٣١٨ ، ٤٣١٩) ، وابن إسحاق فى « المغازى » ، كما فى « البداية والنهاية » (٣٥٤/٤) .

(٢) **زُهير بن صُرد** : السعدى الجُشمى ، ويقال : أبو صرد ، قال ابن مَنْده : سكن الشام ، وقال ابن حجر : أبو جَرْوَل : هو زهير بن صُرد الجشمى .

انظر : « الإصابة » لابن حجر (٤٧٣/٢ - ت ٢٨٣٣) ، (٥٥/٧ - رقم ٩٦٨٨) .

(٣) كذا فى (خ) والمطبوعة ، والصواب : الجشمى كما فى مصادر ترجمته السابقة .

(٤) أشار إلى هذه الأبيات ابن حجر فى « الإصابة » (٤٧٤/٢) ، والبيهقى فى « دلائل النبوة » (١٩٤/٥) من رواية ابن إسحاق بسند صحيح ، والهيثمى فى « المجمع » (١٩٠/٦) ، وقال : رجاله ثقات ، والطبرى فى « تاريخه » (٨٦/٣) ، وابن الأثير فى « الكامل » (١٤٢/٢) .

إنْ لَمْ تُداركهم نَعْمَاء تَنْشُرها — يا أَرْجَحَ النَّاس حلماً حينَ يُخْتَبر

امنُنْ على نِسْوة قَد كنتَ تَرْضَعُها — إذ فُوك يملأه من محضها الدّرَر

إذ أنتَ طفل صَغير كنتَ ترضعها — وإذ يزينك مَا تَأْتى وَمَا تَذَر

لا تجعلنّا كمن شَالَتْ نعامته — وَاسْتَبْق مِنّا فإنا مَعْشر زُهُر

إنا لنَشْكُر للنّعماء إذ كَفَرت — وعندنا بعد هذا اليوم مدّخَر

فالبس العَفْو مِن قد كنتَ تَرْضَعه — من أُمَّهَاتك إن العَفْوَ مُشْتَهر

يا خَيْر مَنْ مرحت كمت الجِيَاد له — عِندَ الهِيَاج إذا ما اسْتَوْقَد الشَّرَر

إنا نؤمّل عَفْواً مِنْكَ نَلْبَسه — هَادى البريّة إذ تَعْفو وَتَنْتَصر

فاعْفو عَفَا الله عَما أَنْتَ رَاهِبه — يَومَ القِيَامَةِ إذْ يهدى لك الظّفَر

قوله : « امنن على بيضة » البيضة : الأهل والعشيرة ، **وقوله** : « الدّهر » : منصوب على الظرفية : اى أبقت البيضة لنا الدَّهْر ، **وقوله** : « هتافاً » : أى صواتاً ، **وقوله** : « والغَمر » بغين معجمة مفتوحة ، والذى فى « المصباح »[1] الغمر : الحقد وزناً ومعنًى ، وغمر صدره علينا غمراً : من باب تَعِبَ ، والغمر أيضاً : العطش ، ورجل غمر : لم يجرب الأُمور . انتهى .

وفى « الصحاح »[2] والغمر أيضاً : الحقد والغِلّ ، وقد غمر صدره على بالكسر يغمر غمراً . انتهى ، وغَمَر بفتح الميم : كفرح ، والغمر : الغلّ والحقد كما علمت .

وقوله : من محضها الدرر محضها بحاء مهملة ، ثم ضاد معجمة .
قال فى « المصباح »[3] : لبن محض : أى لم يخالطه ماء . انتهى .
وقوله : « الدرر » بكسر الدّال المهملة وفتح الرَّاء الأُولى : جمع درة بكسر

---

(١) « المصباح المنير » (٤٦/٢ - غمر) .
(٢) « مختار الصحاح » (٤٨١ - غمر) .
(٣) « المصباح المنير » (٩٩/٢ - محض) .

الدّال ، وهى كثرة اللبن ، وفى « المصباح »[1] الدَّرة بالفتح : المرة ، وبالكسر هيئـة الدّر وكثرته . انتهى .

وقوله : « لا تجعلنا كمن شالت نعامته » : النَّعامة باطن القدم : أى ارتفع باطن قدمه عند موته .

وقوله : « فإنا معشر زهر » بضم الزّاى والهاء : أى صافية ألواننا ومضيئة ، وهو كناية عن الشّرف والعلوّ ، فلما سمعَ رسول الله ﷺ هذا الشعر قال : « ما كانَ لى ، ولبنى عبد المطلب فهو لكم » .

وقالت قريش : « ما كان لنا فهو لله ولرسوله ﷺ » .

وقالت الأنصار : « ما كان لنا فهو لله ورسوله ﷺ » . هذا حديث جيد الإسناد حسن عالٍ جدًّا رواه **الضّياء المقدسى**[2] فى « صحيحه » ، ورجّح الحافظ ابن حجر أنه حديث حسن وبسط الكلام عليه فى « لسان الميزان » فَلمّا رَدّ عليهم سباياهم ، وأبقى أموالهم تحت يده ﷺ : « ركب بعيره وتَبِعه النَّاس **يقولون** : يا رسول الله اقْسم عَلَيْنَا حَتَّى اضطروه إلى شجرة فانتزعت رداءه ، **فقال** : يا أيها النَّاس ردُّوا علىّ ردائى فوالذى نفسى بيده لوكانَ لكُم عِنْـدى عـدد شجر تهامة نعما لقسمتُه عليكم ، ثُمَّ ما ألفيتمونى بخيلًا ولا كذّاباً ، ثُمَّ قام رسول الله ﷺ إلى جنب بعيره فأخذَ من سنامه وبرة ، وجعلها بين إصبعيه ، **فقال** : أيها النَّاس والله ما لى فى فيئكم ، ولا هذه الوبرة إلَّا الخمس والخمس مردود عليكم فأَدُّوا الخيـاط والمخيـط وإيّاكُم والغَـلُول فإن الغَـلُول عـار ونار وشـنار »[3] .

---

(١) « المصباح المنير » (٢/٨٨ - دَرّ) .

(٢) **المقـدسى** : هـو الإمام المحدث محمد بن عبد الواحد المقدسى الحنبلى ضياء الدين أبو عبد الله ، توفى سنة (٦٤٣ هـ) ، وقول المؤلف فى « صحيحه » يقصد به كتاب « المختارة من الأحاديث الصحاح والحسان مما ليس فى الصحيحين أو أحدهما » من تأليف الضياء المقـدسى .

انظر : « تذكرة الحفاظ » (٤/١٩٠) ، و« شذرات الذهب » (٥/٢٢٤) .

(٣) رواه أحمد (٦٧٣٨) (٢/١٨٤) ، والنسائى ك : الهبة (ج ٦/٢٦٢ - ٢٦٤) ، =

قال فى « المصباح »[1] الشنار : العيب على أهله يوم القيامة ، ثم قسّم ﷺ الأموال بين الصّحابة ، فمنهم من أعْطَاه مائة بعير فأكثر ، ومنهم من أعطاه خمسين فمن الأولين أَسِيد بفتح أوّله وكسر السّين المهملة أعطاه مائة ، ومنهم **الأقرع بن حابس**[2] التميمى أعطاه مائة ، ومنهم **حكيم بن حِزام**[3] ، وحَكِيم بوزن أمير ، وحِزام بكسر الحاء المهملة وبالزّاى أعطاه مائة من الإبل ، ثم سأله مائة أخرى فأعطاه إيّاها ، ثم قال له رسول الله ﷺ : « يا حكيم إنَّ هذا المال حُلوة خضرة ، فمن أخذهُ بسَخَاوة نفسٍ بُورك له فيه ، ومن أخذَهُ بإشراف نفس لَمْ يُبَارك له فيه ، وكان كالَّذى يأكل ولا يَشْبع ، واليد العُليا خَير من اليد السُّفْلى ، وابْدأ بمَنْ تَعُول » ، فقال **حكيم** وقد رد المائة الثانية : والذى بعثكَ بالحقّ نَبيًّا لا أرْزَأ من أحد بعدك شيئاً ، فكان **عمر بن الخطاب** (رضى الله عنه) يدعوه إلى عطائه فيأبى أن يأخذه ، **فيقول عمر بن الخطاب** : أيها النَّاس أُشهدكم على حَكِيم بن حزام أَدْعُوه إلى عطائه ، فيأبى أن يأخذه »[4] .

وأعطى (عليه الصلاة والسلام) **صفوان بن أُميّة** ما يزيد على ذلك ، ففى

= والبيهقى فى « دلائل النبوة » (٥/١٩٧) ، وقال العلاَّمة أحمد شاكر : إسناده صحيح (١١/٢٠٥) ، تحقيق المسند .

(١) لم أجده فى « المصباح » ، **والشَّنَارُ** - بالفتح - : أقبحُ العيب ، والعارُ والأمر المشهور بالشُّنعَةِ ، وشَنَّرَ عليه تَشْنِيراً عَابَهُ ، أو سَمَّعَ به ، قاله الفيروزآبادى « ترتيب القاموس » (٢/٧٦١) ، وانظر : « النهاية لابن الأثير » (٢/٥٠٤) .

(٢) **الأقرع بن حابس** : ابن عقال التميمي المجاشعى ، قال ابن إسحاق : وفد على النبىّ ﷺ وشهد فتح مكة ، وحُنيناً ، والطَّائف ، وهو من المؤلَّفة قلوبهم ، وقد حسن إسلامه .

انظر : « الإصابة » (١/٢٥٢) ، و« تهذيب الأسماء » للنووى (١/١٢٤) .

(٣) **حكيم بن حزام** : ابن خويلد بن أسد بن عبد الغرى ، صحابى جليل ، توفى سنة (٦٠ هـ) فى آخر ولاية معاوية بن أبى سفيان وهو ابن ١٢٠ سنة .

انظر : « تهذيب التهذيب » (٢/٤٤٧) ، و« الهداية والإرشاد » للكلاباذى (١/٢٠٧) .

(٤) رواه البخارى ك : الزكاة (٣/١٢٦٥) ، ومسلم ك : الزكاة (١٠٣٥) ، والترمذى ك : صفة القيامة (٢٤٦٣) ، وأحمد (٣/٤٠٢) ، والدارمى (٢/٣١٠) ، والبغوى « شرح السُّنة » (١٦١٩) .

البخارى أنه قال : ما زَال رسول الله ﷺ يُعْطينى من غَنائم حُنَيْن وهو أبغض الخلق إلىّ حَتَّى ما خلق الله أَحَبّ إلىّ منه »[1] .

وفى « مسلم » : « أنه (عليه الصلاة والسلام) أَعْطَاه من النَّعم مائة ، ثم مائة ، ثم مائة »[2] .

وقال محمد بن عمر[3] : يقال : إنَّ صفوان طَاف مع رسول الله ﷺ يتصفَّح الغَنَائم إذْ مرّ بشِعْب مملوء مِمَّا أفاء الله على رسوله ﷺ فيه غَنَم ، وإبل فأعجب صفوان وجعل ينظر إليه ، **فقال** (عليه الصلاة والسلام) : أعجبك هذَا الشِّعْب يا أبا وهب ؟ **قال** : نعم ، **فقال** : هو لك بما فيه ، فقال صفوان : أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُول الله ﷺ ما طَابَتْ بهذَا إلَّا نفس نَبىّ »[4] .

ومنهم غير ذلك هذا ، وقد أثنى رسول الله ﷺ على **حاتم الطائى**[5] بمكارم الأخلاق حين تعرفت إليه ابنته بأبيها ، وذلك أنها سبيت فى جمع من نساء قومها ، فلمّا خرج رسول الله ﷺ من المسجد قامت إليه ، **وقالت** : يا محمد مات الوالد ، وغاب الوافد فلا تُشَمّتْ بى أَحْياء العرب ، فإنى ابنة من كان يَقْرِى الضَّيف ، ويَفكّ العَانى ، ويطلق الأَسِير ، ويُعطى السَّائل ، **فقال** ﷺ : مَنْ أَبوك ؟ **فقالت** : حاتم الطائى ، **قال** : خلوا عنها إن أباها كان يحبّ مكارمَ الأخلَاق ، فأثنى على أبيها مع كفره ، وخَلّى عن ابنته ، ومن معها لأجله . فهذه آثار صنائع المعروف مع الكفر والعصيان ، فكيف مع الطَّاعة والإيمان ؟ قيل : إن ابنة حاتم الطائى دعت لرسول الله ﷺ حين مَنّ عليها

---

(١) سبق تخريجه .
(٢) سبق تخريجه .
(٣) أى الواقدى محمد بن عمر .
(٤) سبق تخريجه .
(٥) **حاتم بن عبد اللّه بن سعد الطائى** : جاهلى يُضرب به المثل فى جوده وكرمه أَرّخُوا وفاته بعد مولد النّبىّ ﷺ فى السنة الثمانمائة منه .
انظر « الأعلام » (١٤٩/٢) ، و« البداية والنهاية » لابن كثير (٢١٦/٢) .

بالسّراح من الأَسْر ، **فقالت** : شكرتك يد افتقرت بعد غنى ، ولا ملكتك يدٌ استغنت بعد فقر ، وأصاب الله بمعروفك مواضعه ، ولا جعل لك إلى لئيم حاجة ، ولا سَلب نعمة عن كريم قوم إلَّا وجعلك سبباً لردّها عليه . انتهى ، وأشار فى الهمزية إلى ما مَرّ مِنَ المنّ على هوازن مع زيادة **فقال** :

من فضلًا على هَوَازن إذ كا	نَ لَهُ قَبل ذاك فيهم رَبَاء
وأتى السّبى فيه أُخت رضاعٍ	وضع الكفْر قدرها والسِّباء
فحباها برًّا تَوَهَّمتِ النَّا	س به إنما السِّباء هِداء
بَسْط المُصْطفى لها من رِدَاء	أى فَضل حواه ذَاك الرِّداء
فغدت فيه وهى سيدة النّسـ	ـوَة والسّيدات فيه إماء

انتهى . **ورباء** بفتح الرّاء والمدّ : أى تربيته .

وقوله : « أُخت رضَاع » : هى **الشيماء**[1] بنت الحارث بن عبد العزى ، رضعتْ معه ﷺ على حليمة ، ، **وقوله** : « والسِّباء » بفتح السِّين وكسرها مع المدّ ، **وقوله** : « فحباها ... إلخ » : أى أعطاها ﷺ برًّا ، **وقوله** : «تَوَهّمت النَّاس ... إلخ » : أى وقع فى وهم النَّاس الحاضرين : أى ذهنهم بسبب ذلك البرّ الذى حباها إيّاه إنَّما سِباؤها فى الظَّاهر هِداء بكسر الهاء : مصدر هديت المرأة إلى زوجها : أى هداؤها إليه (عليه الصلاة والسلام) عروساً ، وحصل برّه لها (عليه الصلاة والسلام) وبَسَط لها رداءه حين عَرَّفته بنفسها ، **فقالت** : يا محمد إنى أُختك ، **فقال** (عليه الصلاة والسلام) : وما عَلَامة ذلك ، فأرته عضّة بإبهامها ، **وقالت** : عضّة عَضَضتنيها وأنا متورّكتك بوادى السِّدَر بكسر السِّين وضمها ، وفتح الدّال على أربعة أميال من مكة ، ونحن يومئذ نرعى بُهْم

---

(١) الشيماء بنت الحارث بن عبد العزى بن رفاعة ، أُخت النّبىّ ﷺ من الرّضاعة ، وقصة تعرف النّبىّ ﷺ عليها ذكرها الحافظ ابن حجر فى « الإصابة » (٢٠٥/٨ ، ٢٠٦) من طريق ابن إسحاق وقال : أخرجه المُسْتَغْفِرىُّ من طريق سلمة بن الفضل عن إسحاق ، وانظر : « محمد رسول الله ﷺ » لمحمد الصادق عرجون (ج ٣٨٤/٤) ، و « تاريخ الطبرى » (٨١/٣) ، و « سيرة ابن هشام » (٢٩٤/٢) .

أبيك وأبى ، وأُمّك وأُمِّى ، وتذكر يا رسول الله حلابى لك عَنز أبيك طَلال بفتح الطَّاء المهملة ، فعرف رسول الله ﷺ ، فوثَبَ قائماً فَبَسطَ لها رداءه ، **ثم قال لها** : اجلسى عليه ، ورَحّب بها ، ودمعَتْ عَيْناه ، وسألها عن أُمّه وأَبيه ، فأخبرته بموتهما ، **وقال لها** : إن أحببت فأقيمى عندنا محبَّبة مكرَّمة ، وإن أحببت أن ترجعى إلى قومك وصلتك ، **قالت** : بل أرجع إلى قَوْمى ، فأسْلَمَتْ ، فأعْطَاها (عليه الصلاة والسلام) ثلاثة أَعْبُد وجارية ، وأمر لها ببعير أو بعيرين ، **وقال** : ارجعى إلى الجُعرانة تكونين مع قومك فإنى أمضى إلى الطَّائف ، ثم لما رجع من الطَّائف لقيها بالجُعرانة فأَعْطَاها (عليه الصلاة والسلام) نَعَماً وشاء ، ولمن بقى من أهل بيتها .

تتمة ، فى خَبر الأَنصَار يَوم حُنَيْن :

لما لم يعطِ ﷺ الأنصار من غَنائم حُنَيْن شيئاً حصلَ فى نفُوس بعضهم من ذلك شىء أشار إلى ذلك الشّيخ الشَّامى فى سيرته بقوله : روى **ابن إسحاق** ، **والإمام أحمد** عن **أبى سعيد الخدرى** ، **والإمام أحمد والشّيخان** من طرق عن أنس بن مالك (رضى الله عنه) ، **والشّيخان** عن **عبد اللَّه بن زيد بن عاصم**[1] (رضى الله تعالى عنهم) : « أنَّ رسول الله ﷺ لما أَصَاب غَنَائم حُنين ، وقَسّم للمتألفين من قريش وسائر العرب ما قسّم ، وفى رواية : طَفِقَ يُعْطى رجالًا المائة من الإبل ، ولم يكن فى الأنصار منها شىء قليل ولا كثير وجد هذا الحيّ من الأنصار فى القسّم حتى كثرت فيهم المقالة ، وحتى **قال قائلهم** : يغفر الله تعالى لرسول الله ﷺ إن هذا لهو العجب يُعْطى قريشاً ، وفى لفظ : الطُّلقاء والمهاجرين ويتركنا وسيوفَنا تَقْطُر من دمائِهم إذا كانت شدّة فنحن ندعى ، ويُعْطى الغَنيمة لغيرنا ، ووَدَدْنا أن نعلم ممَّن كان هذا ، فإنْ كان هذا من

---

(١) عبد الله بن زيد بن عاصم الأنصارى المدنى ، صحابى جليل ، وهو الذى قتل مسيلمة الكذاب يوم اليمامة ، قال خليفة بن خياط : مات سنة (٣٢ هـ) .
انظر : « تهذيب التهذيب » (٥/٢٢٣) ، و« الهداية والإرشاد » (١/٣٨٩) .

الله صَبَرنَا ، وإن كان من رأى رسول الله ﷺ استعتبناه »[1] .

وفى حديث **أبى سعيد** (رضى الله عنه) : « فقالَ رجل من الأنصار لأصحابه : لقد كنت أُحدّثكُم لو استقامت له الأُمور لقد آثر عليكم فردُّوا عليه ردًّا عنيفاً ، **قال أنس** (رضى الله عنه) : فحدّث رسول الله ﷺ بمقالتهم ، **قال أبو سعيد** (رضى الله عنه) : فمشى سعد بن عبادة إلى رسول الله ﷺ ، **فقال** : يا رسول الله إن هذا الحىّ من الأنصار قد وجدُوا عليك فى القسْم ، **قال** : فيم ؟ **قال** : فيما كان من قسمك هذه الغَنَائم فى قومك وفى سائر العرب ، ولم يكن فيهم من ذلك شىء ، **فقال** رسول الله ﷺ : فأين أنتَ من ذلك يا سعد ؟ **فقال** : ما أنا إلَّا امرؤ من قومى ، **فقال** رسول الله ﷺ : فاجمع لى قومك فى هذه الحظيرة ، وفى لفظ : القُبّة ، فإذا اجتمعوا فأَعْلمنى ، فخرج سعد يَصْرخ فيهم حتى جَمعَهُم فى تلكَ الحظيرة ، **وقال أنس** (رضى الله عنه) : فأرسل إلى الأنصار فجمعهم فى قُبَّة من أُدم ولم يدع غيرهم ، فجاء رجل من المهاجرين فيهم ، فأذن له فيهم فدخلوا ، وجاء آخرون فردّهم حتى إذا لم يبق من الأنصار واحد إلَّا اجتمع له فأتاه ، **فقال** : يا رسول الله قد اجتمع هذا الحىّ من الأنصار حيث أمرتنى أن أجمعهم ، فخرج رسول الله ﷺ ، **فقال** : هل فيكم أحد من غيركم ؟ **فقالوا** : لا يا رسول الله إلَّا ابن أختنا ، **فقال** : ابن أخت القوم منهم ، فقام رسول الله ﷺ خطيباً فحمد الله ، وأثنى عليه بما هو أهله ، **ثم قال** : يا معشر الأنصار ألمْ آتكُم ضلَالًا ، فَهَداكُم الله تعالى بى ، وعالة فأَغْناكُم الله ، وأَعدَاء فَأَلَّفَ بَينَ قُلُوبكم ، وفى رواية : مُتَفرِّقين فَأَلَّفَكم الله بى ؟ **قالوا** : بلى يا رسول الله ، والله ورسوله ﷺ آمن وأفضل ، وفى رواية : فما قال رسول الله ﷺ من شىء إلَّا **قالوا** : الله ورسوله ﷺ آمن ، **ثم قال**

---

(١) رواه البخارى ك : المغازى - ب : غزوة الطَّائف (٤٣٣٠) ، ك : فضائل أصحاب النبى ﷺ ، ومسلم ك : الزكاة (١٠٦١) ، والترمذى ك : المناقب (٣٩٠١) ، والبغوى « شرح السنة » (٣٨١٨) ، والبيهقى فى « دلائل النبوة » (١٧٣/٥) .

رسول الله ﷺ : ألا تُجيبُونى يا معشر الأنصار ؟ **قالوا** : وما نقول يارسول الله ، وبماذا نُجيبك المن لله تعالى ولرسوله ﷺ ؟ **قال** : والله لو شئتم لقلتم فصدقتم وصدقتم : جئتنا طريداً فآويناك ، وعائلًا فواسيناك ، وخائفاً فآمَنَّاك ، ومخذولًا فَنصَرنَاك ، ومكذّباً فَصَدّقناك ، **فقالوا** : المن لله ورسوله ﷺ ، **فقال** : ما حديث بلَغنى عَنكُم ، فسكتوا ، **فقال** : فقهاء الأنصار ، أما رؤساؤنا فلم يقولوا شيئاً ، وأما أُناس منَّا حديثة أسنانهم ، **فقالوا** : يغفر الله تعالى لرسول الله ﷺ يعطى قريشاً ويتركنا وسُيوفنا تَقْطر من دمائِهم ، **فقال** رسول الله ﷺ : إنى لأُعطى رجالًا حديثى عهد بكفرا تألفهم » ، وفى رواية : « إنَّ قريشاً حَدِيثو عهد بجاهلية ، وإنى أردت أن أجبرهم لاتألفهم أوجدتم يا معشر الأنصار فى نفوسكم من لعاعة [1] من الدُّنيا تألفت بها قوماً أسلموا ، ووكلتكم إلى ما قسم الله تعالى لكم من الإسلام ، أفلَا تَرْضون يا معشر الأنصار أن يذهب النَّاس إلى رحالهم بالشَّاة والبَعير ، وفى لفظ : (بالدُّنيا) وتذهَبون برسُول الله ﷺ إلى رحالكُم تحوزونه إلى بيوتكم ، فوالله لما تنقلبون به خير ممَّا ينقلبون [2] به فوالذى نفسى بيده لو أنَّ النَّاس سَلكُوا شُعَب وسَلَكَتْ الأنصَار شُعْباً لسَلكَتْ شُعَب الأنصار ، أنتم الشعار [3] ، والنَّاس دثار [4] الأنصار كرشى [5] ، وعيبتى ، ولولا الهجرة لكنت امرءًا مِنَ الأنصار ، اللَّهُمَّ ارْحَم الأَنصَار وَأَبْنَاء الأَنصار ، وَأَبْنَاء أَبنَاء الأنصَار ، فَبكَى القَوْم حتَّى اخْضَلت لِحَاهُم ، **وقالوا** : رَضينَا بالله ورَسُوله ﷺ حَظًّا وقسماً » [6] .

---

(١) **لعاعة** : أراد بها شيئاً تافهاً غير ذى قيمة .

(٢) **ينقلبون** : يرجعون . (٣) **الشِعار** : هو بالكسر : ما ولى الجسد من الثياب .

(٤) **الدثار** : ما يتدثر به الإنسان ، وهو ما يلقيه عليه من كساء ، أو غيره فوق الشعار .

(٥) **كرشى** : قال ابن الأثير : قوله : « الأنصار كَرِشي وَعَيْبَتِي » أراد أنهم بطانته ، وموضع سِرِّه ، وأمانته ، والذين يعتمد عليهم فى أموره ، واسْتعار الكَرِش والعَيْبة لذلك ؛ لأن المُجترَّ يجمع علفه فى كَرِشه ، والرجل يضع ثيابه فى عَيْبته . انظر : « النهاية فى غريب الحديث » لابن الأثير (ج ١٦٣/٤) ، و « شرح السُّنة » (١٧٢/١٤) .

(٦) هذه الرّواية بهذا السياق رواها ابن إسحاق فى « مغازيه » ، وذكرها عنه ابن هشام فى =

وذكر **محمد بن عمر**[1] : « أَنَّ رَسُول الله ﷺ أَرَاد حين إِذ دعَاهُم أن يَكتُب بالبحرين يكون لهُم خاصّة بعده دُون النَّاس ، وهو يومئذ أَفْضَل ما فُتحَ عليهِ مِنَ الأرض ، فأبوا **وقالوا** : لاحاجة لنا بالدُّنيا بَعْدَك ، **فقال** رسول الله ﷺ : « سَتجدُونَ بَعْدى أثرة شديدَة فاصْبرُوا حتَّى تَلْقَونى علَى الحَوْض »[2] ، وكان حَسَّان بن ثابت (رضى الله تعالى عنه) قال قبل رسول الله ﷺ الأنصار هذا الشِّعر :

زَاد الهُمُـوم فمـاء العَـين مُنْحَدر	سَـحا إِذا جَليتـه عَـبْرة درر
وجـدا بشـماء ذا شـماء بَهْكَنَة	هيفـاء لا دينَ فِيهَـا ولا خـور
دعْ عَنْكَ شماء إذ كانت مَوَدّتها	نزر وشَـرّ وصـال الوَاصـل النزر
وأتِ الرّسُول وقُلْ يا خَير مُؤتمن	للمـؤمنينَ إذا مَا عـدّت السَّير
عَـلَام تَدّعى سَليم وهِيَ نَازِحَـة	قَدَام قَوْم لَقَد أووا وَقَد نَصروا
سَمَّاهُم الله أنصـاراً بِنُصْـرتهم	دِين الهُدَى وعوان الحَرْب تَسْتَعر
وَسَارَعُوا فى سَبيل اللهِ واعْتَرفُوا	للنَّائبات وما خَافُوا وما ضَجِرُوا
والنَّاس أَلبّ عَلَيْنَـا فيك لَيْس لَنَا	إِلَّا السُّيوف وأطراف القَنَا وزر
نُجَالد النَّاس لَا نُبْقى عَلَى أحدٍ	وَلَا نضـيع ما تُوحى بـهِ السّـور
وَلَا تهز خبـاة[3] الحَرْب نَادينا	وَنَحنُ حين تَلظّى نَارهـا سـعر
كَمَا رَدَدْنَا ببَدرٍ دُونَ مَا طَلبـوا	أَهْـل النِّفـاق فَفِينا يَنْزِل الظّفر

= « السيرة » (١١٤/٤) ، والبيهقى فى « دلائل النبوة » (١٧٦/٥ - ١٧٨) ، والطبرى فى « تاريخه » (٩٤/٣) ، وابن الأثير فى « الكامل » (١٤٤/٢ ، ١٤٥) ، وعند ابن سعد بنحوه فى « الطبقات » (١١٧/٢) ، وأصله فى الصحيحين ، وقد سبق .

(١) الواقدى صاحب « المغازى » .

(٢) رواه البخارى ك : فضائل الصحابة (٨٩/٧) ، ومسلم ك : الإمارة (١٨٤٥) ، والترمذى ك : الفتن (٢١٨٩) . قال البغوى : الأثرة من آثر ، يؤثر يريد أنه يُفضلُ غيركم نفسه عليكم . انظر : « شرح السُّنة » (١٧٣/١٥) .

(٣) فى (خ) : تهز جنابه .

وَنَحْنُ جُنْدك يَوْم النّفق من أحد إذ حزبت بطراً أحْزَابها مُضر
فما وَنِينا وَمَا حَمِنَا وَمَا خَبروا مِنّا عثارا وكلّ النَّاس قَد عَثروا

انتهى الغرض منه .

وقوله : « بَهْكَنة » بفتح الموحدة ، وسكون الهاء ، وفتح الكاف والنون : المرأة ذات الشباب ، **وقوله** : « أَلبّ علَينا » بفتح الهمزة وكسرها ، وسكون اللاَّم ، قال فى « النهاية » : القوم يجتمعون ، **وقوله** : « يوم النفق » : أسفل الجبل . انتهى .

تتمة أُخْرى ، فى الكَلام علَى العيدَين :

تتعلّق بالكلام على العيدين ، قال ﷺ : « خَمْسُ لَيَالٍ لَا تُردّ فيها دَعْوَةٌ : أَوّل لَيلَة من رَجَب ، وَلَيلَة النِّصْف من شَعبَان ، ولَيلَة الجُمُعَة ، ولَيلَتا العيدَين »[1]. انتهى .

والعدد لا مفهوم له ، فقد ورد أن ممَّا يُستجاب فيه الدُّعاء لَيلَة القَدْر أيضاً ، وقد قدّمنا ذلك منظوماً مع زيادة ، وقال ﷺ : « مَنْ أَحيَا لَيلَة النِّصْف من شَعْبَان وَلَيْلَتىْ العِيدَيْن لم يَمُتْ قَلْبه يَوْم تَمُوت القُلُوب »[2]، وفى لفظ بسند ضعيف : « مَنْ أَحيَا لَيلَة العيد مُحْتَسباً لَمْ يَمُتْ قَلْبه »[3]، ومعنى

---

(١) رواه ابن عساكر « مختصر تاريخه » لابن بدران (٢٩٩/٣) وسنده ضعيف ، وأصله من كلام الشافعى ، قال : « بلغنا أن الدعاء يستجاب فى خمس ليال : ... » ثم ذكر هذا الحديث .
انظر : « فيض القدير » للمناوى (٣٨/٦ ، ٣٩) .

(٢) الحديث لا يصح رواه ابن الجوزى فى « العلل المتناهية فى الأحاديث الواهية » (٧٢/٢) ، وضعفه ، وكذا الزبيدى فى « الإتحاف » (٤١٠/٣) ، وانظر : « فيض القدير » للمناوى (٣٩/٦) .

(٣) الحديث بلفظ : « من قام ليلتى العيدين محتسباً لم يمت قلبه يوم تموت القلوب » ، وهو حديث ضعيف جدًّا ، رواه ابن ماجه ك : الصيام (١٧٨٢) ، وضعفه البوصيرى فى « الزوائد » (٤٦/٢) ، والعراقى فى « تخريج الإحياء » (٣٢٨/١) ، قال ابن القيم : لم يصح فى إحياء ليلتى العيدين حديث « زاد المعاد » (ج ٢٦٦/٢) ، وانظر : « الترغيب والترهيب » (١٥٢/٢) .

« لم يَمُتْ » : أى بمحبّة الدُّنيا حتى تصدّه عن عملَ الآخرة ، وقد جاء : « لَا تُجَالسُوا المَوْتَى » : يعنى أهل الدُّنيا .

وقال بعضهم[1] : معنى « لَمْ يَمُتْ قَلْبه » : لم يتحيّر قلبه عند النَّزْع ، ولا فى القَبْر ، ولا فى القيامة ، والمراد باليوم فى **قوله** : « يَوْم تَمُوت القُلُوب » : مطلق الزّمان ، كما يدلّ عليه تفسير موت القلب والإحياء يحصل بقيام معظم اللّيل فى طاعة ، **وقيل** : بساعة ، **قال بعضهم** ، **وقيل** : بصلاة العِشَاء فى جماعة ، والعَزْم على صلاة الصُّبح كذلك ، وفيه نظر ، فإنه ليس فيما ذكره ما يدلّ له ، وفى الحديث : « مَنْ صَلَّى العِشَاءِ الأَخيرة فى جَمَاعَة فَكأَنَّمَا صَلَّى اللَّيل كلَّه ، وَمَنْ صَلَّى الغدَاة فى جماعَة فَكَأَنَّمَا صَلَّى النَّهَار كلَّه »[2] ك عن عثمان (رضى الله عنه) ذكره فى « الجامع الكبير » ، وفيه أيضاً : « صَلَاة العِشَاء فى جَمَاعَة تَعْدل بقيَام ليلة ، وصَلَاة الفَجْر فى جماعَة تَعْدل بقيَام ليلة »[3] خط[4] عن عثمان (رضى الله عنه) ، وقد ورد : أنَّ للملائكة فى السّماء ليلتى عيد ، كما أنَّ لمسلمى البَشَر يَوْمى عيد ، فعيد الملائكة ليلَة النِّصف من شعبان ، وليلَة القَدْر ، وإنما كان عيد البَشَر نهاراً لا ليلًا ؛ لأنَّ الله تعالى جعلَ لهُم اللَّيل سَكَناً ، ولما كانت الملائكة لا تنام لا ليلًا ولا نهاراً ، وكان اللَّيل أفْضَل من النَّهار كان عيدهُم ليلًا ، **فإن قيل** : الملائكة لا ليل عندهم ؛ لأنَّ الليل خاص بما تحت كرة القَمَر والملائكة مرتفعون عنها وعالمهم مضئ دائماً ، **قلنا** : المراد

---

(١) للمناوى نحو هذا الشرح فى « فتح القدير » (٣٩/٢) .

(٢) لم أجده بهذا السياق ، وإنما هو عن عثمان (رضى الله عنه) بلفظ : « من صلى العشاء فى جماعة فكأنما قام نصف الليل ، ومن صلى الصبح فى جماعة فكأنما صلى الليل كله » ، وفى لفظ : « ومن صلى الفجر فى جماعة فهو كقيام ليلة » رواه مسلم ك : المساجد (٢٦٠) (٦٥٦) ، وأبو عوانة فى « مسنده » (٤/٢) ، والبيهقى ك : الصلاة (٤٩٦٣) (٦١/٣) ، وأحمد (٥٨/١) ، والبغوى فى « السُّنة » (٣٨٥) ، وعبد الرزاق فى « المصنف » (٥٢٥/١) .

(٣) رواه الطبرانى فى « معجمه الصغير » (٢٦٧/١) ، والخطيب البغدادى فى « تاريخ بغداد » (٤٣٩/١٢) ، ويشهد له الحديث الذى قبله .

(٤) **خط** : أى الخطيب البغدادى .

بالليل عندهم الزّمن الذى يكون ليلًا عند البَشَر ، ثم إنه يُستَحبّ الفِطْر يَوْم عيد الفِطْر قبل ذهابه لصَلَاته على تَمَرات وتراً إن أمكن لخبر الترمذى [١] بذلك ليقارن أكله إخراج زكاة فطْره ، ويُستَحبّ تأخير فطره فى يَوْم النَّحْر ليقارن أكله أُضحيته وإطعام الفقراء ، وهذا ظاهر فى أن من لا أُضحية له لا يُستَحبّ له تأخير الفِطْر عن الصَّلاة ، وقد جاء فى الحديث : « نَزَلَ أَهْل الجَنَّة زِيادَة كبد نون : أى الحوت » ، وقد ذكر هذا الحديث غير واحد من شرّاح الرِّسالة ، ولم أَرَه [٢] فى « الجامع الصغير » ، ولا « الجامع الكبير » للسيوطى .

قال فى « القاموس » [٣] : « النُّزُل » بضمتين : لنزول ، وما هيئ للضَّيف أن ينزل عليه كالنزل ، والجمع : إنزال . انتهى .

والنُّزُل أيضاً : المنزل ، قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُولًا** ﴾ [٤] : أى منزلًا ، والفردوس وسط الجنة وأعلاها ، والإضافة فى جنات الفردوس للبيان ، وقد جاء فى الحديث : « شَهْرُ رَمَضَان مُعَلَّق بين السَّمَاء وَالأَرض ، ولَا يُرفَع إِلَى الله إِلَّا بزَكَاةِ الفِطْر » [٥] **ابن شاهين فى** « ترغيبه » ، والضياء عن جرير . انتهى من « الجامع » للسيوطى .

---

(١) يشير إلى حديث أنس (رضى الله عنه) قال : « كان النبى ﷺ يُفطرُ على تمراتٍ يوم الفطر قبل أن يخرج إلى المصلى » رواه الترمذى ك : أبواب الصلاة (٥٤٢) ، والحاكم فى « المستدرك » (٢٥٤/١) ، وصححه وأقرّه الذهبى ، وقال الترمذى : حسن صحيح .

(٢) ولكن معناه ثابت فى الصحيح من حديث أبى سعيد الخدرى وفيه : « ألا أخبركم بإدامهم ؟ [أى أهل السُّنة] قال : إِدَامُهُمْ بلام ونون . قالوا : [أى الصحابة] : وما هذا ؟ قال : ثُورٌ ونون يأكل من زائدةِ كبدها سَبْعُون ألفاً » رواه البخارى ك : الرقائق (٦٥٢٠) ، ومسلم ك : صفة المنافقين (٢٧٩٢) ، وابن خزيمة فى « التوحيد » (١٧٥/١ - رقم ٩٨) ، النُّزُل : ما يقدم للضَّيف ، والنون الحوت . انظر : « فتح البارى » (٣٨١/١١) ، و« شرح مسلم » (١٤١/١٧) .

(٣) « القاموس المحيط » (٥٧/٤) . (٤) سورة الكهف ، الآية (١٠٧) .

(٥) ذكره فى « الكنز » (٢٣٦٨٧ ، ٢٤١٢٤) ، وعزاه إلى من ذكر ، وضعفه السيوطى فى « الجامع الصغير » ، وأورده ابن الجوزى فى « الواهيات » وقال : لا يصح ، فيه محمد بن عبيد البصرى مجهول ، وأقرّه ابن حجر . انظر : « الجامع الصغير » (٤٩٠٥) ، و « فيض القدير » للمناوى (١٦٦/٤) .

وقوله : « شَهْرُ رَمَضَان » : أى صيامه ، **وقوله** : « إلَّا بزَكَاة الفطْر » : أى بإخراجها إلى مُستحقِّيها ، والظَّاهر أن المراد بقوله : « لَا يُرفَع ... » إلخ : أن ذلك كناية عن توقف قبوله على إخراجها ، وفى أثر : « مَنْ اسْتغفر [1] فى يَوم عيدٍ بَعْد صَلَاةِ الصُّبح مائة مرَّة لا يبقى فى ديوانه شىء من الذُّنُوب إلَّا محى عنه ، ويكون يَوْم القيَامة آمناً من عَذَاب الله ، ومن قال : سُبْحَان الله وبحَمْده فى يَوْم عيد مائة مرَّة ، ويقول : يَاربّ إنِّى أَعْطِيت ثَوَابهَا لمَنْ فى القُبُور لا يَبقى أَحد مِنَ الأَموات إلَّا ويقول [2] يَوْم القيَامَة : يَا رَحِيم ارْحَمْ عَبدَك هذَا ، واجعل ثَوَابه الجَنَّة ، فيقول الله : اشْهَدُوا أَنِّى قَدْ غَفرتُ لعبدى » [3] .

وفى الحديث أيضاً : « مَنْ قال : سُبْحَان الله وبحَمْده يَوْم العيد ثلاثمائة مرَّة ، وأَهْدَاها إلَى أَمْوَات المسلمين دَخلَ فىْ كلّ قَبْر أَلف نُور ، ويجعل الله لهُ أَلف نُور فى قَبْرِه إذَا مات » [4] .

وقوله : « دَخَلَ فى كُلّ قَبْر » : ظاهره يشمل قبر مَنْ مات بعد القول ، وربما يرده **قوله** : « فى قَبْرِه إذَا مات » فإن ظاهره قصر دخول النّور فيمَنْ مات بعد قوله : على القائل .

تتمة أُخرى ، تشتمل على فوائد من أَبواب متعدّدة وعلُوم متعدّدَة :

غَـاية مـا يُثْمـر ديـن الله فى	دار الفَنَـا عُـرْفَان ربّ رءُوف
والأُنْس بالـذّكر والأولى بـدَوَام	الفكر فى الخَلق تكون [5] يا إمام
وبِدَوام الذِّكر الأُخـرى تحصـل	فبـالتَّـلاهِى عَنْهمـا لا تغفـل

أشرت بهذه الأبيات إلى **قول الغزالى** : نهاية ثمرة الدِّين فى الدُّنيا

---

(١) فى (خ) : استغفر الله .

(٢) فى (خ) : ويقولوا .

(٣) ، (٤) لم نعثر عليهما بهذا اللفظ ، ولكن ورد بعضهما بلفظ : « من قام ليلتى العيد محتسباً لله لم يمت قلبه يوم تموت القلوب » رواه ابن ماجه (١٧٨٢) .

(٥) فى (خ) : فى الخلوة يا إمام .

تحصيل معرفة الله ، والأُنس بذكره ، فالمعرفة تحصل بدوام الفكر : يعنى فى المخلوقات ، والأُنس بدوام ذكره . انتهى ، **وقلت** [1] :

أُمـور ديننا : أى الإسـلَام إخلَاصنا والاعتقاد السَّامى
ثَالثُهَا امْتِثَالُنا الأوامـرا كَذَا اجتناب النّهى من غَيْر مرا

(**ش**) أى أَن أُمور الدِّين ، والمراد به الإسلام أربعة : الإخلاص ، والاعتقاد الصحيح ، والمراد به التّصديق بما علم مجىء الرَّسول ﷺ به ضرورة ، ومعرفة ما يجب لله ، وما يستحيل عليه ، وما يجوز له ، ومعرفة ما يجب للرُّسل ، وما يستحيل عليهم ، وما يجوز لهم .

وقولى : « ثَالثُهَا ... إلخ » : أى أن امتثال الأوامر واجتناب النَّواهى يتضمنان الإخلاص ، والاعتقاد الصحيح ، ثم إن المراد بالإسلام : الإسلام الكامل ؛ لأن من لم يخلص ، ولم يمتثل الأوامر ، ولم يجتنب النَّواهى ، وقد حصل منه ما يخرجه عن الكُفْر ، فإن إسلامه صحيح لكنّه غير كامل .

وقد ذكر بعضهم أنه وجد مكتوباً عن الشيخ **ناصر الدين اللقانى** : أنَّ أُمور الدِّين أربعة : الصِّحَّة فى العقد ، وصدْق القَصْد ، والوفَاء بالعَهْد ، وحفْظ الحدّ ، ومعنى الصِّحة فى العَقد : الاعتقاد الصحيح فى ذات الله تعالى ، وصفاته السَّالم من التّشكيك والتَّغْليظ ، ومعنى صِدْق القَصْد : الإخلاص له فى العبَادَة ، ومعنى الوَفَاء بالعَهْد : امتثال الأَوَامر ، قال الله تعالى : ﴿ ... **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ** ... ﴾ [2] ، ومعنى حفْظ الحَدّ : اجتناب النّواهى ، قال الله تعالى : ﴿ ... **وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُواْ** ... ﴾ [3] . انتهى ما كتبه بعضهم عن اللقانى .

وقال النووى : أُمور الدِّين : الصِّحَّة بالعَقْد ، والصِّدق بالقَصْد ، والوَفَاء بالعَهد ، واجتناب الحدّ ، أما الصِّحة بالعَقْد ، فالاعتقاد الصحيح السَّالم من

---

(١) زيادة فى (خ) .
(٢) ، (٣) سورة الحشر ، الآية (٧) .

التشبيه والتعطيل والتجسيم[1] في صفاته تعالى ، وأما الصِّدق بالقَصْد في العبَادَات بالنّية والعمل بالإخلاص ، وأما الوَفَاء بالعَهْد ، فأدَاء الفَرائض الخمس في أوقاتها ، وأما اجتناب الحدّ ، فاجتناب محارم الله ، قال الله تعالى : ﴿ ... وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُواْ ... ﴾[2] .

وقلت بدل الأبيات الأول **(ص)** :

أُمُورُ الدِّين :

أُمور ديننا أُمورٌ أربعة	فَاعن بما أقوله واتبعه
صِحَّة عَقْد واجْتنَاب الحَدّ	وَصْدْق قَصْد وَالوَفا بالعَهْدِ
وَفِي الحَدِيث أَنَّكُم لو تتركون	عُشر الذى به أُمرتم تَهْلَكُون
ثُمَّ يَجىء زَمن فيه النَّجاة	بِفِعْل عشر مِنْه مِن غير اشْتِبَاه
وَذَا عَلى الأَمر بمعروفٍ حُمل	كالنَّهْى عمَّا أَنكر الشَّرع الكمل

(ش) أشرت بالأبيات لحديث : « إِنَّكُم فى زَمَانٍ مَنْ تَرَك مِنكُم عُشْر ما أُمِرَ به هَلَك ، ثُمَّ يأتى زَمَان مَنْ عَملَ منهُم بعُشْر ما أُمر به نَجَا »[3] **(ت)** عن أبى هريرة (رضى الله عنه) ، ثم إن هذا الأمر محمول على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وإنما هلك من ترك عُشْر مَا أُمر به فى زمن الصحابة (رضى الله تعالى عنهم) لعزّة الإسلام حينئذ ، وذل الكُفْر[4] ، وكثرة أنصاره .

وقوله فى الحديث : « ثُمَّ يأتى زَمَان مَنْ عَملَ منهُم » : أى من أهل ذلك الزّمن ، **وقوله** : « بعُشْرِ ما أُمر به نَجَا » : أى لعذره **(ح)** بضعف الإسلام ، وقلّة أنصاره ، ومن هذا النَّمط ما ذكر فى دفع المعارضة بين حديث :

---

(١) **التجسيم** : هو تشبيه صفات المخلوق بصفات الخالق جَلَّ جَلاَلُهُ ، وإلى هذا المذهب الفاسد يُنسب المجسمة .

(٢) سورة الحشر ، الآية (٧) .

(٣) رواه الترمذى ك : الفتن (٢٢٦٧) ، وأبو نعيم فى « الحلية » (٣١٦/٧) ، والبخارى فى « تاريخه » (٣٧٤/٢) ، وضعفه الترمذى ، والذهبى ، وأورده ابن الجوزى فى « الواهيات » وقال : قال النسائى : حديث منكر . انظر : « فيض القدير » للمناوى (٥٥٦/٢) ، وضعفه السيوطى فى « الجامع الصغير » (٢٥٤٢) .

(٤) زيادة من (خ) .

« لَا تسبُّوا أَصحابى ، فَلو أَنَّ أَحدكُم أَنْفَق مثل أُحد ذَهَباً ما بلغَ مُدّ أحدهم ولا نصيفه »[1] ، وحديث : « يَأتى علَى النَّاس أَيَّام للعَامل أجْر خَمْسين ، قيل : منهم أو منَّا ، قال : بلَى منكُم »[2] رواه أبو داود ، والترمذى من حديث أبى ثَعْلَبة[3] يرفعه ، فإنه حمل : أي قوله : « للعَامل أَجْر خَمْسين » على الأَمر بالمعروف ، والنَّهْى عن المنكر ، وإنما كانَ أَجر ذلك فى زَمَن الصّحابة قليلاً بالنسبة لأَجره فى زمن غيرهم لعزّة الإسلام فى زمنهم ، وكثرة أنصاره ولضعفه فى زمن غيرهم (ص) :

فَضْلُ الشَّهَادَة بعد الوُضُوء :

وَمَن يَقُل شَهَادَة التَّوْحِيد ... ثَلَاثَ مَرَّات بِلَا مَزِيد
تلَو وضوئه وَهَذَا قَبْل مَا ... يَقُوم لن يَبْقى عَلَيه مأثما

(ش) أشرت بقولى : « ومن يقل .. » إلى قولى : « مأثماً » لحديث « الجامع الكبير » ونصه : « وَمَنْ قالَ حين يَفْرغ من وُضُوئه : أَشْهَدُ أَن لَا إِلٰهَ إِلَّا الله [ثلاث مرّات] لم يَقمْ حتى تمحى عنهُ ذُنُوبه حتَّى يَصير كما ولدتْهُ أُمُّه » ابن السّنى[4] عن عثمان[5] (رضى الله عنه) (ص) .

---

(١) (متفق عليه) رواه البخارى ك : فضائل الصحابة (٣٤٧٠) ، ومسلم ك : فضائل الصحابة - ب : تحريم سب الصحابة (٢٥٤٠) .

* قوله : « ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » معناه : أن القليل الذى أنفقه أحدهم أكثر ثواباً من الكثير الذى ينفقه غيرهم ، وسبب ذلك : أن إنفاقهم كان مع الحاجة إليه ، لضيق حالهم .

(٢) رواه أبو داود (٤٩٩/١١ - عون المعبود) ، والترمذى (١٥/٩ - عارضة الأحوذى) ، وابن ماجه ك : الفتن (٤٠١٤) ، وابن حبان (١٨٥٠ - موارد) ، والبغوى « شرح السُّنة » (٤١٥٦) ، والطبرى فى « تفسيره » (١٢٨٦٣) ، وحَسَّنه الترمذى ، وصححه ابن حبان ، وله شواهد ، وضعفه بعض المعاصرين بعمرو بن جارية ، قلت : وهو ثقة عند الجمهور ، وثقه ابن حبان ، وابن معين ، والطبرى ، كما فى « بذل المجهود فى حل أبى داود » (٢٧٣/١٧) للساهر نفورى الهندى .

(٣) أبو ثعلبة : الخشنى ، صحابى مشهور ، معروف بكنيته ، واختلف فى اسمه اختلافاً كثيراً ، توفى سنة (٧٥ هـ) ، قاله أبو عبيد ، وابن سعد ، وهَارُون الحَمَّال .

انظر : « الإصابة » (٥٠/٧ - رقم ٩٦٧٢) .

(٤) رواه ابن السّنى « عمل اليوم والليلة » (٢٧) ، وضعفه الزبيدى فى « الإتحاف » (٤٣١/٢) .

(٥) رواه ابن السّنى فى « عمل اليوم والليلة » (٢٩) ، وضعفه الحافظ ابن حجر بجهالة =

فَضْـلُ الوُضُـوء والذِّكْر :

وَمَـن يَمُـت عَلَى وُضُـوئه يَنَـل ... شَـهَادَة جـا فى حَـديث معتلل
وَمَـن بيـوم وَبليـل يَـذْكُـر ... عشْـرينَ مَرَّة لمـوت يُحشَـر
مَـع الَّـذينَ اسْتشـهدوا كما وَرَد ... عَنِ النَّبىِّ المُصْـطفَى فَلْيعتمـد

(ش) أشرت بهـذه الأبيات لحديث : « مَنْ أَتاه مَلَك المَوْت ، وَهُوَ على وُضُوء أُعطَى الشَّهَادَة »[1] ، ولما ورد فى حديث : « قيل : يا رسول الله : هَلْ يُحشَر مَعَ الشُّهَدَاء أَحد ؟ قال : « نَعَمْ مَنْ يَذْكُر المَوْت فى اليَوْم وَاللَّيلَة عشْرين مرَّة »[2] . انتهى (ص) :

فَضْـلُ بَعض الآيَـات :

وَمَنْ يَجىء بكلمَة الإِخْلَاص مَع ... لَفـظ الكَريم صِـفَة المَولَى يَقَـع
والآيَـة الأُولى من الفَـاتحَـة ... مثلثـاً كِـلَا بِغَـير مـريـة
وَأَوّل المُـلْك وَلَكن يَـدخُـل ... لَفْظَـة يُحْيِى وَيُمِيـت يا فـل
مَنْ قيل ، وهُوَ عندَما يأتى الحمام ... يسكنه رَبّ السَّـما دَار السَّلَام
كقَـائل مـن بَعـدهـا والله ... أَكـبـر والـحَـوْقـل يـا أواه

= بعض رجال إسناده ، وبشيخ ابن السنى عبد الله بن محمد بن جعفر - الذى يرويه عنه - وهو متهم بالكذب ، كما فى « الفتوحات الربانية » لابن علان (٢/٢٢) .

(١) الحديث ضعيف رواه الطبرانى فى « معجمه الصغير » (٢/٣٢) ، وابن عساكر « مختصره » لابن بدران (٣/١٤٤) ، وابن الجوزى فى « العلل المتناهية » (ج ١/٣٥٢) ، والبيهقى فى « الشعب » كما فى « الكنز » (٤٣٥٧٥) ، وذكره الهيثمى فى « المجمع » (١/٢٧١ ، ٢٧٢) وقال : فيه محمد ابن الحسن بن أبى يزيد ، وهو ضعيف » . انتهى . قلت : وفى سنده عند الطبرانى على بن زيد بن جدعان والجمهور على تضعيفه .

(٢) جـاء ذلك عن عائشة (رضى الله عنها) ، وذكره بهذا اللفظ الإمام الغزالى فى « الإحياء » (٤/٤٥٠) ، ولفظه فى كتب السُّنة المعتمدة : عن عائشة (رضى الله عنها) قالت : « قلت : يا رسول الله ﷺ ليس الشهيد إلا من قتل فى سبيل الله . قال : يا عائشة إن شهداء أُمتى إذاً لقليل من قال فى يوم خمساً وعشرين مرَّة : اللَّهُمَّ بَارك فى الموت ، وفيما بَعد الموت ، ثم مات على فراشه ، أعطاه الله أجر الشَّهيد » رواه الطبرانى فى « الأوسط » ، كما فى « مجمع الزوائد » (٥/٣٠١) ، وضعفه الهيثمى بجهالة بعض رجال إسناده ، وانظر : « تخريج الإحياء » للعراقى (٤/٤٥١) ، و« الإتحاف » للزبيدى (١٠/٢٢٧) .

(ش) أشرت بقولي : « كقائل ... إلخ »[1] البيت ، لما رواه أبو سعيد الخدري : « مَنْ قالَ عندَ مَوْتِه : لَا إِلٰهَ إِلَّا الله ، والله أكبر لَمْ تَطْعمه نار أبداً »[2] (ص) :

بَعْضُ السُّوَر :

وَمَنْ قَرأ الإِخْلَاص حِين يَمْرض	فَمَا لهُ فتْنَة قَبْر تعرض
كذَا بها يَنْجُو حَقيقاً يا رشيد	من ضَمّة القَبْر وأمرها شَديد
وَلَيْسَ في القَبْر سُؤَال مَنْ قَرأ	المُلْك كُلّ لَيلَة بِلَا مرا
وَسُورَة السَّجْدَة بعضهم أَضَاف	لَهَا وفي فعلهما رعى الخلَاف
وَمُقْتَضى قَوْل الإِمام القُرْطبي	كلّ آخي شَهَادَة بذا حبي
ومُنْكر فتْنَة قَبْر مُبتدع	ولَيسَ مُرتدًّا بهذا قَد قُطع

(ش) : أي أنَّ مَنْ يقرأ في مَرَض موته سورة الإخلاص يأْمن من ضَمّة القَبْر ، ومن فتْنته ، لما أخرج أبو نعيم في « الحلية » بسنده أنه ﷺ قال : « مَنْ قَرأ سُورَة الإِخلَاص : أي ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ في مَرَضِه الَّذي يَمُوت فيه لم يُفْتن في قَبْرِه ، وأَمن من ضَغْطَة القَبْر ، وحَملَتهُ المَلَائكَة يَوْم القيامة بأكفها حتى تُجيزه على الصِّرَاط إِلى الجَنَّة »[3] . انتهى .

وقولي : « ولَيسَ في القَبْر سُؤَال مَنْ قَرأ ... إلخ » : أي من يقرأ سورة المُلْك في كلّ ليلة ، فإنه لا يُسأل قبره[4] ، وبعضهم أضاف لها سورة السّجدة ، فَمَنْ يقرأهُما في كلّ ليلة فإنه يخرج من الخلاف .

---

(١) في (خ) : « كقائل من بعدها والله ... » إلخ .

(٢) رواه الطبراني في « معجمه الصغير » (٨٦/١) ، وفي سنده ضعف ، بيّنه الحافظ ابن حجر في « تلخيص الحبير » (١١٠/٢) ، وانظر : « الإتحاف » (٢٧٦/١) ، وفي سنده عبد الرحمن بن مَغْراء ، وهو صدوق متكلّم في حديثه . انظر : التقريب (٤٩٩/١) .

(٣) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٢١٣/٢) ، والطبراني في « معجمه الأوسط » ، كما في « مجمع الزوائد » (١٤٥/٧) ، و« الدّر المنثور » (٦٧٤/٨) ، وقال السيوطي : سنده ضعيف . قلت : وفي سنده نصر بن حماد البلخي متهم بالكذب ، قاله ابن معين ، وانظر : « مجمع الزوائد » (١٤٥/٧) .

(٤) جاءت أحاديث كثيرة عن النّبيّ ﷺ تدل على فضل سورة تبارك ، وكونها المانعة من =

وقولي : « وَمُقْتَضى قول الإمام القُرْطبى » البيت : أى مقتضى قول القرطبى : إنَّ كلّ شهيد من شُهَداء المعركة ، ومن شهداء الآخرة لا يُسأل فى قبره ، **وقولي** : « ومُنكر فتنة قبر ... إلخ » : أشرت به إلى قول البَرزلى فى مسائل السوقة مسألة **ابن الحاج** : مَنْ أنكر فتنة القبر وسؤَال المَلَكين فهو مبتدع[1] ، فإن لم يَتُبْ لم يقتل ، ويُضْرب أدباً كما فَعلَ عمر (رضى الله عنه) بضبيغ[2] ، ومَنْ قال بخلق القرآن يُسْتَتاب ، فإن لم يَتُبْ وإلَّا خلى .

وحكى ابن جرير عن أبى لُبابة[3] : أنه كان يذهب إلى إسقاط عذاب

= عذاب القَبْر ، من هذه الأحاديث ما ثبت عن ابن عباس (رضى الله عنهما) مرفوعاً أنه ﷺ قال فى سورة تبارك : « هى المانعة ، هى المُنْجية ، تُنْجيه من عَذَاب القَبر » رواه الترمذى (٢٨٩٠) ، وأبو نعيم فى « الحلية » (٨١/٣) ، وحسَّنَه الترمذى ، وله شاهد من حديث ابن مسعود (رضى الله عنه) مرفوعاً عند الحاكم ك : التفسير (٤٩٨/٢) ، وصححه وأقرّه الذهبى ، وانظر : أحاديث أخرى فى هذا المعنى عند السيوطى فى « الدّر المنثور » (٢٣٠/٨ - ٢٣٣) ، وابن كثير فى « تفسيره » (٣٩٥/٤) .

(١) وذلك لما جاء من أحاديث متواترة فى إثبات عذاب القبر وفتنته والتى ترد على ما نفاه مطلقاً من الخوارج وبعض المعتزلة كضرار بن عمرو ، وبشر المريسى . قال ابن حجر : وخالفهم فى ذلك أكثر المعتزلة وجميع أهل السنة وغيرهم وأكثروا من الاحتجاج له .

انظر : « فتح البارى » (٢٧٥/٣) ، و« شرح الطحاوية » لابن أبى العز » (٣٩٣) ، و« الشريعة » للآجرى (٣٥٩) ، و« شرح اعتقاد السلف » للإمام اللالكائى (١٦٦/٢) ، و« إثبات عذاب القبر » للبيهقى ، و« شرح الفقه الأكبر » لعلى القارى (١٤٨) ، و« تفسير ابن كثير » (٨١/٤) .

(٢) هو صبيغ بن عسل الكوفى العراقى الذى كان يتكلم فى متشابه القرآن بغير علم فجلده عمر ابن الخطاب (رضى الله عنه) حتى رجع عن رأيه .

انظر تفصيل هذه الحادثة فى « سنن الدارمى » ك : المقدمة (ج ٦٦/١ ، ٦٧) ، و« الدر المنثور » (ج ١٥٢/٢ ، ١٥٣) ، و« الإتقان فى علوم القرآن » (ج ٥/٢) كلاهما للسيوطى .

(٣) لا أدرى هل يقصد ابن جرير بقوله هذا : أبا لبابة الأنصارى ، وهو رفاعة بن عبد المنذر الأوسى المدينىّ ، ويقال : بشير بن عبد المنذر ، وهو صحابى أدرك النبى ﷺ ، كما فى « الإصابة » (١٦٨/٤) ، و« أسد الغابة » (٢٨٤/٥ » ، أو أحداً غيره .

انظر : « التقريب » (٤٦٧/٢ - حرف اللام - ب : الكنى) .

القبر [1] وأرجو أن يكون ذلك منه غلطاً ، أو جهلًا بالسُّنَّة الثابتة ، وأَعُوذُ بالله من هذه الزلة والله يغفر له ذلك . انتهى ، ونحوه فى « المسايرة » [2] وشرحها [3] للكمال بن أبى شريف (ص) :

فَضْلُ كَلمَةِ التَّوحِيد :

وَكَلمة التَّوْحيد معها وحده ... تُتْلَى كذا نفى الشّريك بعده
وَزِدِ إلٰهاً وَاحداً ثُمَّ الصَّمَد ... واختم بلَمْ يَلِد إلى كُفُواً أَحَد
قائلهَا يَنَال ألفى ألف ... من حَسَنات من عَظيم اللُّطف
إذا يكرّر هذه إحدى عشره ... فى أى وقت كان نلت المغْفرة
ومن يَزِدْ يَزيده الله العَظِيم ... من فَضْله فيا لهُ مَوْلَى كَريم

(ش) أشرت بذلك لما فى « الجامع الكبير » ونصه : « مَنْ قَالَ : لَا إِلٰهَ إِلَّا الله ، وَحدَهُ لَا شَريكَ لَهُ إِلٰهاً وَاحداً صَمداً ، لَمْ يَلِد وَلَمْ يُولَدْ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحد ، إحدى عشرة مرّة كتبَ الله لهُ ألفى ألف حَسَنة ، ومن زَاد زَادهُ الله » [4] عبد بن حميد **طب** عن أبى أَوْفى [5] ، **حل** وابن عساكر عن جابر (رضى الله عنه) . انتهى (ص) :

---

(١) هذا المحكى عن أبى لبابة لا أظنه قد ثبت عنه ، وذلك لأن المصنفين فى اعتقادات أهل السنة لم يُذْكَر عنهم أن أحداً من أهل السنة خالف فى هذه المسألة ، بل هى محل اتفاق عند جميعهم ، بل ووافقهم فى ذلك أكثر المعتزلة ، نبَّه عليه ابن حزم فى « الفصل » ، وابن حجر العسقلانى فى « الفتح » .
انظر : المصادر السابقة ، والفصل فى : « الأهواء والنحل » (١١٧/٤) ، و« المحلى » لابن حزم (٢٥/١) ، و« الاعتقاد على مذهب السلف » للبيهقى (٢١٩ - ٢٢٦) ، و« فتح البارى » (٢٧٦/٣) .

(٢) « المسايرة » للإمام الجليل كمال الدين محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد بن مسعود السيواسى السكندرى المعروف بابن الهمام الحنفى ، المتوفى سنة (٦٨١ هـ) .

(٣) شرح المسايرة المسمَّى « المسامرة فى شرح المسايرة » للإمام الكمال بن أبى الشريف الشافعى .

(٤) ذكره فى « كنز العمال » (٣٨٧٤) ، وعزاه إلى الطبرانى ، وعبد بن حميد فى « مسنده » ، وابن عساكر ، وذكره الهيثمى فى « مجمع الزوائد » (٨٥/١٠) وقال : « فيه فايد أبو الورقاء وهو متروك » ، وضعفه المنذرى فى « الترغيب » (٤٢٠/٢) .

(٥) كذا فى (خ) والمطبوعة ، والصواب : عبد الله بن أبى أوفى ، كما فى « مجمع الزوائد » (٨٥/١٠) ، و« الترغيب » للمنذرى (٤٢٠/٢) ، وهو صحابى جليل ، من أصحاب الشجرة ، =

صَـلَاةُ الـجَمَاعَـة والـمُنفَرد :

ولَا ثَواب فى صَـلَاة المُنْفَـرد   فى غَـيْر ما يَعْقـل منهـا فاعْتَمد
وفى جَمَـاعَـة تؤدّى يَحصـل   ثَوَابهَـا وأن لهـا لَا يَعْقـل
وَمَنْ يُصَلِّى فى الجَمَاعَة الغَداه   يَكون فى أَمْـن النَّبىّ والإلٰـه

وقلت بدل البيت الثانى :

وغـيره ثوابهـا يَحْصـل لـهُ   وإن يَكن جميعهـا لَنْ يَعْقـله

(ش) أشرت بهذا ، لما ذكره صاحب « البستان فى فوائد صلاة الجماعة » **فقال** : ومنها : أى من فوائد الصلاة فى الجماعة : أنَّ الفذّ ليسَ له من صَلَاته إلَّا ما عَقِل : أى لا يكتب له إلا ثواب ما عقل منها ، وأمَّا المصلى فى جماعة فيكتب له أَجْر صلَاته كاملًا ، وإن لم يَحضرْ قلبه فيها كلّها ، وذكر فى محلّ آخر عن سيدى **أبى مدين** نحو هـذا ، ولما حكاه عن **سالم**[1] **بن عبد اللّـه بن عمر بن الخطاب** (رضى الله عنهم) ، **فقال** : وحكى عن **سالم بن عبد اللّـه بن عمر بن الخطاب** (رضى الله عنهم) : أنه حضر **الحجاج بن يوسف**[2] فأحضر رجلًا بعدما أخذَ النَّاس مَجَالسهُم ، فأَمرَ بضَرْب عُنقه، وأمر **سالم**[3] **بن عبد اللّـه**

= سكن الكوفة ، وهو آخر من مات بها من الصحابة سنة (٨٦ هـ) ، وقيل : (٨٧ هـ) بعدما عَمِىَ (رضى الله عنه) . انظر : « الإصابة » (٢٧٩/٢) ، و « التجريد » (٢٩٩/١) ، و « أسد الغابة » (١٢١/٣) .

(١) هو من أئمة التابعين قال مالك : لم يكن أحد فى زمان سالم أشبه من مضى من الصالحين فى الزهد والفضل والعيش منه ، وقال ابن سعد : كان ثقة كثير الحديث عالياً من الرجال . انظر : « تهذيب التهذيب » (٤٣٦/٣) ، و « التقريب » (٢٨٠/١) ، و « مشاهير علماء الأمصار » لابن حبان (٦٥) .

(٢) **الحجاج بن يوسف الثقفى** : أحد جبابرة العرب وساستها وقادتها وموطد ملك بنى أُميّة ، وأحد البلغاء ، والخُطَباء ، خدم عبد الملك بن مروان وابنه الوليد . ولد سنة (٤١ هـ) ، وتوفى سنة (٩٥ هـ) فى مدينة (واسط) بالعراق . انظر : « أمالى النوادر » لأبى على القالى (١٧٤) .

(٣) قصة سالم بن عبد الله مع الحجاج أخرجها الطبرانى فى « معجمه الكبير » (٣١٢/١٢) ، وفى « الأوسط » ، كما فى « مجمع الزوائد » للهيثمى (ج ٢٩٦/١) وقال بعدها : « وفيه يحيى بن عبد الحميد الحمانى » . قلت : وهو مختلف فيه ضعفه أحمد والنسائى ، ووثقه ابن معين ، وأبو داود ، والرمادى ، وقال ابن عدى : لم أر فى مسنده أحاديث مناكير ، وأرجو أنه لا بأس به ، واعتمد الحافظ ابن حجر كلامهم . انظر : « التقريب » (٣٥٢/٢) ، الرواه المختلف فيهم من آخر ترغيب المنذرى (٥٨٠/٤) .

ابن **عمر بن الخطاب** (رضى الله عنهم) أن يتولى ذلك ، فقام سالم ، ووقف بجَنْب الرَّجل ، **وقال له** : يا رجل أَصدقنى عمَّا أسأَلك ، **فقال** : ما الذى تَسْأَل عنه ؟ **فقال** : هَلْ صَلَّيْت الغداة فى جماعة ؟ **فقال** : نَعَمْ ، فأَقبل سالم على الحجاج **وقال** : أيها الأَمير هذَا الرَّجل يَزْعُم أنه فى أمانك ، فكيفَ تَأْمُر بضَرْب عُنقه ؟ **فقال** : ما رأيته إلَّا الآن ، فأى أَمان بينى وبينه ؟ **قال** : سمعتُ أبى عبد الله **قال** : سمعتُ عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) **قال** : سمعتُ رسول الله ﷺ **يقول** : « مَنْ صَلَّى الغَداة فى جَمَاعَة كانَ فى أمان الله ورَسُوله »[(1)] ، وقد كانَ فى أَمانك ، فإنك وَليّ المسلمين ، **قال** : صَدَقْت ، وصَدقَ أَبُوك ، وصَدقَ جدّك ، وصَدقَ رسول الله ﷺ ، **ثم قال** : خلوا سَبيله .

وقال بعض الحكماء : رأيت بعض السَّجَّانين وكانَ قد تابَ ، **فقلت له** : أخْبرنى بأَعْجَب شىء رأيت ؟ **قال** : كنتُ سجَّاناً أربعين سنة ، فما دخلَ علىّ أَحد السِّجن إلَّا سألتهُ : هلْ صَلَّيت الصُّبح اليوم في جماعة ؟ إلَّا قالَ لى : لا . انتهى .

ثم إن من الكلام ما يكون سبباً لدَفْع الأُمور الوخيمَة[(2)] كما فى ما ذكرناه عن سالم بن عبد الله (رضى الله عنهما) ، وكما وقع لعبد الله بن أبى العبّاس (رضى الله عنهما) السّفاح ، وذلك أنه أمر بالقبض على من يكون من بنى أُميّة من جميع البلاد ، فقبض على أقوام منهم رجال وأطفال ونساء ، فأمر بضَرْب رقاب الجميع حتى بقيت صغيرة منهم فأنشأت تقول شعراً :

---

(1) الحديث المذكور فى القصة بلفظ : « مَنْ صَلَّى الصُّبح كان فى جوار الله يومه » ، كما فى « مجمع الزوائد » (٢٩٦/١)، و « الترغيب » للمنذرى (٢٩٢/١)،ومعنى الحديث ثابت، وله شواهد كثيرة منها ما رواه أبو بكر الصديق (رضى الله عنه) مرفوعاً بلفظ: « مَنْ صَلَّى الصُّبح فهو فى ذمة الله ، فلا تُخْفِرُوا الله فى عهده ، فمن قَتَلهُ طَلَبَهُ الله حتى يَكُبَّهُ فى النار على وجهه » رواه ابن ماجه ك : الفتن (٣٩٤٥) ، والطبرانى فى « الكبير » (١٦٩/٢) ، وذكره الهيثمى فى « المجمع » (٢٩٦/١ ، ٤١/٢) ، والمنذرى فى « الترغيب » (٢٩٢/٢) وقالا : رجال إسناده رجال الصحيح ، وقال البوصيرى فى طريق الطبرانى : إسناده صحيح . (مصباح الزجاجة ٢٢٦/٣) .

وبنحوه أيضاً عند مسلم من حديث جندب رقم (٤٥٤) ، والترمذى (٢٢٢) ، وأبى عوانة (١١/٢) .

(2) **الوخيمة** : العظيمة المستوبلة الشأن .

عَبْـد شَـمس أَبُوك وهـو أَبُـونا   لأَنـنـا ديك مِـنْ مَكان سَـحِيق
وَالقرابات بيننـا راسـخات   مُحْكمات العُرى بِحَبْل وَثِيـق

وقولها : « عبد شمس أبوك ، وهو أبونا » لعلّ صوابه : أخو أبيك أبونا ، لأن عبد شمس التى هى من ذريته أخو (هاشم) الذى السّفاح من ذريته ، وكلاهما ولد لعبد مَنَاف إذْ أولاده أربعة : هاشم ، والمطلب ، وعبد شمس ، ونُوفل ، وذلك لأنَّ هاشماً وأُميّة ولدان لعبد مناف ، واسمه عبد شمس أيضاً ، فلمَّا سمعَ السَّفاح شعرها ، قال : أُفّ لهذه الجيف ، ما كان منهم من يحسن أن يقول كما قالت هذه الجارية ، ثم أمر برفْع السّيف عمَّن يوجد منهم **(ص)** :

وَمَـنْ قَرأ ومـن يَلِيـه يَتَّقى   لِقَـوله قَـدراً مِنَ السّـوء وقى
كَقَـوله الله إن كـرر لـه   وَتَـلوه رَبّى لَا شَـريك لَـه

(ش) أشرت **بقولى** : « ومن قرأ ... إلخ إلى ما ذكره جدّ والدى لأُمِّه الشيخ جلال الدين الكركى خليفة المقام الدّسوقى كان حسبما رأيته عنه بخطه ونصه : الحمد لله فى كتاب أبى الفرج المخزومى عبد الواحد بن نصر بالسند عن الواثق ، قال : حدّثنى المعْتَصم أن قوماً ركبوا البَحْر فسمعُوا هَاتفاً يَقُول : مَنْ يُعطينى عشرة آلاف دينار حتى أُعلِّمه كلمةً إذا أصابهُ غَمّ أو أَشْرف علَى هَلَاك فقالها انكشف ذلك عنه ، فقام من أهل المركب رجل معهُ عشرة آلاف دينار فَصـاح : **أَيُّهَا الهَاتف** ، أَنا أُعْطيك عشرة آلاف دينار وعَلِّمْنى ، **فقال** : ارْم بالـمَال فى البحر ، فَرمَى به ، فسَمعَ الهَـاتف **يقول** : إذَا أصـابك غَمّ أو أشْرفتَ على الهَلَاك فاقرأ ﴿ ... **وَمَن يَتَّقِ اللَّـهَ يَجْعَل لَّـهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْـهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ** ... ﴾ إلخ [1] الآية ، **فقال جميع مَنْ فى المركب** للرجل : لقد ضَيَّعت مَالَك ، **فقال** : كلَّا إن هذه لفظة ما أشك فى نفعها ، **قال** : فلما كانَ بعد أَيّام كسر بهم المركب ، فلم ينجُ منهم غير ذلك الرّجل ، فإنه وقَع على لَوْح وطَرحهُ البَحْر على جزيرة ، **قال** : فَصَعدت أَمشى فيها ، فإذا بقَصر مُنِيف [2] فدخلته ،

---

(١) سورة الطلاق ، الآيتان (٢ ، ٣) .   (٢) **المُنِيفُ** : المرتفع البناء .

فإذا فيه من كلّ ما يكون فى البَحْر من الجَواهر وغيرها ، وإذا بامرأة لم أر قطّ أَحْسَن منها ، **فقلت لها** : مَنْ أنت ، وأى شيء تعملين هنا ؟ **قالت** : أنا بنت فلان التَّاجر بالبَصرة ، وكان أبى عظيم التِّجارة ، وكان لا يَصْبر عنِّى ، فسافَر بى معهُ فى هذا البَحْر فانكسرَتْ مركبنا فاختطفت حتى جعلت فى هذه الجزيرة ، فخرج إلىّ شيطان من البحر فتلاعب بى سبعة أيّام من غير أن يطأنى إلَّا أنه مَسَّنى ، ويُؤْذينى ، ويتلاعب بى ، ثم نظر إلىّ ، ثم نزل فى البحر سبعة أيّام ، وهذا يوم موافاته ، فاتّق الله فى نفسك ، واخرج قبل موافاته ، وإلَّا أتى عليكَ ، فما انقضى كلامها حتى رأيت ظلمة هائلة ، **فقالت** : قَدْ والله جاء وسيهْلكك ، فلمَّا قَرُب منِّى وكاد يَغْشَانى قرأت الآية ، فإذا هو قد خَرّ كقطْعَة جبل إلَّا أنه رماد مُحْترق ، **فقالت المرأة** : هلك والله وكفيت أمره ، مَنْ أنت يا هذا الذى مَنَّ الله علىّ بك ، فَقُمْت أنا وهى فانتجبنا ذلك الجوهر حتى حَمَلْنا كلّ ما فيه من نفيس وفاخر ، ولزمنا السَّاحل نهارنا ، فإذا كانَ اللَّيل رجعنا إلى القَصْر ، **قال** : وكان فيه ما يُؤْكل ، **فقلتُ لها** : من أين لك هذا ؟ **قالت** : وجدته هاهنا ، فلما كانَ بعد أيّام رأينا مركباً بعيداً ، فَلَوَّحْنا إليه فدخلَ ، فحملنا فَسِرْنَا يَسيراً إلى البَصْرة ، فَوصَفَتْ لى منزل أبيها ، فأتيتهم ، **فقالوا** : مَنْ هذا ؟ **فقلت** : رسول من [1] فلانة بنت فلان ، فارتفعت النَّاعية ، **وقالوا** : يا هذا لقد جدّدت علينا مُصَابنا ، **فقلت** : اخرجوا ، فخرجوا ، فأَخَذْتُهم حتى جِئْتُ بهم إلى ابنتهم ، فكادوا يموتون فرحاً وسألوها عن خبرها ، فَقَصَّتْهُ عليهم ، وسألتهم أن يزوّجونى بها ففعلوا ، وجعلنا ذلك الجَوْهَر رأس مال بينى وبينها ، وأنا اليوم أَيْسَر أهل البَصْرة ، وهؤلاء أولادى منها . نقله أبو الحسن بن أبى القاسم علىٌّ التنوخى فى كتابه : « الفرج بعد الشِّدة » ، وهو كتاب جليل فى خزينة عند الأمير الناظر . انتهى بحروفه .

ومِمَّا يناسب هذا ما حكاه بعضهم ، وهو : أنَّ رجلًا سَافَر مع زوجته وابنيه ،

---

(١) زيادة من (خ) .

في مركب ، فكسرت ، فكلّ واحد ركبَ خَشَبة ، ثم فَرَّقتهُم الرِّيح ، فجاءتْ الرِّيح بالرَّجل إلى جزيرة ، فوجدَ فيها كنزاً من المال ، فجلسَ فيها فَصار إذا مرّت به المراكب فيُشير لها فتأْتيه ، فيشترى منها ما يحتاج له بأكثر ثمن ، ثم إن النَّاس تَسَامعتْ به فقصدته ، وبَنَتْ عنده أماكن ، وصار ملك تلكَ الجزيرة ، ثم بعد مدّة أرادَ الله سبحانه وتعالى أن يَجْمَع بين زوجته ، وولديه ، فاتفق أن مراكب ثلاثاً جاءت إلى الجزيرة ، فواحدة فيها زوجته واثنتان في كل واحدة ابن من ابنيه ، فكانت سفينة الزّوجة ما بين سفينتى الابنين ، ثم إن أحد الولدين نَظَر إلى الآخر فَتعَارفَا ، فَسمعَتْ المرأة كلامهما ، فقالت لمن هى معه : لا بد وأن أذهب معك إلى ملك تلك الجزيرة ، فذَهَبتْ إليه مع من هى معه ، وأَمَرتْ بإحضار الولدين ، وأن يتكلَّما بما تكلَّما به قبل ، فأحضرهما الملك فتكلَّما ، **فقالت له** : يا سيدى هما ولداى ، **فقال الملك** : وولداى أنا أيضاً ، وأنت زوجتى ، وأشرت **بقولى** : « كقائل الله إن كرر له ... إلخ » لحديث : « مَنْ أَصَابَهُ همٌّ أَوْ غَمٌّ أَوْ سَقَمٌ أَوْ شِدَّةٌ فقال : الله الله الله الله رَبِّى لَا شَرِيكَ لهُ ، كَشَفَ الله ذلك عنه »[1]، وقد نظمت الآيات التى جرب نفعها لمن يقرأها أو حملها ، **فقلت** (ص) :

فَضْـلُ قـرَاءَة وَحَمـل آيَـات القُـرآن :

وَمَـنْ لآيَـاتٍ قَـرأَ أَوحَمَـلَا	فَقَـدْ نَجَـا من كلّ سُـوء وبلا
قُلْ لَنْ يُصِـيبَنَا تَمَـامُهَا وَمَـا	مِـنْ دَابَّـةٍ إلى مُبِـين فَاعْلَمـا

وَقُلتُ بَـدَلَهُ :

قُلْ لَنْ يُصِـيبَنَا لِلَفْـظ المُؤْمِنين	مَـعَ وَمَـا مِـنْ دَابَّـة إلى مُبِـين

---

(١) ذكره المصنف بمعناه ، وهو بلفظ : « إذا أصاب أحدكم هَمّ أو لأواء [أى شدّة] فليقل : الله الله ربى لا أُشْرك به شيئاً » من حديث عائشة (رضى الله عنها) رواه الطبرانى فى « الأوسط » ، كما فى جوامع السيوطى (١٢٦٧) ، و« مجمع الزوائد » (١٣٧/١٠) ، وله شاهد من حديث ثوبان بلفظ : « كان ﷺ إذا راعه شىء قال: هُوَ الله ربى لا أُشْرك به شيئاً » رواه ابن السّنى فى« عمل اليوم » (٣٣٥) ، والنسائى فى « عمل الليلة » (٦٥٧) ، وحسّنه الحافظ ابن حجر ، وبنحوه عن أنس (رضى الله عنه) من حديث طويل عند ابن السّنى (٣٤٦) ، وفى سنده ضَعْف .

كَذَا وإنْ يَمْسَسْكَ للرَّحيم إنِّى تَوَكَّلْتُ لِمُسْتَقِيم
ضِفْ وَكَأَيّن مِنْ إلى لَفْظ العَلِيم مَا يَفْتَح الله إلى لَفْظِ الحَكِيم
مَعَ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَا لِلْمُتَوَكِّلُون يَا مَنْ حققا

ثم أضفت لما تقدّم بيتاً آخر **فقلت** :

وَمَا لَنَا أَلَّا لهذه أضف لِلْمُتَوَكِّلُونَ سِرّها عُرف
وَمَنْ قَرأ حَال تَشْريح اليَمين مِنْ عَارضَيه أَم قرآن مُبين
والانْشِرَاح عِنْد تسريح اليَسار يَفْتَح لَه أَبْواب خَيرات كِبَار
قَدْ جَاء هذا عَنْ نَبيّ الرَّحمة وَنَفعه قَدْ صَحّ عَن تَجْرِبَة
وفى الحديث كانَ سَيِّد البَشَر يَقرأ أَلَمْ نَشْرَح بتَسريح الشَّعر

(ش) أشرتُ بهذه الأبيات لما ذكره فى الباب الخامس والعشرين من كتاب : « البَهيّ فى دَعَوَات النَّبِيّ » فيما يقوله عند تسريح شعره ونصه : فى مسموعاتى أنَّ النَّبيّ ﷺ كانَ يقرأ عند تَشْريح شَعْره ألم نشرح ، وأخبرنى تاج الإسلام أبو سعيد السّمعانى فى كتابه إلىَّ بإسناده إلى **خُزيمة**[1] **بن ثابت** قال : «كان النَّبيّ ﷺ إذا استعمل المشْط قَرأ فى يمين عارضيه فاتحة الكتاب ، وفى شماله ﴿ **أَلَمْ نَشْرَح** ﴾ إلى أن قال : « مَنْ قَرَأَهُما فَتَح الله عليه فى جميع الأُمور »[2]، وأورد هذا الحديث فى كتابه : أى المسمّى الموسوم « بالذيل لتاريخ بغداد » . انتهى .

قلت : وواظبت على ذلك واعتمدتُه ، وجَرّبْته ، فوجدت بركته ونفعه .

حكاية غريبة ذكرها سيدى محيى الدين بن عربى فى كتابه المسمّى بـ « المسامرة » **فقال** : فتنة إلهية أضلّ الله بها من شاء ، أخبرنى بمكة رجل ثقة[3] من التُّجَّار يقال له : ابن الصَّواف من أهل الإسكندرية ، وكان عدلًا

---

(١) خزيمة بن ثابت بن عمارة بن فاكه الأوسى الأنصارى ، كنيته أبو عمارة ، له صحبة من النبىّ ﷺ ، وهو الذى أجاز شهادته . انظر : « الإصابة » (ت ٤٢٥) ، و« صفة الصفوة » (٢٩٣/١) ، و« تهذيب التهذيب » (١٤٠/٣) .

(٢) إسناده ضعيف نبّه عليه السيوطى .

(٣) هذه الحكاية أشبه بالأساطير ، وابن الصّواف هذا ليس له ذِكرٌ عند أهل العلم ، وتوثيق =

صالحاً ثَبْت الحديث فَطِناً ، ولا أزكى على الله أحداً ، قال لى : أخبرنى بعض التّجّار أنه اتّجَر ببعض بلاد الهند فعامل رجلًا من أهل ذلك البلَد إلى أَجَل معلوم ، فتُوفِّى التّاجر الهندى قبل حلول الأَجل بغيبته ، فأَسف التّاجر الغَريب على تَلَف ماله ، فقَصَد دار الهندى ليَشْهد جنازته باكياً على ما كان له عليه ، **فقال له بعض أهل الـمَيِّت** : ما شأنك تُكْثر البُكَاء ، فذكر له ماله قبل الـمَيِّت ، **فقال لـه** : لا بأس عليك تأخذ مالك مُوفَّى ، **فقال** : وكيف ذلك ؟ **فقال لـه** : إنَّ الـمَيِّت عندنا يحييه الله بعد ثلاث من دفْنه ، ويفتح دُكَّانه إن كان صاحب دُكَّان ، ويذكر ما له وما عليه فى جريدته ، ويُعطى للنَّاس ما لهم عليه من الحقوق ، فإذا لم يبقَ للنَّاس عليه تَبِعَةٌ قام وأَغلق دُكَّانه ، وسَلَّم المُفْتاح للورثة وانصرف من حيث جاء لا يتبعه أحد ، فلا نراه بعد ذلك ، **قال التَّاجر** : فتعجبت لخبره وهان علىّ تلف المال بمشاهدة هذه الأعجوبة ، قال : ثُمَّ إنا تبعنا الجنازة حتى دَفَنَّاه ، وبقيت أَترقَّب ، فلما كان بعد ثلاث ، نَادَى مُنادٍ فى البلاد : يا مَعْشَر النَّاس ، مَنْ كانَ له عندَ فُلان الذى مات حَقّ فليأت إِلى دُكَّانه ، فقد قَعَد يُعطى النَّاس حقوقهم ، **قال** : فأَسْرَعت إلى الدّكان ، فوجدت صاحبى بعينه لا أنكر منه شيئاً وجريدته فى يده ، ومن له شىء عنده قد حضر فلا يزال ينظر فى الجريدة ، **فيقول** : أين فلان ، فيجيئه ، **فيقول** : كم تسألنى ؟ **فيقول** : كذا فَيعْطيه إلى أن دعا باسمى ، **فقال** : كم تسألنى ؟ **فقلت** : كذا وكذا ، فنظَرَ فى الجريدة **فقال** : صَدَقْت فوفانى حَقى وشَكَرنى واعتزمت أنظر آخر مرّة إلى ما يؤول ، فلما جاء وقت العَصْر ، وتمكن فرغ من شغله ، وقفل الحَانُوت ، وانصرف النَّاس ، وأَخذَ المَفَاتيح ، وسَلَّمها للورثة ، وسلم عليهم ، وانصرف فلم يتبعه أَحد ، فانصرفت خلفه لأَسأله عن شأنه ، فإِنى رأيت عجباً ، فما دخلَ زقاقاً إلَّا وأنا خلفه أجهد أجهد نفسى فى أثره ، فلمَّا أَلحت عليه ، وقف وقال : يا هذا ألم تأخذ حَقّك ، فقلت : بلى ، قال : فانصرف ، فقلت

= ابن عربى له لاينفعه ، لأنه غير ثقة ، قال ابن دقيق العيد : سألت ابن عبد السلام (سلطان العلماء) عن ابن عربى ؟ فقال : هو شيخ سوء كذاب يقول بقدم العالم ، ولا يحرم فرجاً ، ذكره الهيثمى فى « الميزان » ، والبقاعى فى « تنبيه الغبى » (ص ١٥٢) .

له : أُريد أن أتعرّف شأنك ، وإني ما شككت في موتك ، ودفْنك فكيفَ قصّتك ؟ وأقسمت عليه أن يخبرني ، فقال : نَعَم أخبرك ، أمَّا صَاحبك التَّاجر الهندى فقد انقلب إلى لعنة الله ، وأمَّا أنا فَمَلَكٌ على صورته ، أرسلنى الله تعالى ، ففعلت ما رأيت ليفتنهم ، وقد أجرى الله العادة فى ذلك ، فلست صاحبك ، انصرف عنِّى عافاك الله حتى أنصرف ، قال التَّاجر : ثم التفت فلم أرَه ، وقد عرفت خبره ، وكتمته فى نفسى ، ورد الله علىّ مالى والسَّلام ، ونظمت ذلك ملخصاً **فقلت** :

والعَارف ابن العَرَبى قَدْ ذَكر ... أن لبعض من بلَاد الهِنْد قَر
حَيَـاة ميِّت لثلَاث تَمْضى ... مِنْ مَوْتِـهِ لنَحْـو دَيْن يَقْضِى
وَبأَنَّ بَعْـد أنَّ ذَا الآتى ملك ... مِنْ رَبّنـا عَلَى مِثَال مَنْ هَلَك

وقُلْتُ بدل هـذا البيت :

وبأَنَّ بَعْـد أَن ذا الآتى مَـلك ... يَأْتِى عَلَى صُورَة هَذَا اللذِ هَلَك

انتهى والله أَعلم .

وَقَـائل مِـنْ بَعْد ما صَـلَّى الغَـدَاه ... بلَفْظه مِنْ غَيْر شَك لَا إِلَهَ (إلَّا الله) (١)
للحَمْـد ثُـمَّ بَعْـده بيَـده ... الخَـيْر وَهُـو لقَـدير يَا بهى
عشـر مرار نَال سبعاً مِنْ خِصَال ... إن كانَ مِـنْ بعد الصَّلاة باتصَال
تَكْفِـير عَشْر مِنْ ذُنُوب يَحصل ... بَعْض بِهَا فى الدّين قَطْعاً يَا فُلِ
وَنَيـل رَفْـع دَرَجات عَشـر ... كَحَسَنَات يَا لَهَا مِـنْ أَجر
وَعَـدل عِتْقـه لِعَشْـر مِنْ رِقَاب ... والحفْـظ مِن شَيْطَاننا بلا ارتِيَاب (٢)
وَحِـرْزه مِنَ الَّذِى يُكره وَمـن ... لُحُـوق ذَنْب غَـيْر شِـرْك يا فَطَن
فِى يَوْمِـه الَّذِى بهِ قَـدْ قَـالَا ... وَإن يَقُـل ذَا فى غُـروب نَـالا
جَمِيـع ذَا أى بَعد فِعْل المَغْرب ... لَيْلَتـه أن يَتّصـل يا مجتبى

---

(١) ما بين القوسين ليس فى الأصل .

(٢) هـذه اللفظة ساقطة من (خ) .

أشرت بهـذه الأبيات إلى حديث رواه فى « الجامع الكبير » وهو : « مَنْ قالَ حين يَنْصرف من صَلَاة الغَدَاة قبل أَنْ يَتكَلَّم : لَا إِلٰهَ إِلَّا الله ، وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ المُلْك ، ولَهُ الحَمْد ، بيدِه الخَيْر ، وهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ عَشْر مرَّات أُعطى بهنّ سَبْعاً : كُتِبَ لهُ بهنّ عَشر حَسَنات ، وَمَحَى عنهُ بهنّ عَشر سَيئّات ، ورَفَع لهُ بهنّ عَشر دَرجَات ، وكُنّ لَهُ عَدْل عَشر نَسَمات ، وكُنّ لهُ حِفْظاً مِنَ الشَّيطان ، وحِفْظاً من المَكْروه ، ولَم يَلْحَقْهُ فى يَوْمه ذلك ذَنْب إلَّا الشِّرك بالله ، ومَنْ قَالهنّ حين يَنْصرف من صَلَاة المغرب أُعطى مثل ذلك ليلته »[1] ابن السّنى طب عن مُعَاذ (رضى الله عنه) .

الفائدة الرابعة : ورد فى الحديث : « إِذَا دَخلَ شَهْر رمضَان : فُتِّحَت أَبْواب الجِنَان ، وغُلِّقَت أَبوَاب النِّيران ، وسُلْسلت الشَّياطين »[2] حم ق عن أبى هريرة (رضى الله عنه) ، وورد فى الحديث : « آتى بَاب الجَنَّة فأَسْتفتح ، فيقول الخَازِن : مَنْ أَنتَ ؟ فأَقول : أَحمد ، فيقول : بِكَ أُمِرْت أَن لَا أفتح لأَحد قَبْلَك »[3] .

واستشكل : بأَنَّ أبواب الجَنَّة مفتوحة دائماً إلَّا فى يوم القيامة ، فإنها تُغلَق ، وتُفْتَحُ له ﷺ كما يفيده حديث : « آتى باب الجنة » المتقدّم .

---

(١) رواه النسائى فى « عمل اليوم والليلة » (١٢٦) ، وعنه ابن السّنى فى « عمل اليوم » (١٣٩) ، وأحمد فى « مسنده » (٢٢٧/٤) من حديث عبد الرحمن بن غنم ، وذكره المنذرى فى « الترغيب » (٣٠٦/١) ، وعزاه إلى الطبرانى ، وابن أبى الدنيا ، وقال : إسناده حسن ، وانظر : « مجمع الزوائد » (١٠٨/١٠) .

(٢) رواه البخارى ك : الصيام (١٨٩٨) ، وفى ك : بدء الخلق (٣٢٧٧) ، ومسلم ك : الصيام (١٠٧٩) ، والنسائى (١٢٨/٤) ، وعبد الرزاق فى « المصنف » (٧٣٨٤) ، وأحمد فى « مسنده » (٢٨١/٢) ، والبغوى فى « شرح السُّنة » (١٧٠٣) .

(٣) جاء ذلك من حديث أنس بن مالك « رضى الله عنه) ، وهو حديث صحيح رواه مسلم ك : الإيمان (٣٣٣) ، وأحمد فى « مسنده » (١٣٦/٣) ، والبغوى فى « شرح السُّنة » (٤٣٣٩) ، وعبد بن حميد فى « منتخب المسند » (١٢٧١) .

وقوله : « أَنْ لَا أَفتح لأَحد قَبْلَك » : بدل اشتمال من الكاف ، إذ الجنة تبدل من المفرد بدل اشتمال ، وإن لم تكن فى تأويل المفرد : أى أُمرت أن لا أفتح لأحد من الخلق قبلك .

واستشكل الثانى : بأنَّ أبواب النِّيران مغْلُوقة فى غير رمضان أيضاً ، وأُجيب : بأن المراد بفَتْح أبواب الجنان فى رمضان حصول كثرة الطَّاعات فيه ، وبغَلْق أبواب النّيران أن لا تكثر المعاصى[1] فيه ، وأُجيب أيضاً : بأن فتح باب الجنة كناية عن هبوط غيث الرَّحمة ، وتوالى صعود الطَّاعَة بلا مانع وعائق ، ويشهد له قوله : « وغُلِّقَتْ أَبْوَاب جَهَنَّم » ، فإنه كناية عن تنزيه أنفس الصَّوام عن رِجْس الآثام[2] ، وكبائر الذّنوب العِظَام ، وتكون الصَّغائر مُكَفّرة ببركة الصيام ، والحمل على الحقيقة يبعده ذكره فى مقام الامتنان على الصُّوَّام بما أُمروا به ، فإن بالحمل على الحقيقة لم تقعْ المِنَّة موقعها ، بل تَخْلو عن الفائدة ، إذ المرء ما دام فى هذه الدّار لا يمكنه دخول إحدى الدَّارين ، فأى فائدة فى فتح أبواب الجنَّة ، وغَلْق أبواب النِّيران ؟ ذكره **القاضى عياض** .

ونوزع فى هذا : بأنه يمكن أن تكون فائدة الفتح توقيف الملائكة على استحماد فعل الصائمين ، وأن ذلك منه تعالى بمنزلة عظيمة[3] ، وأيضاً : إذا علم المكلّف المعتقد ذلك بأخبار الصَّادق يزيد فى نشاطه ، ويتلقاه بالرَّاحة ، ويشهد

---

(١) ذكر ذلك العلاَّمة القاضى عياض المالكى ، نقله عنه ابن حجر فى « فتح البارى » (١٣٧/٤) ، ونقل عن ابن المنير ترجيح حمل فتح أبواب الجنة على حقيقته ، وقال معقباً على ما ذكره القاضى عياض : « ولا ضرورة تدعو إلى صرف اللفظ عن ظاهره » . وأما الرواية التى فيها : « أبواب الرحمة وأبواب السماء » ، فمن تَصَرُّف الرُّواة والأصل أبواب الجنة بدليل ما يقابله ، « وهو غلق أبواب النار » ، وانظر : « شرح مسلم » للنووى (١٨٨/٧) .

(٢) ما ذكره المصنف هو كلام العلاَّمة التوربشنى شارح المصابيح ، نقله عنه ابن حجر فى « الفتح » (١٣٨/٤) .

(٣) ما ذكره – رحمه الله – هو كلام العلاَّمة الطيبى شارح البخارى ، ذكره ابن حجر فى « فتح البارى » (١٣٧/٤) ، وذكره النووى فى « شرح مسلم » (١٨٨/٧) ، وعزاه إلى القاضى عياض .

له حديث **عمر**[1] (رضى الله عنه) : « إِنَّ الجَنَّة تُزَخْرف لرمضَان »[2] (ص) :

ذُرِّيَّةُ الْـمُؤْمـن :

جَا فى الحديث أن فرع الشَّخص ... يَكون فى مَقَـامِـهِ بالنّـص
وإن يَكُن معمـوله دُون عَمـل ... أَصْـله والعَكْس كَذَا بـلا زَلَل
وَحَال زَوْجة مَـع الزّوج كَحَـال ... فَرْع لَـه مَـع أَصْـله بلَا اختِـلَال

(**ش**) أَشرت بهذه الأبيات إلى قوله فى « الجامع الكبير »[3] : « إِنَّ اللهَ لَيَرْفَعُ ذُرِّيَّةَ المُؤْمِن إِلَيْهِ حَتَّى يُلْحِقَهُم فى دَرَجَتِهِ ، وَإِنْ كَانُوا دُونَهُ لِتَقَرّ بِهِم عَيْنُهُ » الدّيلمى عن ابن عباس (رضى الله عنهما) .

وقال فى « الدّر المنثور » : وأخرج سعيد بن منصور ، وهناد ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبى حَاتم ، والحاكم ، والبيهقى فى « سننه » عن ابن عبـاس (رضى الله عنهمـا) قال : « إِنَّ الله لَيَرْفَعُ ذُرِّيَّة المُؤْمِن مَعَهُ فى دَرَجَتِهِ فى الجَنَّةِ ، وإن كَانُوا دُونَهُ فى العَمَل لِتَقَرَّ بِهِم عَيْنـهُ »[4]، ثم قرأ : ﴿ وَالَّذِينَ

---

(١) كذا فى الأصل ، هو خطأ ، والصواب : ابن عمر (رضى الله عنهما) ، كما فى « مجمع الزوائد » (١٤٢/٣) ، و« الدر المنثور » (٤٤٩/١) .

(٢) رواه الطبرانى فى « معجمه الكبير » ، كما فى « المجمع » ، وأبو نعيم فى « الحلية » ، والبيهقى ، وابن عساكر ، كما فى « الدر المنثور » (٤٤٩/١) ، وذكره الهيثمى فى « مجمع الزوائد » (١٤٢/٣) وقال : فيه الوليد بن الوليد القلانسى ضعفه جماعة ، ووثقه أبو حاتم ، والحديث بنحوه عن ابن مسعود (رضى الله عنه) عند البيهقى ، وأبى يعلى فى « مسنده » ، وابن الشجرى فى « الأمالى » (٢٨٧/١) ، وإسناده ضعيف كما قال البيهقى ، وانظر : « اللآلى المصنوعة » للسيوطى (٩٩/٢ ، ١٠٠) ، و« العلل المتناهية » لابن الجوزى (٢٦/٢) .

(٣) انظر : « جمع الجوامع » رقم (٥٠٢٣) ، و« كنز العمال » للمتقى الهندى (٢٤٨٢) ، وعزاه السيوطى فى « الدر المنثور » (٦٣٢/٧) المرفوع منه إلى الديلمى ، وذكره ابن كثير فى « تفسيره » (٢٤٢/٤) ، وعزّاه إلى البزار فى « مسنده » مرفوعاً وموقوفاً .

(٤) ذكره فى « الدر المنثور » (ج ٦٣٢/٧) ، وكذا ابن كثير فى « تفسيره » (٢٤٢/٤) ، وابن الجوزى فى « زاد المسير » (٥٠/٨ ، ٥١) ، ورواه الحاكم فى « المستدرك » ك : التفسير (٥٠٩/٢) ورجاله ثقات .

آمَنُواْ وَأَتْبَعْنَاهُمْ ذُرِّيَّاتِهِم ... ﴾ [1] الآية . انتهى ، ولم يَعْزه [2] **للدّيلمى** ، وقد عزاه فى « الجامع » له كما تقدّم .

وقال فى « الدّر المنثور » ما يُفيد عَكس ذلك ، فذكر ما نصه : أخرج الطبرانى ، وابن مَرْدَوَيْه عن ابن عباس (رضى الله عنهما) أن النّبىّ ﷺ قال : « إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ الجَنَّةَ سَأَلَ عَنْ أَبَوَيْهِ وَزَوْجَتِهِ ، فَيُقَالُ : إنَّهم لم يَبْلُغوا دَرَجَتَكَ ، وَعَمَلَكَ ، فيقول : ياربّ قَدْ عَمَلت لى ولهُم ، فيؤمر بإلحاقهم به ، وقرأ ابن عباس (رضى الله عنهما) ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَأَتْبَعْنَاهُم ذُرِّيَّاتِهِم** ... ﴾ [3] الآية .

ثم قال : وأخرج **هناد** ، **وابن المنذر عن إبراهيم** [4] (رضى الله عنه) فى الآية قال : أُعطى الآباء مثل ما أُعطى الأبناء ، وأُعطى الأبناء مثل ما أُعطى الآباء [5] . انتهى .

وقد استفيد منه أن الزّوجة تُجْعَلُ فى دَرَجَةِ زوجها فى الجَنَّة ، ثم إنَّ الظَّاهر أن قوله : « فيقول ياربّ قَدْ عملت لى ولهم » ليس بشرط فى الإلحاق المذكور كما يشعر به التّعليل ، وكما تقدّم فى عكسه ص :

إنَّ الَّذِى اسْترجع عِنْدَما ذَكَر مُصَابَهُ الحَاصل فِى دَهْر غَبَرْ

---

(١) سورة الطور، الآية (٢١) ، وليست الآية بقراءة حفص ، ولعلها قراءة ابن عباس (رضى الله عنهما) .

(٢) إنما عزا السيوطى المرفوع منه إلى الديلمى ، وأما الرّواية الموقوفة عن ابن عباس (رضى الله عنهما) فليست عند الديلمى ، فلذا لم يعزها السيوطى إليه ، فلا مجال لهذا التعقيب من المصنف - رحمه الله - .

(٣) سورة الطور ، الآية (٢١) ، وليست الآية بقراءة حفص ، ولعلها قراءة ابن عباس (رضى الله عنهما) ، وهذا الحديث ذكره السيوطى فى « الدر المنثور » (٦٣٢/٧) ، ورواه الطبرانى فى « معجمه الصغير » (٢٢٩/١) ، وذكره ابن كثير فى « تفسيره » (٢٤٢/٤) ، والهيثمى فى « المجمع » (١١٤/٧) وقال : رجاله رجال الصحيح .

(٤) **إبراهيم** : هو ابن يزيد بن عمر أبو عمران النخعى الكوفى ، من أكابر التابعين الفقهاء المفسرين ، ولد سنة (٥٠ هـ) ، توفى سنة (٩٦ هـ) وقال الفلاس : مات سنة (٩٥ هـ) .
انظر : « التهذيب » (١٤٤/٢) ، و« التقريب » (٤٦/١) ، و« رجال مسلم » (٤٧/١) .

(٥) ذكره السيوطى فى « الدر المنثور » (ج ٦٣٣/٧) .

لَـهُ من الأَجْـر كَأَجْـر حَصَـلَا بوقْتهـا جا فى حَدِيث اعْتَـلى
ذَا جـبرها وحُسْن عُقْبَاه اعرف وَخَـلْف يَرْضَـاه صَـالح يَفى

(ش) أشرت بهذا الحديث : « مَنْ أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ فَذَكَر مُصِيبَته فَأَحدث اسْترجاعاً ، وإن تقادم عَهْدها كَتَبَ اللهُ لهُ مِنَ الأَجْر مثل يَوْم أُصِيب »[1] .

عن فاطمة بنت الحسين (رضى الله عنهما) عن أبيها ، والحديث : « مَنْ اسْتَرْجَعَ عِنْدَ المُصِيبَةِ جَبَر اللهُ مُصِيبَته ، وأَحْسَنَ عُقْبَاهُ ، وَجَعَلَ لهُ خَلَفاً صَالحاً يَرْضَاه »[2] أبو الشيخ عن ابن عباس (رضى الله عنهما) . انتهى ما ذكره فى « الجامع الكبير » .

وقوله فى الحديث : « مَنْ اسْتَرْجَعَ عِنْدَ المُصِيبَةِ » : أى أو عند ذِكْرِهَا كما يُفيد الحديث الذى تَقَدَّمَ .

وقولى : « ذا جبرها ... إلخ » : الإشارة فيه راجعة إلى الجبر الحاصل لمن استرجع فى وقت المصيبة .

وقوله : « يفى » : أى ما ذكرته **بقولى** : « ذا جبرها ... إلخ » : يفى بإفادة الوارد فى الاسترجاع عند المصيبة .

الفائدة الخامسة : (ص) :

مَعْنَـى التَّـوحيـد :

وَكلمةُ التَّـوْحيـد مَفْهُـوماً تُفِيـد نَفْى الإلٰه عن سوى الله المَجِيد
كذَاك للسُّـبكى والقَـرَافـى تُفِيـد بالـمَنْطُـوق ذَا يَا وَافـى
مَبْنَـاه الاسـتثنا مِن النَّفْى يَفِيـد ضِـدّه لا السُّكوت عَنْه يَا رَشِيد

---

(١) رواه ابن ماجه ك : الجنائز (١٦٠٠) ، والدولابى (١٢٨/٢) وابن السّنى فى « عمل الليلة » (٥٥٩) ، وفى سنده هشام بن زياد ، وهو ضعيف ، كما فى « مصباح الزجاجة » للبوصيرى (٥٢٨/١) ، وضعفه المنذرى فى « الترغيب » (٣٣٧/٤) ، وكذا فى « مجمع الزوائد » للهيثمى (٣٣١/٢) .

(٢) رواه الطبرانى فى « معجمه الكبير » (٢٥٥/١٢) ، والطبرى فى « تفسيره » (٢٦/٢) ، وذكره الهيثمى فى « المجمع » (٣٣١/٢) ، وأعلّه بعلى بن أبى طلحة ، ثم ذكره (٣١٧/٦) ، وقال : إسناده حسن ، وانظر : « الترغيب » للمنذرى (٣٣٧/٤) .

أَىْ أَنَّ مَا اسْتثنى فِيه مَا حَصَل ضِدّ الَّذِى مِنْه الثنى بِلَا زَلَل

حكاية : عبد الله بن جُدْعَان بضم الجيم وبعدها دال ساكنة فعين فألف فنون . كذا ذكره الشّامى فى « سيرته » : كان من كُرَمَاءِ العَرَب ، وقد قال ﷺ يوم بَدْر فى مَقْتَل أبى جهل : « مَنْ يَنْظُرْ لَنَا مَا صَنَعَ أبو جَهْلٍ ، وَإِنْ خَفِىَ عَلَيْكُمْ فِى القَتْلَى فَانْظُرُوا إِلَى أَثَرِ جَرْحِى فى رُكبَتِهِ ، فإِنِّى ازْدَحَمْتُ أَنَا ، وهُو يوماً علَى مأدبة لعبد الله بن جُدْعَان ، ونحن غِلْمَان ، وكُنْتُ أَسَنَّ مِنْهُ بيسير ، فدفَعتُهُ فَوَقَع على ركبته فَجُحِشَ »[1] .

وجُحِش ــ بضم الجيم وكسر الحاء المهملة وبعدها شين معجمة ــ : بمعنى خُدِش .

ولابن جدعان هذا قصَّة عَجيبَة ذَكَرهَا فى « حياة الحيوان » فى الكلام على الثعبان وهى : أنه كان فى ابتداء أمره صعلُوكاً ترب اليدين ... إلخ .

فائدة تشتمل على تاريخ موت جماعة من أَجلَّاء المشايخ :

فتاريخ وفاة شيخنا العارف بالله تعالى الشيخ محمد البنوفرى سنة ثمان وتسعين وتسعمائة ، وقد أشار لذلك بعضهم بقوله : تَقَبَّلَ الله البَنُوفِرِى وَحُبَّه .

وأما تاريخ شيخنا **محمد البكرى**[2] ففى سنة أربع وتسعين وتسعمائة ، وقد أشار بعضهم إلى ضبط ذلك بقوله : مات قُطْب العارفين ، وضبط بعضهم ذلك أيضاً بقوله : ذهب النُّور .

---

(١) الحديث بهذا السياق ذكره ابن إسحاق فى « المغازى » ، كما فى « سيرة ابن هشام » (٦٧٥/٢) ، والحديث ثابت عن أنس (رضى الله عنه) باختصار فى السياق ، رواه البخارى فى « المغازى » (٩٥/٥) ، ومسلم ك : الجهاد (١٤٢٤/١١٨) ، وأحمد فى « مسنده » (١٢٩/٣ ، ٢٣٦) ، وابن أبى شيبة ك : المغازى (١٨٥٤٩) ، « المصنف » ، والبيهقى فى « « السنن الكبرى » (٩٢/٩) .

(٢) هو : الشيخ محمد بن محمد أبو السرور زين العابدين البكرى ، وكان يسمى بتاج العارفين ، شغل منصب الإفتاء بمصر ، وله تفسير للقرآن فى أربعة مجلدات ، توفى سنة (٩٩٤ هـ) . انظر : « الأعلام » للزركلى (٣٢١/٤) .

وأما تاريخ وفاة الشيخ نجم الدِّين الغيطى ففى سنة اثنين وثمانين وتسعمائة بتقديم التاء على السين ، وقد أشار بعضهم لضبط ذلك بقوله : إمام الحديث مع أهل النّعيم . قال الدُّميرى فى « حياة الحيوان الكبرى » :

ما يُقْرَأ عندَ مَنْ يُخَالف شَرّه :

فائدة : إذا دخل الإنسان على من يخاف شره فليقرأ ﴿ **كهيعص** ﴾ ، و ﴿ **حم عسق** ﴾ ، وعدد حروف الكلمتين عشرة ، يعقد لكل حرف أصبعاً من أصابعه يبدأ بإبهام يده اليمنى ، ويختم بإبهام اليسرى فإذا فرغ من عقد جميع الأصابع قرأ فى نفسه سورة الفيل ، فإذا وصل إلى قوله : ﴿ **تَرْمِيهِم** ﴾ كرر لفظ : ﴿ **تَرْمِيهِم** ﴾ عشر مرّات ، يفتح فى كل مَرَّة أصبعاً من الأصابع المعقود ، فإذا فعل ذلك أمن من شره وهو خبر مجرب . انتهى .

ثم قال : وأفادنى بعض أهل الخير أن من قرأ سورة الفيل ألف مرّة فى كلّ يوم عشرة أيّام متوالية ، ويقصد من يريده بضميره ، وفى اليوم العاشر يجلس على ماء جار ، ويقول : اللَّهُمَّ أنتَ الحَاضر المُحيط بمكنونات الضَّمائر . اللَّهُمَّ عَزّ الظَّالم ، وقَلَّ النَّاصر ، وأنتَ المُطَّلِع العَالمُ . اللَّهُمَّ إنَّ فُلاناً ظَلَمنى وآذانى ، ولا يشهد بذلك غيرك . اللَّهُمَّ إنك مَالِكُهُ فَأَهْلِكْهُ . اللَّهُمَّ سَرْبِلْهُ بِسِرْبَالِ الهَوَانِ ، وقَمِّصْهُ قميصَ الرَّدا . اللَّهُمَّ اقْصِفْهُ[1] ، ويكرّر اللَّهُمَّ اقْصِفْهُ[2] عشر مرات ، ﴿ ... **فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ** ﴾ [3] ، فإن الله تعالى يهلكه ويكفيه شره . انتهى ، وقد نظمت أوّل الفائدتين فقلت :

وَمَــنْ قَــرأ مَــرْيَــم وَمَــا	يَبْـدأ بـه أوّل شُـورى فَاعْلَمَـا
يَعْقِـد أُصـبعاً بكلّ حَـرْفٍ	مبتـدءًا بِبُهـم يمنـى فاعـرف
وَيَخْتِمنَّ بِبُهْـم يُسْـرى وَلِفيـل	يقـرأ لَتَرْمِيـهم مكرراً قَليـل
أى عشـر مَـرّات وَكُلَّ مَـرّة	يَفْتَـح أصـبعاً وَقِى مِـن شَـرّه

---

(١) ، (٢) فى (خ) : اقصمه .

(٣) سورة غافر ، الآية (٢١) .

أى شَـرّ ظَـالم قـرأ لردّ　　شَـرّ لـهُ وظلمـه بالقَصْـد
وَهُـو مجـرّب كما قالَ الّـذِى　　نقـلهُ وهُـوَ جَليـل محتـذَى

ونظمتُ الفائدة الثانية فقلتُ أيضاً :

ومِنْ قرأ سُورَة فِيلِ فى كلّ يوم　　ألفاً مِن المرّات لا يَعْروه لَوْم
مُكرراً هَـذَا بأيّـام غَـدَتْ　　عَشْـر تتـابع لَهَـا مِنْـه ثَبت
بآخـر الأيّـام هـذَا تَفْعَـل　　بشـط مَا جَـار فَهلك يَحْصـل
لِمَن لهُ تَفْعـل ذِى ليَهْلِكَا　　مَع خَالِص الدُّعاء وارْضِ رَبِّكَا
وَذَا الدُّعـا بالأصل مذكورٌ وقُد　　قَدّمتـهُ لِيَسْـهُلَنَّ لمَـنْ قَصـد

والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب ، وإليه المرجع والمآب . تم بحمد الله وعونه ، وحسن توفيقه ، غفر الله لكاتبه ، ومالكه ، وسامعه وللمسلمين فى غرة محرم الحرام سنة (١٢٣٧ هـ) على يد أحمد محمد ، عفا الله عنهما (١) .

خاتمة التحقيق

تم بحمد اللّـه وتوفيقه كتاب « فضائل شهر رمضان » ، بعد أن أتحفنا فيه مؤلفه بما جمعه من قطوف الفضائل ، مصحوبةً بما يُؤَيدها من الدلائل ، فتكلّم عن شهر رمضان ، وفضل الصِّيام ، والعتق فيه والثواب ، وعِظَم الدعاء فيه والدرجات ، والترغيب فى القيام والصلوات ، وفضل ليلة القدر ، والجود والكرم .. فاستطاع أن يجمع ما قيل ورُوى فى تلك المسائل ، فقرب لنا البعيد ، وكشف الخفى ، دون إخلال أو إملال ، فأجاد فى جمعه ، وأفاد فى شرحه ، ونسأل اللّـه التوفيق والرشاد لما يحبه ويرضاه .

المحققان

★ ★ ★

(١) هذه الخاتمة من (خ) .

المصادر والمراجع

* **التفسير :**

– **تفسير الطبرى :** تحقيق أحمد شاكر – القاهرة – دار المعارف .

– **تفسير القرآن العظيم :** لابن كثير – دار القلم .

– **زاد المسير :** لابن الجوزى – المكتب الإسلامى .

– **الدر المنثور :** للسيوطى – الهيئة العامة للكتاب .

* **كتب الحديث :**

صحيح البخارى مع فتح البارى : الدار السلفية .

صحيح مسلم بشرح النووى : دار القلم .

سنن ابن ماجه : دار الحديث .

سنن الترمذى : عيسى الحلبى .

سنن أبى داود مع عون المعبود : المكتبة السلفية .

سنن النسائى بشرح السيوطى : دار البشائر الإسلامية .

المستدرك : للحاكم – دار المعرفة .

الموطأ : الإمام مالك – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

سنن الدارمى : دار الريان .

مجمع الزوائد : للهيثمى – دار الكتب العلمية .

المسند : للإمام أحمد – دار المعرفة .

* **كتب الفقه :**

بداية المجتهد : دار المعرفة بيروت .

المدونة : للإمام مالك – دار صادر .

المغنى : لابن قدامة – دار الكتاب العربى .

المحلى : لابن حزم – دار الآفاق بيروت .

* **كتب التراجم :**

– **ذيل طبقات الحنابلة :** (ابن رجب) – ط دار المعرفة .

– **طبقات الحنابلة :** (أبو يعلى) – ط دار المعرفة .

- **المنهج الأحمدى فى تراجم أصحاب أحمد** (العليمى) .
- **خطط المقريزى** : (دار التحرير للطبع والنشر) - القاهرة سنة ١٩٦٧ م .
- **بغية الوعاة للسيوطى** (دار إحياء الكتب العربية) - القاهرة ١٩٦٤ م .
- **فوات الوفيات** : (لابن شاكر الكتبى) - مكتبة النهضة المصرية .
- **البداية والنهاية** : (ابن كثير) - ط مكتبة المعارف .
- **المقفى الكبير** : (للمقريزى) - ط دار الغرب الإسلامى .
- **الأعلام** : (الزركلى) - ط دار العلم للملايين .
- **تذكرة الحفاظ** : (الذهبى) - ط دار الكتب العلمية .
- **النجوم الزاهرة** : (ابن تغر بردى) - ط الهيئة المصرية للتأليف .
- **معجم المؤلفين** : (عمر رضا كحَّالة) - ط مؤسسة الرسالة .
- **أعلام النساء** : (عمر رضا كحَّالة) - ط مؤسسة الرسالة .
- **تهذيب التهذيب** : (ابن حجر) - ط دار صادر .
- **تهذيب الكمال** : (المزى) - ط دار الرسالة .
- **تهذيب سير أعلام النبلاء** : (الذهبى) - ط دار الرسالة .
- **تهذيب الأسماء واللغات** : (النووى) - ط دار الكتب العلمية .
- **صفة الصفوة** : (ابن الجوزى) - ط دار المعرفة .
- **حلية الأولياء** : (أبو نعيم) - ط دار الكتب العلمية .
- **رجال صحيح البخارى** : (الكلاباذى) - ط دار المعرفة .
- **رجال صحيح مسلم** : (ابن منجويه) - ط دار المعرفة .
- **التاريخ الصغير** : (البخارى) - ط دار التراث .
- **تاريخ الثقات** : (ابن شاهين) - ط دار الكتب العلمية .
- **غاية النهاية فى طبقات القراء** : (ابن الجزرى) - ط دار الكتب العلمية .
- **طبقات ابن سعد** : دار الكتب العلمية .
- **تاج التراجم** : (ابن قطلوبغا) - ط دار القلم .
- **طبقات الشافعية** : (ابن السبكى) - ط عيسى الحلبى .
- **طبقات الفقهاء** : (الشيرازى) - ط دار القلم .
- **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع** : (الشوكانى) - ط دار المعرفة .
- **الديباج المذهب** : (لابن فرحون) - القاهرة ١٣٥١ هـ .
- **إنباه الرواة** : للقفطى - دار الكتب المصرية - ١٣٦٩ هـ .
- **الإصابة** : (لابن حجر) - القاهرة ١٣٢٣هـ .

- **تهذيب التهذيب** : (لابن حجر) - حيدرآباد ١٣٢٥ هـ .
- **اللباب** : (لعز الدين بن الأثير) - القاهرة ١٣٥٧ هـ .
- **كشف الظنون** : (لحاجى خليفة) - سنة ١٩٤١ م .
- **الرسالة القشيرية** : دار الكتب الحديثة .
- **مشكاة المصابيح** : المكتب الإسلامى .
- **دول الإسلام** : (للذهبى) - الهيئة العامة للكتاب ١٨٧٤ م .
- **الدرر الكامنة** : (لابن حجر) - دار الكتب الحديثة - القاهرة ١٩٦٦ م .
- **موسوعة رجال الحديث** : (الدكتور البندارى) ط دار الكتب العلمية .
- **الكامل فى التاريخ** : (ابن الأثير) - ط دار الكتب العلمية .
- **تاريخ الملوك والأمم** : (الطبرى) - ط دار المعارف .
- **غاية الأمانى** : (الألوسى) - ط دار إحياء السُّنة .

*** كتب اللغة « المعاجم » :**

- **لسان العرب** : (لابن منظور) - دار المعارف .
- **المصباح المنير** : (الفيومى) : - ط المطبعة الأميرية .
- **مختار الصحاح** : (الرازى) - مكتبة الهلال .
- **القاموس المحيط** : (الفيروزآبادى) - ط مؤسسة الرسالة .
- **معجم المصطلحات** : (الدكتور أبو خزيم) - مكتبة لبنان .
- **المعجم الوسيط** : (مجمع اللغة العربية) .

*** متفرقات :**

- **قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية** : دار العلم للملايين .
- **الحيوان** : (الجاحظ) - ط الحلبى .
- **لقط المرجان فى أحكام الجان** : (السيوطى) - ط القرآن .
- **معجم البلدان** : (ياقوت الحموى) - ط دار الكتب العلمية .
- **مراصد الاطلاع** : (البغدادى) - دار إحياء الكتب العربية - القاهرة ١٣٧٣ هـ .
- **معجم الأدباء** : (لياقوت الرومى) - القاهرة ١٩٣٦ م .

* * *

فهرس الموضوعات

الموضــــوع	الصـفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة



رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٧٨٨٦ / ١٩٩٦

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ ـ شارع نشاطى شبرا القاهرة
الرقم البريدى ـ ١١٢٣١